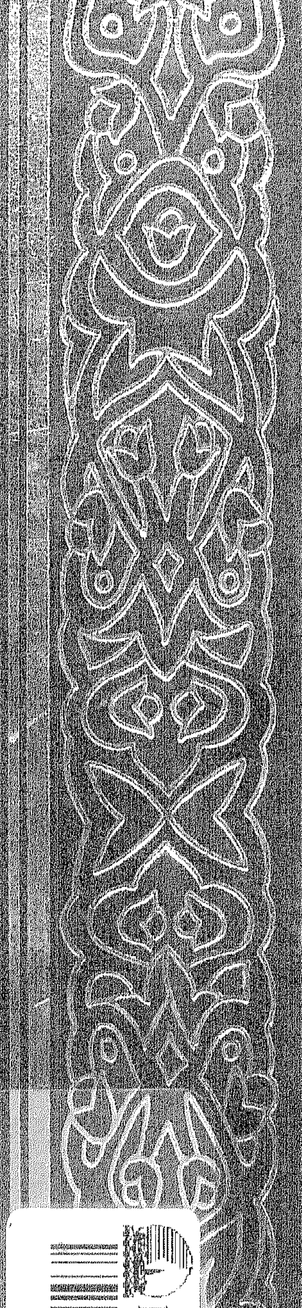


المغرب

في ذكر بلاد افريقية والمغرب

وهو جزء من كتاب

المسالك والممالك

تأليف

أبي عبيد البكري



المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب

وهو جزء من كتاب

المسالك والممالك

تأليف

أبي عبيد البكري

المتوفى سنة ٤٨٧ هـ

الناشر
دار الكتاب الإسلامي
القاهرة

بســـسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم على خير المرسلين

المشهور من المدن والقرى في الطريق من مصر الى برقة والمغرب

ترنوط وهي قرية جامعة على النيل بها اسوان ومسجد جامع وكنيسة وخراب كثير خربته كتامة اذ كانوا هنالك مع ابي القاسم بن عبد الله الشيعي واكثر بنيانها بالاجر وبهـــا معاصر سكر فمن ترنوط الى المنى وهي ثلاثة مدن قايمة البنيــة خالية فيهـــا قصور شريفة في صحراء رمل ربما قطع فيهـــا الاعراب على الرفـــاق وتلك القصور محكمة البناء متجددة الجدر اكثرها على ازاج معقودة يسكن بعضها رهبان وبها ابار عذبة قليلة الماء ومنها الى ابي مينى وهي كنيسة عظيمة فيها عجايب من الصور والنقوش توقد قناديلها ليلا ونهارا لا تطفا وفيها قبو عظيم في اخر مبانيها فيها صورة جملين من رخام عليهما صورة انسان قايم رجلاه على الجملين احدى يديه مبسوطة والاخرى مقبوضة يقال انها صورة ابي مينى كل ذلك من رخام وفي هذه الكنيسة صور الانبيـــــاء كلهم عليهم السلام صورة زكرياء

ويحيى وعيسى في عمود رخام عظيم على ذات يمين الداخل يغلق عليها باب وصورة مريم فد اسدل عليها ستران وصور ساير الانبياء ومن خارج الكنيسة صور جميع الحيوان واهل الصناعات من جملتها صورة تاجر الرقيق ورفيقه معه وبيده خريطة مفتوحة الاسفل يعني ان التاجر بالرقيق لا ربح له وفي وسط الكنيسة قبة فيها ثماني صور يزعمون انها صور الملايكة وفي جهة من الكنيسة مسجد محرابه الى القبلة يصلي فيها المسلمون حولها ثمار كثيرة وعامتهـــا اللوز الاملس والخروب المعسّل الرطب يعقد منه الاشربة وكروم كثيرة يحمل اعنابها وشرابها الى مصر ويقولون ان سبب بنيـــان هذه الكنيســة ان قبرا كان في موضعها وكان بالقرب منه قرية وان رجلا من اهلها كان مقعدا فزال عنه حماره فزحف في طلبـــه ليصرفه حتى وصل الى القبر فلما صار عليه انطلق ماشيا فمشى الى حماره واستوى عليه راكبا وانصرف الى موضعه صحيحا فتسامع الناس ذلك فلم يبق عليل الا قصد ذلك القبر فجلـــس عليه فافاق فبنيت عليه هذه الكنيسة وقصدها اولوا الاسقام ليستشفعوا بهـا فبطل ذلك بعد بنايها ويودى من القسطنطينية الى هذه الكنيسة في كل عام الفي دينار ۞ وذات الحمام وهي سوق جامعة بهـا جامع بناه زيادة الله بن الاغلب منصرفه من المشرق الى افريقية بازايـــه بير غزيرة طيبة حولها جباب وبساتين وبهـــا قصر خرب يتداولون سكانه روابط صاحب مصر وسميت ذات الحمـام لان كل من شـرب من مايها حم الا من عافاه الله ولذلك يقول الحداة رب سلمنـا من الحجاز وغلاها ومن مصر ووباها ومن ذات الحمام وحماها ۞ واما الحنيّة فهي شطر حنية قايمة في وسط نحص بينها وبين البحر شرق يقال انها كانت باب الاسكندرية وينزل حولها مزاتة ولواتة خصايص وبين

الحنية وذات الحمام مائدة رخام اسود يقال انهـا كانت مايدة فرعون تحتها جب يعرف بالتنيس ۞

والكنايس وهي ثلاثة قصور مهدمة بالقرب منها عقبة تعرف بابارفيس وهما بيران عذبتا الماء بعيدتا الارشية ۞ وقال غيره من جب العوسج الى قباب معان بينهما ثلاثون ميلا وهي المعروفة بخرايب القوم قال محمد خرايب القوم مدينة خربها الروم فيها جباب وبغربي خرايب القوم قصر ابى معد نزار بن خلد بن يحيى بن بابان ينزله من قريش من قرابة جبير بن مطعم نحو عشرين بيتا واحياء كثيرة من بنى مدلج ومن قبايل البربر نحو الف بيت من فاضلة وبنى عقيدان ويذكر ان كثيرا ما تتبدل صورة المولودة عندهم فتصير في خلق الغول والسعلاة وتعدو على الناس حتى تغل وتقيد ۞ قال محمد بن يوسف اخبرني محمد بن قاسم صاحب استجة انه صح عنده ذلك او شاهده ومنها الى مدينة الرمادة وهي مدينة لطيفة بقرب البحر لها سور ومسجد جامع وحولها بساتين بانواع الثمار وبالقرب منها قصر السماس وفيه عمارة يسيرة ومن خرايب القوم الى مدينة الرمادة خمسة وثلاثون ميلا ومنها الى خرايب ابى حليمة وهو قصر معمور وبه سوق وابار خمس وجباب على البعد فاذا اتيت قصر الروم وهي افناء طوب يشرف عليها جبل في صحنه جباب ماء اكبرها تعرف بالمطبّقة فاذا جبت وادى مخيل وهو حصن فيه جامع وله سوق عامرة حواليه جباب ماء وبرك وليس ينبط فيه ماء وهو راخي السعر كثير الخير وبينه وبين اجدابية خمس مراحل ۞ برقة واسمها بالرومية الاغريقية بنطابلس تفسيره خمس مدن وصار اليها عمرو بن العاصي حتى صالح اهلها على ثلاثة عشر الفا يودونهـا اليه جزيه

على ان يبيعوا من احبوا من ابنائهم في جزيتهم قال الليث بن سعد كتب عمرو بن العاصى على لواتة في شرطه عليهم ان تبيعوا ابناءكم فيما عليكم من الجزية وسمع عمرو يقول على المنبر لاهل انطابلس عهدٌ يوفى لهم به ومدينة برقة في صحراء حمراء التربة والمبانى فتحمر لذلك ثياب ساكنيها والمتصرفين فيها وعلى ستة اميال منها الجبل وهي دايمة الرخاء كثيرة الخير تصلح بها السايمة وتنمى على مراعيها واكثر ذبايح اهل مصر منها ويحمل منها الى مصر الصوف والعسل والقطران وهو يعمل بها بقرية من قراها يقال لها مقة دون جبل وعر لا يرقى اليها فارس على حال وهي كثيرة الثمار من الجوز والاترج والسفرجل واصناف الفواكه ويتصل بها شعراء عريضة من شجر العرعر وبمدينة برقة قبر رويفع صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحول مدينة برقة قبايل من لواتة ومن الافارق وفي الطريق من برقة الى افريقية وادى مسوس به قباب خربة وجباب يقال ان عددها ثلاث ماية وستون وبها بساتين وفي هذا الوادى التربة التى يغلى منها العسل ۞ ومدينة اجدابية وهي مدينة كبيرة في صحراء ارضها صفا وابارها منقورة في الصفا طيبة الماء وبها عين ماء عذب ولها بساتين لطاف ونخل يسير وليس بها من الاشجار الا الاراك وبها جامع حسن البناء بناه ابو القاسم بن عبيد الله له صومعة مثمنة بديعة العمل وحمامات وفنادق كثيرة واسواق حافلة مقصودة واهلها ذوو يسار اكثرهم اقباط وبها نبذ من صرحاء لواتة ولها مرسى على البحر يعرف بالماحور لها ثلاثة قصور بينه وبينها ثمانية عشر ميلا وليس لمبانى مدينة اجدابية سقوف خشب انما هي اقباء طوب لكثرة رياحها ودوام هبوبها وهي راخية الاسعار كثيرة التمر ياتيها من مدينة

اوجلة اصحاب التمور ومدينة سرت وهي مدينة كبيرة على سيف البحر عليها سور طوب وبها جامع وحمام واسواق ولها ثلاثة ابواب قبلي وجوفي وباب صغير الى البحر ليس حولها ارباض ولهم نخل وبساتين وابار عذبة وجباب كثيرة ذبايحهم المعز ولحمانها عذبة طيبة ليس يوكل بطريق مصر اطيب من لحومها واهل سرت من اخبس خلق الله خلقا واسويهم معاملة لايبيعون ولا يبتاعون الابسعر قد اتفق جميعهم عليه وربما نزل المركب بساحلهم موسوقا بالزيت وهم احوج الناس اليه فيعمدون الى الزقاق الفارغة فينفخونها ويوكونها ثم يصفونها في حوانيتهم وافنيتهم ليرى اهل المركب ان الزيت عندهم كثير باير فلو اقام اهل المركب ما شاء الله انْ يقيموا ما باعوا منهم الا على حكمهم واهل سرت يعرفون بعبيد قرلة وهم يغضبون من ذلك قال الشاعر يهجوهم

عبيد قرلّة شر البرايا   معاملة واقبحهم فعالا
فلا رحم المهيمن اهل سرت   ولا سقاهم عذبا زلالا

وقال اخر

ياسرت لا سرّت بك الانفس   لسان مدحي فيكم اخرس
البستم القبح بلا مفظر   يرون منكم لا ولاملبس
بخستم في كل اكرومة   وفي الخنا واللوم لم تبخسوا

ولهم كلام يتراطنون به ليس بعربي ولا عجمي ولا بربري ولا قبطي ولا يعرفه غيرهم وهم على خلاف اخلاق اهل اطرابلس فان اهل اطرابلس احسن خلق الله معاشرة واجودهم معاملة وابرهم بغريب ومن سرت الى اطرابلس عشر مراحل ومن سرت الى اجدابية ست مراحل ومن اجدابية الى برقة ست مراحل ايضا ۞ مدينة اطرابلس ويذكر ان تفسير اطرابلس بالاعجمية الاغريقية ثلاث

مدن وسماها اليونانيون طربليطة وذلك بلغتهم ايضا ثلاث مدن لان طر معناه ثلاث وبليطة يعنى مدينة ويذكر ان اشبساروس قيصر هو الذى بناها وتسمى ايضا مدينة اطرابلس مدينة اناس وعلى مدينة اطرابلس صور صخر جليل البنيان وهى على شاطى البحر ومبنى جامعها احسن مبنى ولها اسوان حافلة جامعة وحمامات كثيرة فاضلة وباطرابلس مسجد يعرف بمسجد الشعاب مقصود وحولها اقباط فى ذى البربر كلامهم بالقبطية فى قرارات فى شرقيها وغربيها مسيرة ثلاثة ايام الى موضع يعرف ببنى السابرى وفى القبلة مسيرة يومين الى حد هوارة وفيها رباطات كثيرة ياوى اليها الصالحون اعمرها واشهرها مسجد الشعاب ومرساها مامون من اكثر الرياح ۞ ومغمداس ومنها الى قصور حسان مرحلة ومن سرت الى معمداس مرحلة ومن قصور حسان الى الراشدة وهى بير شريب سماها بهذا الاسم حسان بن النعمان هذا وانت تتوجه من مصر الى المغرب ومغمداس هو صنم قايم على شاطى البحر حوله اصنام وبه قصر بناه الاعرابى عامل سرت لبنى عبيد الله وبمغمداس التقا ابو الاحوص عمرو العجلى مع ابى الخطاب عبد الاعلى بن السمح الغايم بدعوة الاباضية فاقتتلوا على البحر فانهزم ابو الاحوص العجلى الى مصر واحتوى ابو الخطاب على معسكره وقتل بشرا كثيرا من اصحابه وانصرف الى اطرابلس وذلك سنة اثنتين واربعين ومائة ولما قتل زهير بن قيس ببرقة استعمل عبد الملك بن مروان حسان بن النعمان الغسانى على افريقية فخرج اليها فى المحرم سنة ثمان وستين فلقى عساكر الكاهنة بارض قابس وعلى مقدمتها القايد الذى كان مع كسيلة بن لمزم فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل صاحب خيل حسان بن النعمان

وانهزم حسان واصحابه الى المنهل المعروف بقصور حسان بطريق مصر وقتل من اصحابه عدد كثير واسر منهم نحو ثمانين رجلا فاحسنت الكاهنة اليهم واطلقتهم غير واحد وهو يزيد بن خالد القيسي فوصلوا الى حسان واخبروه بخبر يزيد فسر بذلك حسان وكتب الى عبد الملك يعلمه بما نزل به من الكاهنة ويسئله ان يمده بالجيوش فكتب اليه عبد الملك ان يقيم بمكانه فبنى هناك قصرين وهما اليوم خربان حولهما زعان نزر في بيرين وبها جنات كثيرة ۞ القصر الابيض وهو قصر خرب وهو ادنى المراحل الى خرايب ابى حليمة على ظهر العقبة بقربه جب خرب قال محمد اخبر بعض الاسكندرانيين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كثرت ذنوبه فليلقى لوبيا وراء ظهره قال والقصر الابيض اخر حد لواتة ايضا ويسكن تحت تلك العقبة مزاتة ومدينة اطرابلس كثيرة الثمار والخيرات ولها بساتين جليلة في شرقيها ويتصل بالمدينة سبخة كبيرة يرفع منها الملح الكثير وداخل مدينتها بير يعرف ببير ابى الكنود يعيرون به ويحمق من شرب منه فيقال للرجل اذا اتى بما لا يلام لا يعتب عليك لانك شربت من بير ابى الكنود واعذب ابارها بير القبة ۞ وذكر الليث بن سعد قال غزا عمرو بن العاصي مدينة اطرابلس سنة ثلاث وعشرين حتى نزل القبة التي على الشرف من شرقيها فحاصرها شهرا لا يقدر منهم على شيء فخرج رجل من مدلج ذات يوم من عسكر عمرو متصيدا في سبعة نفر فمضوا غربي المدينة فاشتد عليهم الحر فاخذوا راجعين على ضفة البحر وكان البحر لاصقا بسور المدينة ولم يكن فيما بين المدينة والبحر سور وكانت سفن البحر شارعة في مرساها الى بيوتهم ففطن المدلجي واصحابه فاذا البحر قد غاض من ناحية المدينة فدخلوا

منه حتى اتوا من ناحية الكنيسة فكبروا فلم يكـــن للروم مفزع الا سفنهم واقبل عمرو بجيشه حتى دخـل عليهم فلم يفلت الروم الا بما خف لهم في مراكبهم وغنم عمرو ما كـان في المدينة ۞ وانما بنى سور مدينة اطرابلس مما يـــلى البحر هرثمة بن اعين حين ولايته القيروان ۞

ولمدينة اطرابلس حصن يسمى سوججين يصاب فيه بعض السنين الحبة مائة حبة وهم يقولون حصن سوججين يصيب سنـة في سنين ومن اطرابلس الى جبل نفوسة مسيرة ثلاثة ايام وجبل نفوسـة على ستة ايام من القيروان وطول جبل نفوسة من الشرق الى الغرب ستة ايام وتليهم قبيلة يقـال لهم بنو زمّور ولهم حصـــن يسمى تيرفت في غاية المنعة لا يطمع فيه ولا يقدر احد عليه وبعد هذا الحصن قبيلة بـــنى تدرميت لهم ثلاثة حصـون وفي وسط هـذه القبايل مدينة كبيرة تسمى جادوا لها اسواق ويسكنها يهود كثير قال محمد بن يوسف ام قرى جبل نفوسة مدينة شروس وهي كبيرة اهلة جليلة اهلها اباضية ليس بها جامع ولا في ما حولهـــا من القرى وهي ازيد من ثلاث مـــاية قرية اهلة لم يتفقوا على رجـل يقدمونه للصلاة بهم وبين اطرابلس ومدينة شروس خمسة ايام بينهما حصن لبدة حصن من بناء الاول بالصـــاروج والحجر حوله اثار عجيبة للاول وخرايب كثيرة يسكن هذا الحصن قوم من العرب جملتهم نحو الف فارس وهم محاربون لجميع من يجاورهم من قبـايل البربر وهم ازيد من عشرين الف بين راجل وفارس وظاهرون عليهم وفي وسط جبل نفوسة النخيـل والزيتون الكثير والفواكه ويجتمع فيما حوله من القبايل اذا تداعوا ستـــة عشر الف رجل وافتتح عمرو بن العاصي رحمه الله نفوسة وكانوا نصارى ومن نفوسة رجـع

عمرو بكتاب عمر رضى الله عنه ۞ ومن اراد الطريق من نفوسة الى مدينة زويلة فانه يخرج الى مدينة جادوا المذكور ثم يسير ثلاثة ايام فى صحراء ورمال الى موضع يسمى تيرى وهو فى سفح جبل فيه ابار كثيرة ونخيل ثم يصعد فى ذلك الجبل فيمشى فى صحراء مستوية نحو اربعة ايام لا يجد ماء ثم ينزل على بير تسمى اودرف ومن هناك يلقى جبالا شامخة تسمى تارغين يسير فيها الذاهب ثلاثة ايام حتى يصل الى بلد يسمى تامرما فيه نخيل كثير يسكنه بنو فلدين وفزانة وعندهم غريبة وهو ان السارق اذا سرق عندهم كتبوا كتابا يتعارفونه فلا يزال السارق يضطرب فى موضعه ذلك ولا يفتر حتى يقر ويرد ما اخذ ولا يسكن عنه ما به حتى يمحى ذلك الكتاب وتسير من هذا البلد الى بلد يسمى سباب يومين وهو بلد كثير النخل وكذلك الذى قبله واهل سباب يزدرعون النبات الذى يكون منه الصبغ المعروف بالنيل وتسير من سباب فى صحراء مستوية لا شىء فيها غير رمل رقيق لا يشوبه حجر ولا مدر اذا راى الرائى العظم فى تلك الصحراء من بعيد حسبه قصرا وان راى بعرة حسبها رجلا ومن هذه الصحراء الى زويلة يوم وهى نحو فى مدينة اجدابية وهى مدينة غير مسورة فى وسط الصحراء وهى اول حد بلاد السودان وبها جامع وحمام واسواق تجتمع بها الرفاق من كل جهة منها ومنها يفترق قاصدهم وتتشعب طرقهم وبها نخيل وبساط للزرع يسقى بالابل ۞ ولما فتح عمرو برقة بعث عقبة بن نافع حتى بلغ زويلة وصار ما بين برقة وزويلة للمسلمين وبزويلة قبر دعبل بن على الخزاعى الشاعر قال بكر بن حماد

الموت غادر دعبلا بزويلة ‌‌ ‌‌ وبارض برقة احمد بن خصيب

وبين زويلة ومدينة اجدابية اربعة عشر مرحلة ولاهل زويلة

حكمة في احتراس بلدهم وذلك ان الذى عليه نوبة الاحتراس منهم يعمد الى دابة فيشد عليها حزمة حطب كبيرة من جرائد النخل تنال سعفها الارض ثم يدور بها حوالى المدينة فاذا اصبح من الغد ركب ذلك المحترس ومن يتبعه على جمال السروج وداروا بالمدينة فان راوا اثرا خارجا من المدينة اتبعوه حتى يدركوه اينما توجه لصا كان اوعبدا او امة اوبعيرا ۞ وزويلة من اطرابلس بين المغرب والقبلة ويجلب من زويلة الرقيق الى ناحية افريقية وما هنالك ومبايعاتهم بثياب فصار حمر وبين زويلة وبلد كانم اربعون مرحلة وهم وراء صحراء بلاد زويلة لايكاد احد يصل اليهم وهم سودان مشركون ويزعمون ان هنالك قوم من بنى امية صاروا اليها عند محنتهم بالعباسيين وهم على زى العرب واحوالها وبين مدينة زويلة ومدينة سبهى مسيرة خمسة ايام وهي مدينة كبيرة بها جامع واسواق وبين مدينة سبهى ومدينة هل مثل ذلك وهي مدينة عامرة كثيرة النخل وعيون الماء ومن مدينة هل الى مدينة ودان يوم ولها قلعة حصينة وللمدينة دروب وهي مدينتان فيها قبيلتـــان من العرب سهميون وحضرميون فتسمـــى مدينة السهميين دلباك ومدينة الحضرميين مدينة بوصى وجامعهما واحد بين الموضعين وبين القبيلتين تنازع وتنافس قد ءال ذلك بهم مرارا الى الحرب والقتال وعندهم فقهاء وقرّاء وشعراء واكثر معيشتهم من التمر ولهم زرع يسيـــر يسقونه بالنضح ومن مدينة ودان الى مدينة تاجرفت ثلاثة ايام وهي مدينة اهلة بهـــا جامع يسكنها اهل ودان والتمر بها كثير واكثر اجناسه البرني ومنها يخرج الى مدينة سرت وبينها وبين زويلة مسيرة اثنى عشـــر يوما وبينها وبين مدينة ودان مثل ذلك وهي متوسطة بينهما زويلة بغربيها

وودان بشرقيها هكذا قال محمد والذى مر هنـا من ذكر المسافة بين تاجرفت وزويلة اربعـة عشـر يوما على الطريق الاقصد ومن تاجرفت الى الفسطاط تسع وعشرون مرحلة ۞ وطريق اخـر من زويلة الى تاجرفت من زويلة الى مدينة تمـــسّى يومان ومدينة تمسى كبيرة بها جـــامع واسواق يسيرة ومنها الى مدينـة زلهى ثمانية ايام فى صحراء وفى وسط الطريق منزل لاهـل ودان ومدينة زلهى كبيرة واسعة فيها جامع ولها نخـــل كثيرة وعين ماء نزة يسكنها مزاتة ثم تمشى ستة ايام الى قصر بركانة ثم الى الفاروج وهو قصر قد خرب يجاورة جب وحوله سبخة وبينه وبين سرت خمس مراحل ثم الى مدينة اجد ابية مرحلة ثم منها ثلاثة ايام الى قصر زيدان الفتى ثم تمشى اربعة ايام الى مدينة اوجلة وهى مدينة عامرة كثيرة النخل واوجلة اسم الناحية واسم المدينة ارزاقية واوجلة قرى كثيرة فيها نخل وشجر كثير وفواكه وبمدينتها مساجد واسواق ثم اربعة ايام الى مدينة تاجرفت ومن سلك من اطرابلس الى ودان فانه يسير فى بلد هوارة نحـو الجنوب فى فسـاطط وبيوت شعر وهنـــاك مزعيات ومنازل الى قصر ابن ميمون وذلك كله من عمل اطرابلس ثم من قصر ابن ميمون ثلاثة ايام الى صنم من حجـــارة مبنى على ربوة يسمى كرزة ومن حواليه من قبايل البربر يقربون له القرابين ويستشفون به من ادوايهم ويتبركون به فى اموالهم الى اليوم ومن هذا الصنم الى ودان مسيرة ثلاثة ايام ۞ وكان عمرو بن العاصى قد بعث الى ودان بســـر بن ارطاة وهـو محاصر اطرابلس فافتتحها وذلك سنة ثلاث وعشرين قال ابن عبد الحكم ثم انهم نقضوا عهدهم ومنعوا ما كان بسر بن ارطاة فرض عليهم فخرج عقبـــة بن نافع الفهرى الى المغرب بعد معوية بن حديج وذلك سنة ست واربعين

ومعه بسر بن ارطاة وشريك بن سمى المرادى فاقبل حتى نزل
بغدامس من سرت فخلف عقبة جيشه هنالك واستخلف عليهم
زهير بن قيس البلوى ثم سار بنفسه فى اربع ماية فارس واربع
ماية بعير وثمانماية قربة ماء حتى قدم ودان فافتتحها واخذ
ملكهم فجدع اذنه فقال لمَ فعلت هذا وقد عاهدنى المسلمون قال
ادبا لك اذا مسست اذنك ذكرت فلم تحارب العرب واستخرج
منه ما كان بسر فرض عليه ثلاث ماية راس وستين راسا ثم سالهم
عقبة هل وراءكم احد قالوا جرمة وهى مدينة فزان العظمى فسار
اليها ثمانى ليال من ودان فلما دنا منها ارسل فدعاهم الى الاسلام
فاجابوا فنزل منهم على ستة اميال وخرج ملكهم يريد عقبة
وارسل عقبة خيلا حالت بينه وبين موكبه فامشوه راجلا حتى
اتى عقبة وقد لغب واعىّ وكان ناعما فجعل يبصق الدم فقال لمَ
فعلت هذا وقد اتيتك طايعا قال عقبة ادبا لك اذا ذكرته لم
تحارب العرب وفرض عليه ثلاث ماية عبد وستين عبدا ثم مضى
عقبة من فوره الى قصور فزان فافتتحها قصرا قصرا حتى انتهى الى
اقصاها ثم سالهم هل وراءكم من احد قالوا نعم اهل جاوان
وهو قصر عظيم على راس المفازة على راس جبل وعر وهو قصبة كوّار
فسار اليهم خمس عشرة ليلة فحاصرهم شهرا فلم يستطع لهم بشىء
فمضى امامه على قصور كوار فافتتحها حتى انتهى الى اقصاها وفيه
ملكها فاخذه وقطع اصبعه فقال لمَ فعلت هذا بى قال ادبا لك
اذا انت نظرت الى اصبعك ذكرت فلم تحارب العرب وفرض عليهم
ثلاثة ماية وستين راسا ثم سالهم هل من ورايكم احد فلم يعلموا
من ورايهم احدا فكرّ راجعا الى قصر جاوان فلم يعرض له ولا نزله
به وسار ثلاثة ايام فامنوا وانبسطوا واقام عقبة بمكان اسمه اليوم

ماء الفرس فنفد ماؤهم واصابهم عطش كاد يهلكهم فصلى عقبة باصحابه ركعتين ودعوا لله عزّ وجلّ فجعل فرس عقبة يبحث بيديه في الارض حتى انكشف عن صفا فانفجر منها الماء فنادى عقبة في الناس ان احتفروا فاحتفروا ماء معينا طيبا فسمى لذلك ماء الفرس ثم كر راجعا الى جاوان من غير طريقه التى اقبل منها فلم يشعروا به حتى طرقهم ليلا فوجدهم مطمئنين قد امنوا فاستباح ما في مدينتهم من ذراريهم ونسايهم واموالهم وقتل مقاتليهم ثم انصرف راجعا حتى اتى زويلة ثم ارتحل حتى قدم عسكره بعد خمسة اشهر فسار متوجها الى المغرب وجانب الجادّة واخذ الى ارض مزاتة فافتتح كل قصر بها ثم سار الى قفصة فافتتحها وافتتح قسطيلية ثم انصرف الى القيروان ۞

۞ الطريق من اوجلة المتقدمة الذكر الى الواحات ۞

من اوجلة الى بلد سنترية عشر مراحل في صحراء ورمال قليلة الماء وسنترية هذه كثيرة العيون والثمار والحصون اهلها بربر لا عرب فيهم ونسير من سنترية على طرق شتى الى اودية الواحات ومن سنترية الى بهنسى الواحات عشر مراحل وهي غير بهنسى الصعيد ومن بهنسى الواحات الى اريش الواحات ثماني مراحل ۞ بهنسى الواح مدينة مسورة فيها اسواق ومساجد وذكر محمد بن سعيد الازدي رجل من ابناء مدينة سفاقس انه دخلها وراى فيها في يوم عيد النصارى واهلها عرب مسلمون وقبط نصارى تابوتا فيه رجل ميت يحملونه على عجلة يسمونه ابن قرمي ويزعمون انه من الحواريين يطوفون به في سكك البلد ويتبركون بذلك ويتقربون الى الله

تجمّ تلك الحجلة البقر بان نفرت من موضع ولم تسر فيه علموا ان في ذلك الموضع نجاسة ۞ واريش بلد كثير العيون الحارّة والثمار والنخيل مياهها كلها حامة ومن اريش ثلاثة ايام الى القرقرون وبالقرقرون معادن الشبوب المربّش والقصبى وفيه انواح الزاج وفيه العيون الحامضة وغير ذلك من المياه المختلفة الاطعمة والقرقرون هذا بلد كثير الاشجار والنخيل وفيه قرى كثيرة واهلها قبط نصارى وتسير من القرقرون الى الواح الداخل اربع مراحل في صحراء لا ماء فيها ولا عمارة وهذا الواح الداخل كثير الانهار والعمارات والحصون منها حصن يسمى بالقصر في وسط عين ماء ثرثار يتشعب منه انهار تسقى زرعهم ونخلهم وثمارهم وتسير منه في قرى متصلة الى حصن يسمى قلمون مياهه حامضة منها يشربون ويسقون وبها فوامهم وان شربوا سواها من المياه العذبة استوبؤوه واخر هذا الواح الداخل قرية كبيرة تسمى القصبة لها مياه عذبة سايحة تسقى نخلها وثمارها ولها ثلاث اعين ملحة يجتمع ماؤها في سباخ فيكون ملحا ملح العين الواحدة ابيض وملح العين الثانية احمر وملح العين الثالثة اصفر وهذا الاصفر هو المستعمل بمصر وبرقة ومن هذا الواح الى الواحين الخارجين ثلاث مراحل وهو اخر بلاد الاسلام وبينه وبين بلاد النوبة في صحراء ست مراحل وفي بعض الواحات قبايل من لواتة وزعموا ان في اقصى الواحات بلد يقال له واح صبرو وانه بلد لا يقع عليه الا من قد ضل في الصحراء في النادر من الزمان فالواقع عندهم يقول انه يكون في بلادهم ما شاء وهم في اخصب عيش فاذا اراد الرجعة اروه صوب بلاده وقد وقع في هذا البلد من عرب بني قرّة رجمة بن قايد القرى ورجع الى موضعه ثم طلبه بعد ذلك فلم يقدر عليه فاعدّ مقرب بن ماضي امير

بنى فرة بعد عشرين واربع ماية من الهجرة زادا وماء كثيرا وظهرا وذهب في الصحراء يطلب واح صبروا وبقى يجول في الصحـــراء مدة فلم يقدر عليها حتى خاف من نفاد الزاد فكرّ راجعا فنزل ذات ليلة ربوة من الارض في بهماء تلك الصحارى فوجد بعض اصحابه في ناحية من تلك الربوة بنيانا للاول فبحثوا عنه فاذا هو لبن نحاس احمر محيط بالربوة اساس سور للاول فاوفروا منه جميع مـا كان عندهم من الظهر ورحلوا عنه ولو قدروا على اصـــابة موضعه لم يفرغ من نقل ما فيه من النحاس الا في الزمان الطويل واتى مرقب في منصرفه الواح الخارج فاخبره رجل من اهله انه غدا الى حايطه فوجد اكثر تمرة قد اكل ووجد اثر قدم انسان لا يشبه هذا الخلف في العظم فاحترسه هو واهله ليالى حتى طرقهم في بعض الليالى خلف عظيم لم يعهد مثله وجعل ياكل التمر فلما اهمّوا به واحسّ بهم بارى الريح حضرا ولم يعلموا له امرا فنهض معهم مقرب الى الاثر حتى وقف عليه فاستعظمه وامرهم ان يحفروا زبية في الموضع الذى كان يدخل منه ويغطوا اعلاها بالحشيش ويرقبوه ليالى تباعا ففعلوا فلما كان بعد ليال اقبل على عادته فتردى في الزبيـة فبدروا فغلبوه بكثرتهم وترديه فاذا هي امراة ســـوداء عظيمة الخلق مفرطة الطول والعرض لا يفقه منها كلمة فكلموها بكل لسان علم هنالك فلم تجاوب منهم احدا فبقيت عندهم اياما ياتمرون في امرها ثم اتفقوا على ارسالها وركوب النجب والخيـل في اثرها الى ان يقفوا منها ومن موضعها على حقيقة خبر فلما ارسلت لم يكن طرف العين يلحقها وفاتت شـاو النجب والخيل ولم يقف احد من امرها على حقيقة ۞ ويذكرون ان هناك رمال عظيمة تعرف بالجزاير كثيرة النخل والعيون لا عمران فيهـــا ولا انس بهـا وان

عزيف الجن يسمع بها الدهر كله وربما افام بهـا غزاة السودان ولصوصهم لانتهاز الفرصة فى المسلمين ويتكادس التمر هناك اعواما لا يفع عليه احد ولا يبلغ اليه حتى ينتجعه النـاس فى السنين الجدبة وعند الحاجة والضرورة ۞

۞ فاما الطريف من اطرابلس الى فابس ۞

فمن اطرابلس الى صبرة وهو بلد معمور يسكنه زواغة ثم الطريف من صبرة على مـا تفدم فبل هذا عند ذكر الطريف الى الفيروان ومدينة فابس مدينة جليلة مسورة بالصخر الجليل من بنيان الاول ذات حصن حصين ورباض واسواق وفنادق وجامع سرىّ وحمامات كثيرة وفد احاط بجميعها خندق كبير يجرون اليه الماء عند الحاجة فيكون امنع شىء ولها ثلاثة ابواب وبشرفيها وفبليها ارباضها ويسكنها العرب والافارف وفيها جميع الثمار والموز بها كثير وهى تمير الفيروان باصناف الفواكه وبها شجر التوت الكثير ويفوم من الشجرة الواحدة منها من الحرير ما لا يفوم من خمس شجرات من غيرهـا وحريرهـا اطيب الحرير وارقّه وليس فى جمـل افريفية حرير الا فى فابس واتصال بساتين ثمارها مفدار اربعة اميـال ومياهها سايحة مطردة يسفى بها جميع اشجارها واصل هذا المـاء من عين خرّارة فى جبل بين الفبلة والغرب منها يصب فى بحرها وبها فصب السكر كثير وبفابس منار منيف ويحدو الحادى عند فدومه من مصر الى افريفية فيفول

لا نَومَ لا نوم ولا فرارا   حتى ارا فابس والمنارا

وساحل مدينة فابس مرفا للسفن من كل مكـان وحوالى فابس

قبايل من البربر لواتة ولماية ونفوسة ومزاتة وزواغة وزوارة وقبايل شتى اهل اخصاص وكانت ولايتها منذ دخل عبيد الله افريقية تتردد في بني لقمان الكتامي قال الشاعر

لولا ابن لقمانَ حليف الندَى سُلّ على قابس سيف الردَى

ويجاورها جزيرة في البحر تعرف بجزيرة رازوا بينهما مسيرة اكثر من يوم عامرة اهلة وكثيرا ما يمتنع اهلها على السلاطين وبين مدينة قابس والبحر ثلاثة اميال ومما يذكرون من معايبها ان اكثر دورهم لا مذاهب فيها وانما يتبرزون في الافنية ولا يكاد احد منهم يفرغ من قضاء حاجته الا وقد وقف عليه من يبتدر اخذ ما يكون منه لتدمين البساتين وربمـــا اجتمع على ذلك النفر فيتشاحّون فيه فيخصّ به من اراد منهم وكذلك نساؤها لا يرين في ذلك عليهن حرجا اذا استترت احداهن وجهها ولم يعلم من هي ويذكر اهل قابس انها كانت اصح البلاد هواء حتى وجدوا بها طلسما ظنوا ان تحته مالا فحفروا موضعه فاخرجوا منه تربة غبراء فحدث عندهم الوباء من حينئذ بزعمهم واخبر ابو الفضل جعفر بن يوسف الكلبي وكان كاتبا لمونس صاحب افريقية انهم كانوا في ضيافة ابن وانمّو الصنهاجي صاحب مدينة قابس فاتاه جماعة من اهل البادية بطاير على قدر الحمامة غريب اللون والصورة ذكروا انه لم يروه قبل ولا عهدوه كان فيه من كل لون اجمله وهو احمر المنقار طويله فسال ابن وانمّو من حضره من العرب والبربر وغيرهم هل رءاه احد منهم فلم يعرفه احد ولا سماه فامر ابن وانمّو بقص جناحيه وارسل في القصر فلما جن الليل جعـــل في القصر مشعل نار فما هو الا ان رءاه ذلك الطاير فقصده فصده واراد الصعود اليه فدفعه الخدّام وجعل يلحّ في التكرار على المشعل

فاعلم ابن وانموا بذلك فقام وقام من حضر معه قال جعفر وكنت فيمن حضر فامر ابن وانموا بترك الطاير وشـــانه فصـــار فى اعلى المشعل وهو يتاج نارا واستوى فى وسطه وجعل يتفلّى كما يفعل ساير الطير فى الشمس فامر ابن وانموا بزيادة الوقود فى المشعل من خرق القطران وغير ذلك فزاد تاج النار والطاير فيه على حالته لا يكترث ولا يبرح ثم وثب من المشعل بعد حين يمشى لم يربه ريب واخبر قوم من اهل افريقية انهم سمعوا خبر هذا الطاير بمدينة قابس والله اعـــلم بحقيقة ذلك وعلى مقربة من قابس جزيرة جربة فيها بساتين كثيرة وزيتون كثير واهلها مفسدون فى البر والبحر وهم خوارج وبينهـا وبين البر الكبير مجاز ۞ قال حنش بن عبد الله الصنعانى غزونا مع رويفع بن ثابت الانصـارى المغرب فافتتح قرية من قرى المغرب يقال لها جربة فقام فينا خطيبا فقال ايها النـاس لا اقول فيكم الا ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فينا يوم خيبر قام فينـا رسول الله فقال لا يحلّ لامرءى يومن بالله واليوم الاخر ان يسقى ما زرع غيره يعنى اتيـان الحبـالى من السبى

۞ الطريق من مدينة قابس الى سفاقس ۞

من مدينة قابس الى عين الزيتونة وهى عين جارية على بحر ميت عليها مرصد لجابى افريقية وهى عين مذكورة فى كتب حدثان افريقية قال ابن اغلب فى ارجوزته التى يذكر فيها وقايع افريقية

عند حلول الجيش بالزيتونة تكن هنـــاك الوقعة الملعونة

ومن عين الزيتونة الى تاورغ وهو منزل عامر فى طرف ساحل الزيتون ومن هناك الى قابق وهو بلد معمور ومنه الى مدينة سفاقس وهى مدينة على البحر مسورة ولهـــا اسوان كثيرة ومساجد وجامع

وسورها صخر وطوب ولها حمامات وفنادق وبواد عظيمة وقصور جمة وحصون ورباطات على البحر منها محرس بطوبة وهو اشرفها وفيها منار مفرط الارتفاع يرقى اليه في مائة وست وستين درجة ومحرس حبلة ومحرس ابي الغُصن ومحرس مقدمان ومحرس اللوزة ومحرس الريحانة ۞ وسفاقس في وسط الذّ غابة زيتون ومن زيتها يمتار اهل مصر واهل المغرب وصقلية والروم وربما بيع الزيت منها اربعين رُبعًا قرطبية بمثقال واحد وهي محط السفن فاذا جزر الماء بقيت السفن في الحماة واذا مدّ رجعت السفن فقصدها التجار من الافاق بالاموال الجزيلة لابتياع المتاع والزيت وعمل اهلها في القصارة والكمادة كعمل اهل الاسكندرية واكثر واجود ويقابل سفاقس في البحر جزيرة تسمى قرقنة وهذه الجزيرة في وسط القصير بينها وبين مدينة سفاقس في ذلك البحر الميت القصير القعر نحو عشرة اميال وليس للبحر هناك حركة في وقت وبحذاء هذا الموضع في البحر على راس القصير بيت مشرف مبنى بينه وبين البر الكبير نحو اربعين ميلا فاذا راى قلبَ البيت اصحابُ السفن الواردة من الاسكندرية والشام وبرقة اداروها الى مواضع معلومة وجزيرة قرقنة المذكورة فيها اثار بنيان ومواجل للماء ويدخل فيها اهل سفاقس دوابهم ومواشيهم لانها خصبة

۞ الطريق من سفاقس الى القيروان ۞

من مدينة سفاقس الى طرق وهو بلد معمور ومنه الى قصر رباح وهو معمور ايضا ومن قصر رباح الى القيروان ۞

۞ الطريق من سفاقس الى المهدية ۞

من سفاقس الى لجم وهو حصن الكاهنة وهو طرق سوق الحُسيني

وفي هذا السوق قرية كبيرة اهلة تعرف بارزلس بها جامع وحمام واسواق وهي من قرى الساحل ومن لجم الى مدينة المهدية ۞

۞ ذكر افريقية وبلادها وحدودها ولِمَ سميت افريقية وذكر غرايبها ۞

قال قوم انها افريقية اى صاحبة السماء وقال اخرون سميت افريقية لان افريقس ابن ابرهة بن الرايش غزا نحو الغرب حتى انتهى الى طنجة في ارض بربر وهو الذى بنى افريقية وباسمه سميت وقيل سميت بافريق ابن ابرهيم عليه السلام من زوجته الثانية قطورى وقال قوم انما سموا الافارقة وبلادهم افريقية لانهم من ولد فارق بن مصريم وقد زعموا ان اسم افريقية ليبية سميت ببنت يافوة بن يونش الذى بنى مدينة منفيش بمصر وهي التى ملكت ملك افريقية اجمع فسمى بها ۞ وحد افريقية طولها من برقة شرقا الى طنجة الخضراء غربا واسم طنجه مورطانية وعرضها من البحر الى الرمال التى هي اول بلاد السودان وهي جبال ورمال عظيمة متصلة من الغرب الى الشرق وفيه يصاد الفنك الجيد وروى جماعة عن سحنون بن سعيد وموسى بن معويه جميعا عن ابن وهب عن سعيد بن ابى ايوب عن شرحبيل بن سويد عن ابى عبد الرحمن الجبلى قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية فقفلوا فذكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم شدة برد اصابهم فقال رسول الله لكن افريقية اشد بردا واعظم اجرا واسنداه ايضا عن ابن وهب عن ابن لهيعة عن بكر بن سوادة الجذامى ان سفين بن الحرث حدثهم عن اشياخهم انهم قالوا للمقداد بن الاسود صاحب النبى صلى الله عليه وسلم انك ثقلت وانت تخرج في هذه المغازى

فقال خفيفا كنت او ثقيلا لا اتخلف عنها لان الله تبارك وتعالى
يقول انفروا خفافا وثقالا ثم قال فقدمت سرية على النبى صلى الله
عليه وسلم فذكروا البرد فقال قال رسول الله ان البرد الشديد
والاجر العظيم لاهـــل افريقية وروى ابن ابى العرب قال حدثنى
فرات حدثنى عبد الله بن ابى حسان عن عبد الرحمن بن زياد
ابن انعم عن ابى عبد الرحمن الحبلى قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ينقطع الجهاد عن البلاد كلها فلا يبقى الا بموضع فى المغرب
يقال له افريقية فبينا القوم بازاء عدوهم نظروا الى الجبال قد سيّرت
فيخرّون لله تبارك وتعالى سجّدا فلا ينزع عنهم اخلافهم الا خدّامهم
فى الجنة وكان عبد الرحمن بن زياد بن انعم يقول ينقطع الجهاد
من كل بلد وسيعود الى افريقية وليضربنّ القبايل من الافاق الى
افريقية لعدل امامهم ورخص اسعارهم وروى ابن ابى العرب عن
عبد الله بن عمر العمرى عن ابن لهيعة عن ابى قبيل عن عبد الله
ابن عمرو انه قال والله ليباعن الجمل بمصر بعشرة دنانير ثم ليباعنّ
بماية دينار لمغالاة الناس بها وكانى اسمع صرير المحامل على عقبة
الثنية من مصر الى افريقية يطلبون بها الجهاد والعدل وليملكنّ
افريقية رجل يعدل فيهم اثنين وعشرين او اربعة وعشرين سنة

۞ ذكر مسجد القيروان ۞

قد تقدم ان اول من وضع محرابه وبناه عقبة بن نافع ثم هدمه
حسان حاشى المحراب وبناه وحمل اليه الساريتين الحمراوين
الموشّاتين بصفرة اللتين لم ير الراؤون مثلها من كنيسة كانت
للاول فى الموضع المعروف اليوم بالقيسارية بسوق الضرب ويقولون
ان صاحب القسطنطينية بذل لهم فيهما قبل نقلهما الى الجامع

زنتها ذهبا فابتدروا الجامع بهما ويذكر كل من راهما انه لم ير في البلاد ما يفتتن بهما فلما كانت خلافة هشام بن عبد الملك كتب اليه عامله على القيروان يعلمه ان الجامع يضيق باهله وان بجوفيه جنة كبيرة لقوم من فهر فكتب اليه هشام يامر بشريها وان يدخلها المسجد الجامع ففعل وبنى في صحنه ماجلا وهو المعروف بالماجل القديم بالغرب من البلاطات وبنى الصومعة في بير الجنان ونصب اساسها على الماء واتفق ان وقعت في نفس الحايط الجوفي واهل الورع يكرهون الصلاة في هذه الزيادة ويقولون انه اكره اهل الجنة على بيعها والصومعة اليوم على بنائه طولها ستون ذراعـــا وعرضها خمسة وعشرون ولها بابان شرقي وغربي وعضايد بابيها رخام منقش وكذلك عتبتهما فلما ولى افريقية يزيد بن حـــاتم سنة خمس وخمسين ومائة هدم الجامع كله حاشى المحراب وبنــــاه واشترى العمود الاخضر بمال عريض جزل ووضعه فيه وهو الذى كان يصلى عليه القاضى ابو العبـاس عبدون فلما ولى زيادة الله بن ابراهيم ابن الاغلب هدم الجامع كله واراد هدم المحراب فقيل له ان من تقدمك من الولاة توقفوا عن ذلك لما كان واضعه عقبة بن نافع ومن كان معه فلج في هدمه لئلا يكون في الجامع اثر لغيره حتى قال له بعض البناة انا ادخله بين حايطين ولا يظهر في الجامع اثر لغيرك فاستصوب ذلك وفعله فهو على بنائه الى اليوم والمحراب كله وما يليه مبنى بالرخام الابيض من اعلاه الى اسفله مخرّم منقوش كله منه كتابة تقرا ومنه تدبيج مختلف الصنـــاعة يستدير به اعمدة رخام في غاية الحسن والعمودان الاحمران المذكوران يقابلا المحراب عليهما القبة المتصلة بالمحراب وعدد ما في الجـــامع من الاعمدة اربع مائة واربعة عشر عمودا وبلاطاته سبعة عشر بلاطا

وطوله مايتان وعشرون ذراعا وعرضه ماية وخمسون ذراعا وكانت فيه مقصورة فلم يزل بناء زيادة الله فيه والمقصورة اليوم انما هى دار بقبلى الجامع بابها فى رحبة التمر لها باب عند المنبر يدخل منه الامام بعد ان ينزل فى هذه الدار حتى تقرب الصلاة وبلغت النفقة فى بنيانه ستة وثمانين الف مثقال ولما ولى ابراهيم بن احمد ابن الاغلب زاد فى طول بلاطات الجامع وبنى القبة المعروفة بباب البهو على اخر بلاط المحراب وفى دورها اثنان وثلاثون سارية من بديع الرخام وفيها نقوش غريبة وصناعات محكمة عجيبة يشهد كل من راها انه لم ير مبنى احسن منه وقد فُرش من الصحن بين ايدى البلاطات نحو خمس عشرة ذراعا وللجامع عشرة ابواب ومقصورة للنساء فى شرقيها بينها وبين الجامع حايط اخر مخرّم محكم العمل ۞ ومدينة القيروان فى بساط من الارض مديد من الجوف منها بحر تونس وفى الشرق بحر سوسة والمهدية وفى القبلة بحر اسفاقس وقابس واقربها منها البحر الشرقى بينها وبينه مسيرة يوم وبينها وبين الجبل مسيرة يوم وبينها وبين سواد الزيتون المعروف بالساحل مسيرة يوم وشرقيها سبخة ملح عظيم طيب نظيف وساير جوانبها ارضون طيبة كريمة واحسنها الجانب الغربى وهو المعروف بفحص الدرّارة يصاب فيه فى السنة الخصبة للحبة ماية وهَوَاءُ هذا الجانب طيب صحيح وكان زياد بن خلفون المتطبب اذا خرج من القيروان يريد مدينة رقّادة وحاذى باب اصرم رفع العمامة عن راسه يباشر الهواء براسه كالمتداوى به لصحته وللقيروان من القديم سبع محارس اربعة خارجها وثلاثة داخلها وكان للقيروان فى القديم سور طوب سعته عشرة اذرع بناه محمد بن الاشعث ابن العقبة الخزاعى سنة اربع واربعين وماية وهو اول قايد دخل

افريقية للمسوّدة وكان في قبليه باب سوى الاربعة وهو بين القبلة والمغرب وبين القبلة والشرق باب ابى الربيع وفي شرقيه باب عبد الله وباب نافع وفي جوفيه باب تونس وفي غربيه باب اصرم وباب سلم بهدم هذا السور زيادة الله بن ابراهيم المعروف بالكبير سنة تسع ومايتين لما قام عليه اهل القيروان مع المنصور المعروف بالطنبذى فلما انهزم عن القيروان يوم الاربعاء للنصف من جمادى الاولى من هذه السنة وخرج اهل القيروان الى زيادة الله يرغبوا في العفو عنهم والصفح هدم سور القيروان عقوبة لهم ثم بناه المعز بن باديس بن منصور الصنهاجى سنة اربع واربعين واربعماية ومبلغ تكسيره اثنان وعشرون الف ذراع وجعل السور مما يلى صبرة كالفصيل حايطان يتصلان الى مدينة صبرة وبينهما نحو نصف ميل ولا سبيل لتاجر ولا وارد ان يُدخل مدينة القيروان ما يجب عليه فيه المكس الا بعد جوازه على مدينة صبرة وللمدينة اليوم اربعة عشر بابا منها المذكورة وباب النخيل والباب الحديث والفصيل بابان وباب الطراز والباب الحديث وباب القلّالين وباب ابى الربيع وباب سحنون الفقيه ومدينة صبرة متصلة بالقيروان بناها اسماعيل سنة سبع وثلاثين وثلاثماية واستوطنها وسماها المنصورية وهي منزل الولاة الى حين خرابها ونقل اليها معد بن اسماعيل اسواق القيروان كلها وجميع الصناعات ولها خمسة ابواب الباب القبلى والباب الشرقي وباب زويلة وباب كتامة وهو جوفي وباب الفتوح ومنه كان يخرج بالجيوش ويذكر انه كان يدخل واحد ابوابها كل يوم ستة وعشرون الف درهم وكان سماط سوق القيروان قبل نقله الى المنصورية متصلا من القبلة الى الجوف وطوله من باب ابى الربيع الى الجامع ميلان غير ثلث ومن الجامع الى باب تونس ثلثا

ميل وكان سطحا متصلا فيه جميع المتاجر والصناعات وكان امر
بترتيبه هكذا هشام بن عبد الملك وخارج مدينة القيروان خمسة
عشر ماجلا للماء سقايات لاهلها منها من بنيان هشام بن عبد
الملك وغيره واعظمها شانا وافخمها منصبا ماجل ابى ابراهيم احمد
ابن محمد بن الاغلب بباب تونس وهو مستدير متناهى الكبر فى
وسطه صومعة مثمنة فى اعلاها قصبة لرقبة مفتحة على اربعة ابواب
على احد عشر رجلا لا خلل بينهم كيلا يصل نحط فاذا امتلا
الماجل كان ذلك وسطح هذه القصبة نحو ذراعين كان ابن الاغلب
يدخل الى هذه القبة فى مركب يسمى بالزلاج ويتصل بهذا
الماجل فى قبليه اقباء طويلة معقودة ازاجا على ازاج وكان زيادة
الله قد بنى على غربى هذا الماجل قصرا وبجوفى هذا الماجل
ماجل لطيف متصل به يسمى الفسقية يقع فيه ماء الوادى اذا
جرى ينكسر فيه شدة جريان الماء ثم يدخل منه الى الماجل
الكبير اذا ارتفع الماء فى الفسقية قدر قامتين على باب بين الماجلين
يسمى السرح وهذا الماجل عجيب الشان غريب البنيان وكان عبيد
الله يقول رايت بافريقية شيئين لم ار مثلهما بالشرق الحبيس الذى
بباب تونس يعنى الماجل والقصر الذى بمدينة رقادة المعروف
بقصر البحر وفى القيروان ثمانية واربعون حماما واُحصى ما ذبح
بالقيروان فى بعض ايام عاشورا من البقر خاصة فانتهى تسع ماية
وخمسين راسا ومن عجايب القيروان انهم يحتطبون الدهر من
زيتونها ليس لهم محتطب غيره وان ذلك لا يؤثر فى زيتونها ولا
ينقص منه وسنة اثنتين وخمسين سُبيت القيروان واخليت ولم
يبق فيها الا ضعفاء اهلها ۞ والقفيز بالقيروان واعمالها ثمانى ويبات
والويبة اربعة اثمان والثمنة ستة امداد بمد اوفى من مد النبى صلى

الله عليه وسلم ومقدار تلك الزيادة في القفيز كله اثنا عشر مدا بصار القفيز القروى مايتي مد واربعة امداد بمد النبي وذلك بكيل قرطبة خمس اقفزة غير ستة امداد ورطل اللحم والتين وساير الماكولات عندهم عشرة ارطال بلفلية وقفيز الزيت عندهم ثلاثة ارطال بلفلية والمطر عندهم كيل يسع خمسة اقفزة من زيت ۞ مدينة رقّادة وهي من القيروان على اربعة اميال ودورها اربعة وعشرون الف ذراع واربعون ذراعا واكثرها بساتين وليس بافريقية اعدل هواء ولا ارقّ نسيما ولا اطيب تربة من مدينة رقادة ويذكر ان من دخلها لم يزل ضاحكا مستبشرا من غير سبب وذكروا ان احد بني الاغلب ارق وشرد عنه النوم اياما فعالجه اسحق الذي ينسب اليه اطريفل اسحق فلم ينم فامر بالخروج والمشى فلما وصل الى موضع رقادة نام فسميت من يومئذ رقادة واتخذت دارا ومسكنا وموضع فرجة للملوك والذي بنى مدينة رقادة واتخذها دارا ووطنا ابراهيم بن احمد وانتقل اليها من مدينة القصر القديم وبنى بها قصورا عجيبة وجامعا وعمّرت بالاسواق والحمامات والفنادق ولم تزل بعد ذلك دار ملك لبني الاغلب الى ان هرب عنها زيادة الله من ابي عبد الله الشيعي وسكنها عبيد الله الى ان انتقل الى المهدية سنة ثمان وثلاثماية وكان ابتدا تاسيس ابراهيم لها سنة ثلاث وستين ومايتين فلما انتقل عنها عبيد الله الى المهدية دخلها الوهن وانتقل عنها ساكنوها ولم تزل تخرب شيًا بعد شيء الى ان ولى معد بن اسماعيل فخرب ما بقي منها وعفا اثارها وحرث منازلها ولم يبق منها غير بساتينها ولما بناها ابراهيم بن احمد وجعلها داره منع بيع النبيذ بمدينة القيروان واباحه بمدينة رقادة فقال بعض الظرفاء من اهل القيروان

يا سيّد الناس وابن سيدهم ومن اليه الرفاب منفـادَةٌ
ما حـرّم الشرب في مدينتنا وهو حـلال بارض رفّادَةٌ

فال محمد بن يوسف انما سميت بهذا الاسم لان ابا الخطاب عبد الاعلى بن السمح المعافرى الفايم بدعوة الاباضية باطرابلس لمـا نهد الى الفيروان لفتال ورفجومة وكانوا فد تغلبوا عليها مع عاصم ابن جميل النفى بهم بموضع رفادة وهي اذذاك مُنية بفتلهم هناك فتلا ذريعا فسميت رفادة لرفاد جثثهم بعضها فوف بعض ۞ فاما مدينة الفصر الفديم فان الذى اسسها ابراهيم بن الاغلب بن سالم سنة اربع وثمانين ومائة وصارت دار امراء بنى الاغلب وهي بفبلى مدينة الفيروان وعلى ثلاثة اميال منها بها جامع له صومعة مستديرة مبنية بالاجر والعمد سبع طبفات لم يبن احكم منها ولا احسن منظرا وحمامات كثيرة وفنادن واسوان جمة ومواجل للماء واذا فحطت الفيروان وففد الماء في مواجلها نفلوا الماء من مدينة الفصر وكان لها من الابواب باب الرحمة فبلى وباب الحديد فبلى وباب غلبون شرفي وباب الريح شرفي وباب السعادة غربى يفابل المفبرة الكبيرة وداخل المدينة رحبة كبيرة واسعة تعرف بالميدان ويجاور مدينة الفصر بفبة تعرف بالرصافة ولما انى ابراهيم مدينة الفصر وانتفل اليها خرّب دار الامارة التى كانت بالفيروان بفبلى الجامع منذ بنيت واذا خرج المتوجه الى مصر من الفيروان على باب الطراز يلفى مدينة الفيروان بيسرة ويسلك بين مدينة رفادة ومدينة الفصر فاول ما يلفى وادى السراويل شتوى ثـم المنية المعروفة وهي كبيرة اهلة ثـم فرية زرور وهي كثيرة البفول لا سيما الجزر واهلها فوم يضرب بهم المثل في سوء الحال بافريفية يفال مشايخ زرور شهد منهم سبعة على فبضة اسفنارية ففال الحاكم للطالب زد

بيّنه ثم وادى الطرفاء كبير شتوى اذا حمل اهلك ما حوله من القرى والمنازل وسعته اذا حمل ازيد من ثلاثة اميال ثـــم مدينة قلشانة من القيروان اليها اثنا عشر ميلا كبيرة اهلة بها جامع وحمام ونحو عشرين فندقا وهى كثيرة البساتين وشجر التين واكثر تين القيروان الاخضر منها وابواب الدور بمدينة قلشانة قصار ليس يدخلها الدواب فعلوا ذلك خوفا من نزول العمّال والجباة ۞

مدينة المهدية منسوبة الى عبيد الله المهدى الذى بناهـــا على ما ذكر فى التاريخ وبينها وبين القيروان ستـــون ميلا تخرج من القيروان فتنزل منزل كامل ثم تخرج منهـا فناتى المهدية وطريق اخر تخرج من القيروان الى مدينة تُمـــاجِر مرحلة الى المهدية مرحلة اخرى ومدينة تماجر كبيرة اهلة بهـــا جامع واسواق وفنادق وحمام وماؤها زعاق وفى وسطها غدير مـــاء وحولها غابة زيتون وشجر اعناب وبين مدينة تماجر والمهدية الوادى المالح الذى كانت فيه الوقعة المشهورة بين ابى يزيد وابى القاسم فقتل فيها من اصحاب ابى القاسم عدد لا يحصى ففر منه ابو القاسم فيمن كـان يختص به والبحر قد احاط بها من ثلاث جهاتهـا وانمـا يُدخل اليها من الجانب الغربى ولها ربض كبيــر يعرف بزُويلة فيه الاسواق والحمـام ومساكن اهلهـا وبنى على الربض المعز بن باديس سورا يحيط به وطولها اليوم نحو ميلين وعرضها يضيق ويتسع واوسعه اقلّه من بسط طولها وجميع بنيانها بالصخر ولمدينتها بابا حديد لا خشب فيهما زنة كل باب الف قنطار وطوله ثلاثون شبـرا فى كل مسمار من مساميرها ستة ارطال وفى البابين صور الحيوان وفى المهدية من المواجل العظام ثلاث ماية وستون غير ما يجرى اليها من القناة التى فيها والماء الجارى بالمهدية جلبه عبيد الله من قرية مَنانُش وهى

على مغربة من المهدية في افداس ويصب في صهريج داخل المهدية عند جامعها ويرفع من الصهريج الى القصر بالدواليب وكذلك يستقى ايضا بقرب منانش من الابار بالدواليب ويصب في محبس يجرى منه في تلك القناة وهي مرفا لسفن الاسكندرية والشام وصقلية والاندلس وغيرها ومرساها منقور في حجر صلد يسع ثلاثين مركبا على طرفي المرسى برجان بينهما سلسلة من حديد فاذا اريد ادخال سفينة فيه ارسل حرّاس البرجين احد طرفي السلسلة حتى تدخل السفينة ثم مدوها كما كانت بعد ذلك لئلا يطرقها مراكب الروم وعرض المدخل الى المهدية من القبلة الى الجوف قدر غلوة وردم عبيد الله من البحر مثل ذلك وادخله في المهدية فانسع الموضع وفيه ستة عشر برجا ثمانية منها في السور الاول وثمانية في الزيادة منها برج ابى الوزان النحوى وبرج عثمان وبرج عيسى وبرج الدهّان نسبت اليهم لقرب مساكنهم منها والجامع ودار المحاسبات فيما ردم من البحر وغير ذلك من المنازل والجامع سبعة بلاطات متقن البناء حسنه وقصر عبيد الله كبير سريّ المبانى بابه غربي وقصر ابنه ابى القاسم بازائه بابه شرقي بينهما رحبة فسيحة ودار الصناعة بشرقي قصر عبيد الله تسع اكثر من مايتى مركب وفيها قبوان كبيران طويلان لالات المراكب وعددها لئلا ينالها شمس ولا مطر وكان سبب بنيان عبيد الله المهدية قيام ابى عبد الله وجماعة كتامة عليه وما حاولوه من خلعه وقتل اهل القيروان رجال كتامة فكان ابتداؤه بالنظر فيها سنة ثلاث مائة وكمل سورها سنة خمس وانتقل اليها سنة ثمان في شوال وكان لها ارباض كثيرة اهلة عامرة اقربها اليها ربض زويلة فيه الاسواق والحمامات وربض الحِمَى كان مسكنا لاجناد افريقية من العرب والبربر وقصر ابى سعيد

وبقّة وفاساس والغيطنة وربض قفصة وغيرها ولم تزل دار ملك لهم الى ان ولى الامر اسماعيل بن القايم سنة اربع وثلاثين وثلاثماية فسار الى القيروان محاربا لابى يزيد واتخذ مدينة صبرة واستوطنها بعده ابنه معدّ وخلت اكثر ارباض المهدية وتهدمت ومن المهدية الى مدينة سلقطة ثمانية اميال ومن المهدية الى قصر لجم وهو المعروف بقصر الكاهنة ثمانية عشر ميلا ويذكر ان الكاهنة حصرها العدو في ذلك القصر فحفرت سربا في صخرة صمّاء من هذا القصر الى مدينة سلقطة يمشى فيه العدد الكثير من الخيل وكان ينتقل اليها فيه الطعام وساير ما تحتاج اليه ومن مدينة سلقطة الى قصر لجم هذا ثمانية عشر ميلا ايضا وفي دور قصر لجم نحو ميل وهو مبنى بحجارة طول الحجر منها خمسة وعشرون شبرا ونحوها وارتفاعه في الهواء اربعة وعشرون قامة وهو من داخله مدرّج كله الى اعلاه وابوابها طاقات بعضها فوق بعض باحكم صناعة ۞ وترنوط حصن على ستة اميال من المهدية ومنها زاحف ابو يزيد مخلد المهدية وبهذا الحصن كانت محلته ايام حصاره المهدية وفي كتب الحدثاني ۞ اذا ربط الخارج خيله بترنوط ۞ لم يبق لاهل السواد محلول ولا مربوط ۞ اهل السواد اهل الساحل وفيه ۞ ويل لاهل السواد ۞ من مَخْلَد بن كيداد ۞ والاخوان منزل بين القيروان والمهدية وفي هذا المنزل قتل ابو يزيد لميسرة الفتى يوم الاربعاء لعشر خلون من شهر ربيع الاول سنة ثلاث وثلاثين وثلاثماية قال على بن على بن ظفر يمدح ابا يزيد

هذا وكم من وقعة مشهورة   ابقيتها مثلا لكل ممثّل

بثنية الاخوين يوم تركتهم   متوسّدين وسايدا من جندل

ومن القيروان الى مدينة جلولا اربعة وعشرون ميلا وبجلولا اثار

وابراج قايمة للاول وابار عذبة وخرايب وجد فيها بعض الرعاة تاج ذهب بجوهرة فاخذه منه ابن الاندلسى وبقرب جلولا منتزه يعرف بسردانية ليس بافريقية موضع اجمل منه وفيه ثمار عظيمة وفيه من النارنج خاصة نحو الف اصل وجلولا مدينة لها حصن وهى مدينة اولية قديمة مبنية بالصخر وفيها عين ثرّة فى وسطها وهى كثيرة الاشجار والثمار واكثر رياحينها الياسمين وبطيب عسلها يضرب المثل لكثرة ياسمينها وجرس نحلها له وبها يربب اهل القيروان السمسم بالياسمين للزنبق وبالورد والبنفسج وبها قصب السكر كثير ومنها كان يرد كل يوم الى القيروان من احمال الفواكه والبقول ما لا يحصى كثرة وحولها الجنات وقبايل ضريسة فى القرارات وفتح مدينة جلولا كان على يدى عبد الملك بن مروان وذلك انه كان مع معوية بن حديج التجيبى فى جيشه فبعثه الى مدينة جلولا فى الف رجل فحاصرها اياما فلم يصنع شيئا فانصرف راجعا فلم يسر الا يسيرا حتى راى فى ساقة الناس غبارا شديدا فظن ان العدو يتبعهم فكر جماعة من النـــاس لذلك وبقى من بقى على مصافهم فاذا مدينة جلولا قد تساقط من سورها حايط فدخلها المسلمون وغنموا ما فيها فانصرف عبد الملك الى معوية بن حديج فاختلف الناس فى الغنيمة فكتب فى ذلك الى معوية فراجع يقول ان العسكر ردة للسرية فقسم الفىء بينهم فاصاب كل رجل منهم لنفسه مايتى درهم وللفرس سهمان قال عبد الملك فاخذت لنفسى ولفرسى ستماية درهم واشتريت بها جارية ويقال بل نازلها معوية بن حديج فكان يقاتلهم على باب المدينة صدر النهار فاذا مال الفىء انصرف فقاتلهم يوما فلما انصرف نسى عبد الملك قوســه معلقة بشجرة فانصرف اليها فاذا جانب من المدينة قد انهدم فصـــاح فى اثر

الناس فرجعوا ففد راوا غبرة شديدة فظنوا ان العدو فد ضرب ى سافتهم فغنموها فالوا ولما كان من عبد الملك بن مروان ما كان ومنازعته لمعوية بن حديج على فسُها ثفل على معوية بن حديج فكان يتجهمه ولا يفبل عليه فراى حنش الصنعانى عبد الملك بن مروان وهو متفكر متغير اللون ففال له ما شانك ففال انى ابعد فريش مجلسا من الامير ففال له حنش لا تغتم فوالله لتلينّ لخلافة ولتصيرنّ هذا الامر اليك فلما افضت الخلافة الى عبد الملك وبعث الحجاج لفتال عبد الله بن الزبير اخذ حنشا الصنعانى اسيرا فبعث به الى عبد الملك ففال له الست الذى بشرنى بالخلافة فال بلى فال فلم ملت عنى الى ابن الزبير فال رايته يريد الله ورايتك تريد الدنيا فملت اليه فعفا عنه واطلفه ۞

۞ ومن الغرايب بافريفية ببلاد كتامة منها ۞

فال ابو جعفر احمد بن محمد بن ابى خلد المتطبب وفد ذكر الماء الذى يجرى ى الاشهر الحرم خاصة ان عندنا بالمغرب ببلاد كتامة عين الاوفات معلومة انما يجرى ماؤها خمس مرات ى اليوم والليلة ى اوفات الصلوات الخمس وتنفطع ما بين ذلك وفد ذكرنا موضع هذه العين عند ذكر المراسى بعد هذا وفد حدث جماعة ممن فصد اليها وراها ووفف عليها بمثل ذلك وببلاد كتامة حجر اللازورد الجيد ومعادن النحاس والحديد وكانت بكنيسة شففنارية ى سلطان الروم الاعجوبة مرءاة كانت اذا اتهم الرجل امراته نظر ى تلك المرءاة فيرى وجه المبتلى بها وكانت البربر فد تنصرت فكان منهم بربرى فد اظهر اجتهادا ى النصرانية حتى صار شمّاسا واتّهم رجل من الروم امراته فنظر ى المرءاة فاذا بوجه

البربرى الشماس فدعا به الملك فقطع انفه ومثل به وطرده من الكنيسة فطرق فومه المرءاة فكسورها وارسل الملك الى حبهم باستنباحه ۞ ومن القيروان الى مدينة سوسة ستة وثلاثون ميلا قد احاط بها البحر من ثلاث نواح الشمال والجنوب والشرق وسورها صخر منيع حصين متقن البناء يضرب فيه البحر ويدخل الى دورها من فنى من الجهة الشرقية وفى ركن مدينة سوسة الذى بين المغرب والقبلة منار عال يعرف بمنار خلف الفتى وبها ثمانية ابواب احدها باب كبير جدا شرقى دار تعرف بدار الصناعة منها تدخل المراكب وتخرج ولمدينة سوسة بابان غربيان يقابلان الملعب والملعب بنيان عظيم للاول اقباء مرتفعة واسعة معقودة تجمع النشفة الخفيف الذى يطفو على الماء المجلوب من بركان صقلية وحوله اقباء كثيرة بعضى بعضها الى بعض وحول مدينة سوسة اثار عظيمة للاول وبنيان سوسة كلها بالصخر المحكم وبسوسة اسواق كثيرة وهى مخصوصة بكثرة الامتعة والثمر ولحم سوسة اطيب اللحوم وهى رخيصة الاسعار والفواكه كثيرة الخير وهى قديمة البناء وكان معوية ابن حديج قد بعث اليها عبد الله بن الزبير فى جمع كثيف وكان بلغه ان نقفور بطريقا من بطارقة الروم انفذه ملكهم فى ثلاثين الف مقاتل فنزل بذلك الساحل فسار عبد الله حتى نزل شرفا عاليا ينظر منه الى البحر بينه وبين سوسة اثنا عشر ميلا فلما بلغ ذلك نقفور رجع الى مراكبه وصدر عن ذلك الساحل فركب عبد الله بن الزبير فى جيشه حتى بلغ البحر ونزل على باب مدينة سوسة وانحط عن فرسه وصلى بالناس صلاة العصر والروم يتعجبون من امره وقلة اكتراثه بهم فاخرجوا اليه جمعا منهم كثيرا من كماتهم رجالا وركبانا فزحفوا اليه وهو مقبل على صلاته لا يروعه ذلك ولا يهوّله

حتى اذا قضى صلاته شد على فرسه فركبه وحمل عليهم فانكشفوا عنه فهزمهم وولوا ادبارهم حتى لجوا الى مدينتهم وانصرف عنهم ۞ ومدينة سوسة ممتنعة على من رامها قد جُبل على الشدة والباس اهلها وحاصرها ابو يزيد مخلد شهورا ثم انهزم عنها وكان عليها في ثمانين الف حصان فيى ذلك يقول سهـــل بن ابراهيم الورّاق

ان الخوارج صدّها عن سوسة — منّـــا طعان السمر والاقدامُ
وجِلاد اسبـــاب تطاير بينها — في النقع دون المحصنات الهام

وقال احمد بن بلج السوسى

المّ بسوســـة وبغى عليها — ولاكـــن الالاه لهـــا نصيرُ
مدينة سوســـة للغرب ثغر — تدين لهـا المداين والقصور
لقد لُعن الذين بغوا عليها — كما لعنت قريظـة والنضير
اعزّ الدين خالقُ كل شيء — بسوسة بعد ما التوت الامور
ولولا سوســـة لَدَهَتّ دواهٍ — يشيب لهولها الطفل الصغير
سيبلغ ذكر سوسة كل ارض — ويغشى اهلَها العدد الكثيرُ

والخروج من سوسة الى القيروان على الباب القبـــلى المعروف بباب القيروان ومقبرة سوسة عن يمين هذا الطريق وكان زيادة الله بنى سورها وكان يقول ۞ ما ابالى ما قُدّمتُ عليه يوم القيامة وفي صحيفتى اربع حسنات بنيانى مسجد الجامع بالقيروان وبنيانى قنطرة الربيع وبنيانى حصن مدينة سوســـة وتوليتى احمد بن ابى محرز قضاء افريقية ۞ وخـــارج مدينة سوســـة محارس وروابط ومجامع للصالحين وداخلها محرس عظيم كالمدينة مسور بسور متقن يعرف بمحرس الرباط هـو ماوى للاخيـــار والصالحين داخله حصن ثانى يسمى القصبة وهو بجوفى المدينة متصل بدار الصناعة بسفح الجبل الذى هي في سنده شرقى واعلى المدينة غربى ومدينة سوسة في سند

عال ترى دورها من البحر ووراء سورها هناك هيكل عظيم يسمونه البحريون الفنطاس وهـو اول ما يرون من البحر اذا قصدوا من صقلية وغيرها ولهذا الهيكل اربعة ادراج يصعد من كل واحد منها الى اعلاه وهو هيكل واسع بين بابه الذى يدخل منه والثانى الذى يخرج منه مسافة طويلة وللحياكة بسوسة كثيرة ويغزل بها غزل يباع زنة المثقال منه بمثاقيل من ذهب وبسوسة تقصر ثياب القيروان الرفيعة وجباية ساحل القيروان سوسة والمهدية وسفاقس وتونس لبيت المال خاصة غير الدخل والخرج الذى لغير بيت المال ثمانون الف مثقال ومن محارس سوسة المذكورة محرس المنستير الذى جاء فيه الاثر المتقدم الذكر ويذكر ان الذى بنى القصر الكبير بالمنستير هرثمة بن اعين سنة ثمانين ومائة وله فى يوم عاشورا موسم عظيم ومجمع كثير وبالمنستير البيوت والحجر والطواحين الفارسيـة ومواجل المـاء وهو حصن عالى البنا متقن العمل وفى الطبقة الثانية منه مسجد لا يخلو من شيخ خير فاضل يكون مدار القوم عليه وفيه جماعة من الصالحين والمرابطين قد حبسوا انفسهم فيه منفردين دون الاهل والعشائر وقال محمد بن يوسف هو قصر كبير عال داخله ربض واسع وفى وسط الربض حصن ثان كبير كثير المساكن والمساجد والقصاب العالية طبقات بعضها فوق بعض وفى القبلة منه صحن فسيح فيه قباب عالية متقنة ينزل حولها النساء المرابطات تعرف بقباب جامع وبها جامع متقن البناء وهو ازاج معقودة كلها واقباء لا خشب فيهـا ولها حمامات كثيرة وكان اهل القيروان يخرجـون اليهم بالاموال والصدقات الجزلة وبقرب المنستير ملاحة عظيمة تشحن فيها السفن بالملح الى البلاد وبقربه محارس خمسة متقنة البناء معمورة بالصالحين ۞

ومن القيروان الى مدينة تونس ماية ميل وهي ثلاث مراحل والى فندن شكل مرحلة والى منستير عثمان مرحلة والى القيروان مرحلة وطريق اخرى الى منزل باشوا الى الدواميس الى القيروان ودور مدينة تونس اربعة وعشرون الف ذراع وفي سنة اربع عشرة وماية بنى عبيد الله بن الحبحاب الجامع ودار الصناعة بمدينة تونس واهلها موصوفون بدناءة النفوس واسم مدينة تونس في الاول ترشيش ويقال لبحرها بحر رادس وكذلك يسمى مرساها مرسى رادس وافتتحها حسان بن النعمان بن عدى بن بكر بن مغيث ابن عمرو مزيقياء بن عامر الازدى وروى جماعة عن ابي المهاجر قال سار حسان بن النعمان الى ارطة فقاتل الروم بحصن تونس فسالته الروم الا يدخل عليهم وان يضع الخراج عليهم ويقوموا له بما يحمله واصحابه فاجابهم الى ذلك وكانت لهم سفن معدة من ناحية الباب الذى يقال له باب النساء فاحتملوا فيها اهليهم واموالهم وهربوا ليلا واسلموا المدينة فدخلها حسان فحرق وخرب وبنى فيها مسجدا وبقي هناك طايفة من المسلمين وكذلك كان مكر صاحب قرطاجنة ايضا بحسان بن النعمان فان الروم لما فروا عنها وبقي فيها مرنان صاحبها ليس معه الا اهله بعث الى حسان هل لك ان تعاهدني وولدى وتقطع لى قطايع اشترطها عليك وافتح لك بابا فتدخل المدينة على من فيها فاجابه الى مسألته فاشترط عليه المنازل التى بين الجبلين التى يقال لها فحص مرنان وهي اذذاك ثلاث ماية وستون قرية ثم فتح لهم الباب فلم يجد بها احدا غيره وغير ولده واهله فتم له حسان ما اشترطه وانصرف الى القيروان قال واغارت الروم من البحر على من كان بقي من المسلمين بمدينة تونس خرجت اليهم في المراكب فقتلوا من

بها وسبوا وغنموا ولم يكن للمسلمين شيء يحصّنهم من عدوهم انما كانوا معسكرين هناك وبلغ حسان ذلك فرحل الى تونس وارسل اربعين رجلا من اشراف العرب الى عبد الملك بن مروان وكتب اليه بما نال المسلمين من البلاء واقام هناك مرابطا ينتظر راى عبد الملك فلما بلغ ذلك عبد الملك عظم عليه وكان اذذاك التابعون متوافرين فيهم اثنان من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انس ابن ملك وزيد بن ثابت فقالا للمسلمين من رابط برادس يوما فله الجنة حتما وقالا لعبد الملك امدّ هذه البلاد وانصر اهلها ليامنوا من العدو ويكون لك ثوابها واجرها فانها من البلدان المقدسة المرحوم اهلها وهي حرس لمقدونية يريدون القيروان وروى ان بحر رادس خرق الخضر عليه السلام السفينة وان الملك الذى كان ياخذ كل سفينة غصبا الجلندى ملك قرطاجنة تخرق الخضر السفينة ببحر رادس وقتل الغلام بطنبد وهي اليوم تسمى المحمدية وهناك فارق موسى الخضر عليهما السلام وطنبد على اميال يسيرة من تونس فكتب عبد الملك بن مروان الى اخيه عبد العزيز وهو والى مصر ان يوجه الى معسكر تونس الف قبطى باهله وولده وان يحملهم من مصر ويحسن عونهم حتى يصلوا الى ترشيش وهي تونس وكتب الى ابن النعمان يامره ان يبنى لهم دار صناعة تكون قوة وعدة للمسلمين الى اخر الدهر وان يجعل على البربر جر الخشب لانشاء المراكب ليكون ذلك جاريا عليهم الى اخر الدهر وان يصنع بها المراكب ويجاهد الروم في البر والبحر وان يغار منها على ساحل الروم فيشتغلوا عن القيروان نظرا للمسلمين وتحصينا لشانهم فوصل القبط الى حسان وهو مقيم بتونس فاجرا البحر من مرسى رادس الى دار الصناعة وجر البربر الخشب وجعل فيها المراكب الكثيرة

وامر القبط بعمارتها ۞ وبشرقي مدينة تونس بحيرة كبيرة دورها اربعة وعشرون ميلا في وسطها جزيرة تسمى شكلة مقدار ميلين تنبت الكلخ وبها اثار قصر خرب بصارت دار صناعة تونس متصلة بالمينى والمينى متصل بالبحيرة والبحيرة متصلة بالبحر وعلى شاطى المينى مسجد يعرف بمسجد عبد الله وبقبلى المينى قصر مبنى بالحجارة متقن البناء وفي الجوف منه حايط ضخم كالسور فصار المدخل بالسفن في هذا المينى بين حايط القصر وهذا السور وتعرض بينهما سلسلة حديد تمنع المراكب من الدخول والخروج ما دامت متعرضة وهذا القصر يعرف بقصر السلسلة وبقبلى القصر صهريجان كان ملوك بنى الاغلب يرسلون فيهما ماء البحر ويملونهما بالسمك وقد تقدم ان عبيد الله بن الحبحاب بنى دار الصناعة فلعل من روى ذلك يريد ان عبيد الله جددها وزادها تحصينا فلم تزل تونس معمورة من يومئذ يغزو منها المسلمون بلاد الروم ويكثرون فيهم النكاية ولهم الاذاية ومدينة تونس في سفح جبل يعرف بجبل ام عمرو ويدور بمدينتها خندق حصين ولها خمسة ابواب باب الجزيرة قبلى ينسب الى جزيرة شريك ويخرج منه الى القيروان وبقابله الجبل المعروف بجبل النوبة وهو جبل عال لاينبت شيئاً في اعلاه قصر مبنى مشرف على البحر وبشرقي هذا القصر غار تحت الباب يسمى المعشوق وبالغربى منه عين ماء وبغربى هذا الجبل جبل يعرف بجبل الصيادة فيه قرى كثيرة الزيتون والثمار والمزارع وفي هذا الجبل سبعة مواجل للماء اقبياء على غرار واحد وبغربى هذا الجبل ايضا اشراف مزارع متصلة بموضع يعرف بالملعب فيه قصر لبنى الاغلب قد غرس بجميع الثمار واصناف الرياحين وبشرقي مدينة تونس المينى والبحيرة التى ذكرنا وسبخة وبشرقيها ايضا

باب فرطاجنة دونه داخل الخندق بساتين كثيرة وابار سوانى تعرف بسوانى المرج وباب السقّايين جوفى نسب الى السقايين لان بيرا تعرف ببير ابى القعار تقابله وهى بير كبيرة غزيرة عذبة الماء نميرة وهناك قصور لبنى الاغلب وبساتين فيها اصناف الثمار والرياحين ويتصل بها جبل اجرد يقال له جبل ابى خفاجة فى اعلاه اثار بنيان وباب ارطة غربى تجاوره مقبرة تعرف بمقبرة سوق الاحد ودون الباب من داخل الخندق غدير كبير يعرف بغدير الحجّامين وربض المرضى خارج عن المدينة وبقبلى ربض المرضى ملاحة كبيرة منها ملحهم وملح من يجاورهم وجامع مدينة تونس رفيع البناء مطلّ على البحر ينظر الجالس فيه الى جميع جواريه ويرقا الى الجامع من جهة الشرق على اثنتى عشرة درجة وبها اسواق كثيرة ومتاجر عجيبة وبمدينة تونس خمسة عشر حماما وفنادق كثيرة رفيعة وعضادات ابواب دور مدينة تونس كلها رخام بديع لوحان قايمان وثالث معترض عليهما مكان العتبة ومن امثالهم ۞ دور تونس ابوابها رخام وداخلها سخام ۞ ومدينه تونس دار علم وفقه ولى منها قضاء افريقية جماعة كثيرة ومع هذا الفضل الذى فيها هى مخصوصة بالقيام على الامراء والخلاف للولاة خالفت نحو عشرين مرة وامتحن اهلها ايام ابى يزيد بالقتل والسبى وذهاب الاموال وقال الجرى صاحب الحدثان

فويل لترشيش وويل لاهلها من الحبشى الاسود المتغاضب

وقال بعض الشعراء

لعمرك ما الفيتُ تُونِس كاسمها ولكننى الفيتها وهى تُوحِش

ويصنع بتونس انية للماء من الخزف تعرف بالريحية شديدة البياض فى نهاية الرقة تكاد تشف ليس يعلم لها نظير فى جميع الاقطار وعامة

الامصار ومدينة تونس من اشرف مداين افريقية واطيبها ثمرة وانفسها فاكهة فمن ذلك اللوز الفريك يفرك بعضه بعضا من رقة قشره ويحتّ باليد واكثره حبّتان في كل لوز مع طيب المضغة وعظم الحبة والرمان الضعيف لا عجم لحبه البته مع صدق الحلاوة وكثرة المائية والاترج الجليل الطيب الطعم الذكي الرايحة البديع المنظر والتين الخارمي اسود كبير رقيق القشر كثير العسل لا يكاد يوجد له بزر والسفرجل المتناهي كبرا وطيبا وعطرا والعناب الرفيع في قدر الجوز والبصل القلوري في خلق الاترج مستطيل سابري القشر صادق الحلاوة كثير الماء وبها من اجناس الحوت الذي لا يكون مثله في غيرها ما لا يحصى كثرة اجناس تجري في البحر مع شهور العجم في كل شهر من تلك الشهور يجري فيه جنس منه لا يوجد في البحر الى دخول ذلك الشهر من العام القابل فهم من تجددها في لذة موصولة ونعمة غير مملولة وكل جنس منها يُصيَّر ويبقى السنين صحيح الجرم طيب الطعم منها جنس يعرف بالعبانق وجنس يعرف بالاكتوبري وجنس يعرف بالاشبارس وجنس يعرف بالمنكوس وجنس يعرف بالبقونس ومن امثالهم ۞ لولا البقونس لم يخالف اهل تونس ۞ وفي الطريق بينها وبين القيروان منزل يقال له بجقّة اذا كان اوان طيب الزيتون بالساحل قصدته الزرازر فباتت فيه وقد حمل كل طاير منها زيتونتين في مخلبيه فيلقي الزيتون هناك وله غلة عظيمة تبلغ سبعين الف درهم ۞ ومن مدينة تونس الى قرطاجنّة اثنا عشر ميلا ويقال ان الذي بنى قرطاجنة ديدون الملك زمن داود عليه السلام ويقال ان بين بناء قرطاجنة وبناء مدينة رومية اثنتان وسبعون سنة ولو دخلها الداخل ايام عمره وتردد فيها لراى فيها كل يوم مستانف اعجوبة

لم يرها في السالف وهي على شاطئ البحر يضبب سورهـــا امواجه وكان تكسير سورها اربعة عشر الف ذراع وقال ابو جعفر احمد بن ابراهيم المتطبب القيرواني في مغازي افريقية ان موسى بن نصير لما دخل الاندلس فاتى على ما اراد منها قال لهم دلّوني على اسنّ شيخ فيكم فاتي بشيخ قد وقعت حاجباه عن عينيه من الكبر فقال له موسى من ابن انت يا شيخ قال من قرطاجنة افريقية فقال له موسى فما الذي اصارك هنا وكيف كان خبر قرطاجنة قال له الشيخ ان قرطاجنة بناها قوم من بقية العديين الذين هلك قومهم بالريح فبقيت بعدهم خرابا الف سنة حتى بناها اردمين بن لاودين بن نمرود الجبار وجلب اليها الماء العذب من دلالا تحفر له في الجبال وبنا القناطر في بطون الاودية حتى استوى جرى الماء فيها بعد عمل اربعين سنة قال ولما حُفر اســـاس تلك القنـاطر في طول الاودية اصيب فيه حجر عليه كتابة فاذا فيه ان هذه المدينة ليس تخرب الا اذا ظهر فيهـا الملح قال الشيخ فبينا نحـــن ذات يوم في مجرى قرطاجنة جلوس اذا بملح على حجر فعند ذلك رحلت الى هنا وكان سبب خراب قرطاجنة ان انبيل ملك افريقية وكـانت قرطاجنة دار ملكه مضى الى بلد ايطاليـــة الذي فيه مدينة رومية ولاقى قوّاد رومية وكان اهل رومية يومئذ لاملك لهم انما كان تدبير مملكتهم الى سبعين رجلا من كبرائهم يخرجـون من انفسهـم كل عام اثني عشر فابدا يقرعون بينهم على نواحيها فيخرج كل واحد الى الناحية التي وقعت عليهـــا قرعته فهزمهم انبيل وقتلهم في عدة مواطن حتى بعـــث الى افريقية بثلاثة امداء من خـواتم الذهب التي كانت في أيدي اشراف من قتـــل منهم وملوكـهم وكتب اليهم ۞ هـذا عدة من قتلته من الاشراف والقواد فضلا

عن غيرهم ۞ فاقام في بلاد ايطالية محاربا لمدينة رومية ومضيقا على نواحيها نحو من ستة عشر سنة فركب قايد من قوادهم يقال له شبيون المراكب خفية حتى اتى صقلية فحشر من اجتمع له بها ثم مضى الى بلد افريقية وترك انبيل محاصرا لبلد رومية فنُصر على الافريقيين وعم بلد افريقية قتلا وسبيا واحراقا وبقى محاصرا لقرطاجنة فبعث اهلها الى اميرهم انبيل يعلمونه بما دههم من اهل رومية ويسئلونه الاسراع لغياثهم فعجب عند ذلك انبيل وقال انى كنت ارى ان التزام محاصرة هذه المدينة يقطع اسم الرومانيين من الدنيا فاظنّ ان اله السماء لا ياذن بذلك ثم ركب المراكب واسرع الرجوع الى افريقية فزحف اليه شبيون قايد الرومانيين فهزمه في كل مشهد فجعل انبيل يخاطبه ويقول اين كنتم معشر الرومانيين من هذه النجدة اذ كنا نقاتلكم ونهزمكم في افنيتكم فقال له شبيون اذ كنتم في بلدنا قد بعد عنكم بلدكم وحصونكم ونحن في حصوننا وبلدنا كنّا اشدّ منكم خورا وكنتم اشد منا استنبانا فلما صرنا في بلدكم انتقل الامر وتبدل الحكم فغلب عند ذلك اهل رومية على اهل افريقية وهدموا مدينة قرطاجنة ۞ والعجب ما بقرطاجنة دار الملعب وهم يسمونها الطياطر قد بنيت اقواسا على سوارى وعليها مثلها ما احاط بالدار وفيه صور في حيطانها جميع الحيوان وصور اصحاب جميع الصناعات وجعلت فيه صور الرياح فجعل صورة الصبا وجهه مستبشر وصورة الدبور وجهه عابس ورخام قرطاجنة لو اجتمع اهل افريقية على نقله واستخراج جميعه ما امكنهم ذلك لكثرته وفيها قصر يعرف بالمعلقة مفرط العظم والعلو اقباء معقودة طبقات كثيرة مطل على البحر في غربيه قصر يعرف بالطياطر وهو الذى فيه دار الملعب المذكورة وهو كثير

الابواب والتراوح وهو ايضا طبقات على كل باب صورة حيوان رخام وصور جميع الصناع وقصر يقال له قومش طبقات كثيرة ايضـــا في سوارى رخام معرطة الكبر والعظم بتربع على راس السارية منها اثنا عشر رجلا وبينهم سفرة طعام او شـراب وهى مشطّبة كالثلج بياضا والمهاة صفاء بعض تلك السوارى قايمة وبعضها ساقطة وبها سو عظيم لا يدرك الطرف اخره فيه سبعة مواجل للماء كبار تعرف بمواجل الشياطين فيها ماء قديم لا يدرى متى دخلها وبقرب قصر قومش تجن اقباء بعضها فوق بعض مظلم مهيب الدخول فيه جثث الموتى على حالهم الى اليوم فاذا مسّوا تلاشوا وداخل المدينة مينى كانت المراكب تدخلها بشرعها وهى اليوم ملاحة عليها قصر ورباط تعرف ببرج ابى سليمان وفى وسط المدينة صهريج كبير حوله فى وقتنا هذا الف وسبع ماية حنية قايمة سوى مـــا انهدم منها وكان يجرى الى هذا المصنع الماء المجـــلوب من عين جفـــار الى قرطاجنة على مسيرة ايام فى قناة عظيمة تغيب مـرة تحـت الارض وتكون فى موضع اخر فى قناطر فوق قناطر حـتى تساوى السحـاب ومن عين جفار كـان عبيد الله الشيعى يشرب المـاء يرد عليه كل يوم منه احمـــال معروفة وبقرطاجنة قصران من رخام يعرفـــان بالاختين ليس فيهما حجر سواه محكم البناء رخـامه كله مدخل بعضه فى بعض وبهذين القصرين مـــاء مجلوب ياتى من قبل الجوف لا يعرف من اين منبعثه يصب فى البحر وعليه نواعير لقرى قرطاجنة وبها سوارى قايمة طول الظاهر فوق الارض منها اربعون ذراعا قد عقد عليه قبو من حجر النشفة وهو الحجر الخفيف الذى يطفو فوق الماء وبها قبة لا يلحقها الرامى باشدّ نزع السهام علوا وسموا ولها سطح مفروش بالفُسَيْفِساء خمسون ذراعا فى مثلها وخرايب قرطاجنة

اليوم فرى ربيعة مجيدة عامرة واصناب ثمارها متناهية في الطيب لا يكاد يرى ما يفضلها ۞ وروى الثقات عن عبد الرحمان بن زياد ابن انعم قال كنت انا وغلام مع عمى بقرطاجنة نمشى في اثارها ونعتبر بعجايبها فاذا بقبر مكتوب عليه بالحميرية انا عبد الله بن الاواش رسولُ رسول الله صالح ۞ وفي رواية اخرى ۞ معتّب بعثنى الى اهل هذه القرية ادعوهم الى الله اتيتهم ضحا فقتلونى ظلمـا حسيبهم الله ۞ وقال اتحف بن عبد الملك الملشونى لم يدخل افريقية نبى قط واول من دخلها بالايمان حوارى عيسى بن مريم عليهما السلام ۞ وفيما بين مدينة سوسة ومدينة تونس جزيرة شريك تنسب الى شريك العبسى كان عاملا عليها وامّ اقليم جزيرة شريك منزل باشوا وهي مدينة كبيرة اهلة بها جامع وحمامات وثلاث رحاب واسواق عامرة وبها قصر احمد بن عيسى القايم على ابن الاغلب وبجزيرة شريك اجتمعت الروم بعد دخول عبد الله بن سعد بن ابى سرح المغرب وتبادروا منها الى مدينة اقليبية وما حولها ثم ركبوا منها الى جزيرة قوسرة وهي بين صقلية وافريقية وكانت اذ ذاك عامرة فيقال انهم اقاموا بها الى خلافة عبد الملك ابن مروان فاغزى عبد الملك بن مروان عبد الملك بن قطن في البحر ففتح ما كان هنالك من الجزاير والقصور خربها وقتل ظافرا ۞ ومن تونس الى منزل باشوا هذا مرحلة بينهما قرى كبيرة اهلة كثيرة وحامة جليلة مجرّبة النفع ثم من باشوا الى قرية الدواميس مرحلة وهي قرية كبيرة اهلة كثيرة الزيتون والشجر بينهما قصر الزيت ووادى الدمنة وفندق ريحان ووادى الرمّان ومن قرية الدواميس الى القيروان مرحلة بينهما قصور ومنازل وقرى وبحذاء جزيرة شريك في البر نحو الجنوب جبل زغوان وهو جبل منيف

مشرف يسمى كلب الزفان لظهوره وعلوه واستدلال المسافرين به اين ما توجهوا فانه يرى على مسيرة الايام الكثيرة ولعلوه ترى السحاب دونه وكثيرا ما يمطر صفحه ولا يمطر اعلاه واهل افريقية يقولون لمن يستثقلونه من الناس ۞ هو اثقل من جبل زغوان واثقل من جبل الرصاص ۞ وهو على تونس وقال الشاعر يخاطب حمامه ارسلها بكتاب من القيروان الى تونس

وفي زغوان فاستعلي علوّا ودانى في تعاليك السحابا

وبزغوان قرى كثيرة اهلة كثيرة المياه والثمار والبساتين منها فندن شكل النحلة المعروفة وهي على مرحلة من تونس قرية كبيرة اهلة ومنها قرية فلجفة كان ابو القاسم بن عبيد الله شرع في بنيانها واتخذها مدينة يسكنها الغريب السايل من هوّارة ونفوسة ۞ وهذا الجبل ماوى الصالحين وخيار المسلمين وبغربي جبل زغوان مدينة لربس بينها وبين القيروان مسيرة ثلاثة ايام وهي مدينة مسورة لها ربض كبير وبارضيها يكون اطيب الزعفران ويعرف ببلد العنبر وبها صار ابراهيم بن ابي الاغلب حين خرج من القيروان وفي سنة ست وتسعين ومايتين زحف اليها ابو عبد الله الشيعي ونازلها وبها جمهور اجناد افريقية مع ابراهيم ففر عنها ابن ابي الاغلب في جماعة من القواد والجند الى اطرابلس ودخلها الشيعي عنوة ولجا اهلها ومن بقي فيها من فل الجند الى جامعها وركب بعض الناس بعضا فقتلهم الشيعي اجمعين حتى كانت تسيل الدماء من ابواب المسجد كسيلان الماء بوابل الغيث وقيل انه قتل داخل المسجد ثلاثين الفا وذلك من وقت صلاة العصر الى اخر الليل وكانت ولاية بني الاغلب افريقية مائة سنة واحدى عشرة سنة ۞ ومن مدينة لربس الى مدينة الانصاريين مسيرة يوم نسبت الى

قوم نزلوها من الانصار من ولد جابر بن عبد الله وهى طيبة الارض كثيرة الريع وحنطتها اجل حنطة بافريقية ومن مدينة القيروان الى مدينة قفصة ثلاثة ايام وهى مدينة مبنية كلها على اساطين وطيقان رخام قد بنى خلالها بالصخر الجليل باحكم عمل ويذكر ان بانى هذا السور شنتيان غلام نمرود وقد زبر عليه اسمه وهو مقروء فيه الى اليوم وسورها كانما قد فرغ من عمله بالامس وداخل مدينة قفصة عينان نضاختان ينبعان بنهرين خرّارين يسقيان بساتينها ومزروعاتها وفى داخل جامعها عين كبيرة مبنية بالصخر من بنيان الاول اربعون باعا فى مثلها وقفصة اكثر بلاد القيروان فستقا ومنها ينتشر بافريقية ويحمل الى مصر والاندلس وسجلماسة وبها تمر مثل بيض الحمام وهى تمير القيروان بانواع الفواكه والتمر وحولها اكثر من مايتى قصر عامرة اهلة تطرّد فيهما وحواليها المياه تعرف بقصور قفصة وجباية قفصة خمسون الف دينار ومن قصور قفصة مدينة طران وهى فى منصف الطريق من قفصة الى فج الحمار وانت تريد القيروان ومدينة طران كبيرة اهلة بها جامع وسوق حافلة واليها ينسب الكساء الطرانى وهو من جهاز مصر وهى كثيرة الفستق وتسير من القيروان الى مدينة نفزاوة ستة ايام نحو الغرب ولمدينة نفزاوة عين تسمى بالبربرية تاورغى وهى عين كبيرة لا يدرك لها قعر ولمدينة نفزاوة سور صخر وطوب ولها ستة ابواب وبها جامع واسواق حافلة وهى على نهر كثير النخل والثمار وحواليها عيون كثيرة وقبليها مدينة اولية تعرف بالمدينة عليها سور وبها جامع وحمام وسوق وحولها عيون وبساتين وبين مدينة نفزاوة وقابس ثلاث مراحل وبينها وبين قفصة مرحلتان وهى على ثلاث مراحل من قيطون بياضة فمن قيطون بياضة الى مدينة

نعطة مرحلة الى مدينة توزر مرحلة الى مدينة نعزاوة مرحـــلة
ومن نعزاوة تسير الى بلاد فسطيلية وبينهما ارض سوّاخة لا يهتدى
للطريق فيها الا بخشب منصوبة وادلاء تلك الطريق بنو موليت
لان هناك طواعينهم فان ضل احد يمينا او شمالا غرق فى ارض
ديماس تشبه فى الرطوبة بالصابون وقد هلكت فيها العساكر والجماعات
ممن دخلها ولم يدر امرها وتصل هذه الارض السواخة الى مدينة
غدمس ۞ واما بلاد فسطيلية فان من مدنها توزر والحمّة ونعطة
وتوزر هى امها وهى مدينة كبيرة عليها ســـور مبنى بالحجر والطوب
ولها جامع محكم البناء واسواق كثيرة وحولها ارباض واسعة اهلة
وهى مدينة حصينة لها اربعة ابواب كثيرة النخل والبســـاتين
والثمار الا ان قصب السكر والموز لا يصلحان بها وحولها سواد عظيم
من النخل وهى اكثر بلاد افريقية تمرا ويخرج منها فى اكثر الايام
الف بعير موقورة تمرا وازيد شربها من ثلاثة انهار تخرج من رمال
كالدرمك رقة وبياضا يسمى ذلك الموضع بلسانهم سرش وانمـــا
تنقسم هذه الثلاثة الانهار بعد اجتماع مياه تلك الرمال بموضع
يسمى وادى الجمال يكون قعر النهر هناك نحـــو مايتى ذراع ثـــم
ينقسم كل نهر من هذه الانهار الثلاثة على ستة جداول وتتشعب
من تلك الجداول سواقى لاتحصى كثرة تجرى فى قنوات مبنية بالحجر
على قسمة عدل لا يزيد بعضها على بعض شيئا كل ساقية سعة شبرين
فى ارتفاع فتر يلزم كل من يسقى منها اربعة اقداس مثقال فى العام
وبحساب ذلك فى الاكثر والاقل وهو ان يعمد الذى تكون له دولة
السقى الى قدس فى اسفله ثقبة بمقدار ما يسدّها وتر قوس الندّاف
فيملؤه بالماء ويعلقه ويسقى حايطه او بستانه من تلك الجداول حتى
ينفد ماء القدس ثم يملوه ثانيا وهم قد علمـوا ان ســـقى اليوم

الكامل هو ماية واثنان وتسعون قدسا ولابعلم فى بلد مثل اترجها جلالة وحلاوة وبها الترنجبين والخبطا والاملج وحباية فسطيلية ماينا الف دينار واهلها بستطيبون لحـــوم الكلاب ويسمنونهـا فى بساتينهم ويطعمونها التمر وياكلونها واخبرنى من ضاف منهم رجلا فاطعمه لحما استطابه واستحسنه فساله عنه فقال له لحم جـــرو مسمن ۞ ولا يُعرف وراء فسطيلية عمران ولا حيوان الا العنك انما هى رمال وارضون سواخة وهم يخبرون ان قوما ارادوا معرفة ما وراء بلادهم فاستعدوا الازواد وذهبوا فى تلك الرمال اياما فلم يروا اثر العمران وهلك اكثرهم فى تلك الرمال ۞

۞ الطريق من مدينة القيروان الى قلعة ابى طويل ۞

وهى قلعة كبيرة ذات منعة وحصانة وتمصرت عند خراب القيروان انتقل اليها اكثر اهل افريقية وهى اليوم مقصد التجار وبهـا تحل الرحال من العراق والحجاز ومصر والشام وساير بلاد المغرب وهى اليوم مستقر مملكة صنهاجة وبهذه القلعة كان احتصن ابو يزيد مخلد ابن كيداد من اسماعيل على ما نذكره فى موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله ۞ تخرج من القيروان الى وادى الرمل اربعون ميلا وهى قريـة زيتونها كثير ورمالها حمر ومنها الى سبيبة وهى مدينة اولية ذات انهار وثمار ومنها الى قلعة الديك قرية ومنها الى السكة قلعة جليلة وبها مجمع سوق ومنها الى مدينة مجانة المطاحن وهى مدينة قديمة وبها مقطع حجارة الارحى ليس على الارض مثله ومنها الى نهر ملّاق نهر عظيم عليه اثار قديمة وفى الشرق منه مدينة تبسا وهى مدينة اولية فيها اثار للاول كثيرة وهى كثيرة الثمار والاشجار ومنها الى

قرية مسكيانة وهى على نهر وهذه المواضع كلها محلّاة باسم من ياتى بعد ان شاء الله ومنها الى مدينة باغاية وهى مدينة جليلة اولية ذات انهار وثمار ومزارع ومسارح وعلى مقربة منها جبل اوراس وهى المتصل بالسوس وبهذا الجبل قام مخلد بن كيداد الزناتى ومن باغاية الى مدينة فاساس وهى مدينة قديمة على فهر وفى غربيها جبل شامخ ومنها الى قبر مادغوس وهو قبر مثل الجبل الضخم مبنى باجر رقيق قد خرق وبنى طبقانا صغارا وعقد بالرصاص وصورت فيه صور الحيوان من الاناسى وغيرهم وهو مدرّج النواحى وفى اعلاه شجرة نابتة وقد اجمع على هدمه من سلف فلم يقدر على ذلك وفى الشرق من هذا القبر بحيرة مادغوس وهى مجمع لكل طاير وتسير من هناك الى بلزمة لمزاتة حصن اولى وهو فى بساط من الارض كثير المزارع والقرى وهى مدينة كثيرة الانهار والثمار والمزارع وبشرقيها مدينة اللوز وتسير من نفاوس الى مدينة طبنة وهى مدينة كبيرة سورها اليوم من بناء المنصور ابى الدوانيق وهى مما افتتح موسى بن نصير فبلغ سبيها عشرين الفا وهرب ملكهم كَسِيلة وسورها مبنى بالطوب وبها قصر وارباض وداخل القصر جامع وصهريج كبير يقع فيه نهرها ومنه تسقى بساتينها ويقال ان الذى بناها ابو جعفر عمر بن حفص المهلبى المعروف بهزارمرد يسكنها العرب والعجم بينهم الاختلاف والحرب ويسكن حولها بنو زفراح وقال محمد بن يوسف ان قصر طبنة قديم اولى كبير جليل مبنى بالصخر عليه ازاج كثيرة ينزله العمّال وهو ملاصق لسور المدينة من جهة القبلة عليه باب حديد ولمدينة طبنة من الابواب باب خاقان مبنى بالحجر عليه باب حديد وهو سرىّ وباب الفتح غربى باب حديد ايضا وبينهما سماط يشقّ المدينة من الباب الى الباب

وباب نهوذا فسلى علبه باب حديد وهو سرى ايضا والباب الجديد حديد ايضا وباب كتامة جوفى وخارج المدينة بازاء باب الفتح سور مضروب على خص فسيح نكون مقدار ثلثى مدينة طبنة بناه عمر بن حفص ويشق سكك المدينة جداول الماء العذب وبها اسواق كثيرة غير السماط المذكور ولها بساتين يسيرة ملاصقة للربض ومقبرتها بشرقيها وبغرب المقبرة غدير يعرف بغدير فرغان وهو يجرى فى مصلى العيد وليس من القيروان الى سجلماسة مدينة اكبر منها واسم نهرها بَنْبطام واذا حمل سقى جميع بساتينها وفحوصها ويقول اهلها ۞ ببطام بيبت الطعام ۞ لجودة زرعها واذا كانت الحرب بين العرب والمولدين استمد العرب بعرب مدينة نهوذا وسطيف واستمد المولدون باهل بسكرة وما والاها وقال احمد بن محمد المروَذى فى قصة اسماعيل بن ابى القاسم

سرنا وقد حل بغرب طبنه

وصار منها اهلها فى محنه

فاعظم الله العزيز المنّه

وبُدّلوا من بعد نار جنّه

وفى زيدان يطل على مدينة طبنه واياه عنى ابو عبد الله الشيعى فى قوله

من كان مغتبطا بلين حشيّة ... فحشيتى واريكتى سرجِ

من كان يعجبه ويبهجه ... نقرُ الدفوف ورنّة الصنجِ

فانا الذى لا شىء يعجبنى ... الا افتحامى لجّة الرهجِ

سل عن جيوشى اذ طلعتُ بها ... يوم الخميس ضحى من السرجِ

ومن طبنه الى مدينة مَقّرة وهو بلد كبير ذو ثمار وانهار ومزارع ومنها الى قلعة ابى طويل ۞ ومن ماغاية الى بلد بَسْكرة اربعة ايام

وبسكرة كورة فيها مدن كثيرة وقاعدتها بسكرة وهي مدينة كبيرة كثيرة النخل والزيتون واصناف الثمار وهي مدينة مسورة عليها خندق وبها جامع ومساجد كثيرة وحمامات وحواليها بساتين كثيرة وهي في غابة كبيرة مقدار ستة اميال فيهـــا اجناس التمور منها جنس يعرفونه بالكسبا وهو الصيحاني يضرب به المثل لفضله على غيره وجنس يعرف بالليارى ابيض املس كان عبيد الله الشيعي يامر عماله بالمنع من بيعه والتحظير عليه وبعث ما هنالك منه اليه واجناس كثيرة يطول ذكرها لايعدل بها غيرها وحول بسكرة ارباض خارجة عن الخندق المذكور وببسكرة علم كثير واهلها على مذهب اهل المدينة ولها من الابواب باب المقبرة وباب الحمام وباب ثالث سكانها المولدون وحولها من قبايل البربر سدراتة وبنو مغراوة اهل بيت بـــنى خرز وبنو يزمرتى وداخـــل مدينة بسكرة ابار كثيرة عذبة منها في الجامع بير لاتنزف وداخل المدينة جنان يدخل اليه الماء من النهر وبها جبل ملح يقطع فيه الملح كالصخر الجليل ومنه كان عبيد الله الشيعي وبنوه يستعملون في اطعمتهم وتعرف ببسكرة النخيل قال احمد بن محمد المروذى

تـــم انى بسكرة النخيل
قد اغتدى في زيه الجميل

ومن مدنها مدينة جمونة ومدينة طولقة ومدينة مليلى ومدينة بنطيوس وهي من بنيان الاول وشرب بسكرة من نهر كبيـر يجرى في جوفيها منحدر من جبـل اوراس وقرية من قرى بسكرة تسمى ملشون منها ابو عبد الله الملشوني وابنه اتحف عالمان يحمل عنهما العلم سمع منهمـــا ابو عبد الله بن ميمون ومقاتل وغيرهما اخبرنى احمد بن عمر بن انس قـــال اخبرنى قاسم بن عبـــد العزيز ان ة

الطريف الى بسكرة جبل يعرب بزيعبزى في وسطه كهف فيه رجل فتيل لم يغيره مر الزمان وتقادم الدهور تبضّ جراحه دما كانما فتل منذ يومين وتخبر الكافة انهم لايعلمون متى فتل فدما وفد نقله اهل تلك النواح ودفنوه بافنيتهم تبركا به ثم لم ينشبوا ان وجدوه في الكهف على حاله فحدث بذلك تفات اهل تلك الناحية والله فعّال لما يشاء وفال محمد بن يوسف في كتابه ان هذا الفتيل في شف جبل بشرفي عين اربان وهذه العين بين مدينة مرماجنة ومدينة سبيبة المذكورة ايضا وذكر انه كما ذبح من يومه وانه هناك من فبل فتوح افريفية ولم يذكر امر دفنه فالله اعلم بامره ۞

۞ وطريف اخر من الفيروان الى فلعة ابى طويل ۞

من الفيروان في فرى وعمارات الى مدينة ابّة ثلاثة ايام وهي مدينة اولية يكون بها الزعفران الجيد وعلى ستة اميال منها مدينة لُربُس المذكورة فبل هذا ومن مدينة ابة الى نهر ملّان وهو نهر عظيم يسفي نواح فحص بُل ومن نهر ملان الى مدينة تامَديت وهي مدينة في مضيف بين جبلين في سند وعر ولها مزارع واسعة وحنطتها موصوفة ومنها الى مدينة تيفاش وهي مدينة اولية شامخة البناء وتسمى تيفاش الظالمة وفيها عيون ومزارع كثيرة وهي في صفح جبل وفيها اثار للاول كثيرة ومنها الى فصر الافريفي وهي مدينة جامعة على شرف من الارض ذات مسارح ومزارع كثيرة ومنها الى واد يعرف بوادى الدنانير وهو واد خصيب ومنها الى مدينة تيجس وهي مدتنة اولية شامخة البناء كثيرة الكلاء والربيع ومنها الى

مدينة توبوت على بلاد كتامة ويسمى هذا الطريق بالجناح الاخضر ومنها الى مدينة تابَسْلكى وهى صغيرة فى صبح جبل يسمى انـــف النسر ومنهـا الى النهريين وهى قرى كثيرة فى فحص عريض وبساط من الارض مديد ومنها الى مدينة تامسلت وهى مدينة جليـلة للزرع والضرع ومنها الى مدينة دكّه وهى على نهر كبير ذات مزارع ومسارح ومنها الى مدينة الغدير تخرج منه عيون نهر سهر وهو نهر المسيلة وهو المعروف بالوادى الرئيس على ما نذكره بعد ان شاء الله ومنها الى قلعة ابى طويل ۞

۞ الطريق من القيروان الى مدينة بونه ۞

من القيروان الى جلولا كما تقدم ومنها الى اجّر ولها حصن وبهـا قنطرة وهـو موضع وهر كثير الحجارة المتكاثف المسالك ماسده لا تكاد يخلو من اسد دايـم الربح العاصفه ولذلك يقولون ۞ اذا جئت اجّرْ فحجّرْ فان فيه اسدا يعرى وحجرا يبرى وريحا تذرى ۞ وحول اجر قبايل من العرب ومن البربر ضريسة ومرنيسـة ومنها الى الفحمين وهى قرية وبها سوق جامعة ومنها الى جزيرة ابى حمامة ومنها الى الانصاريين وقد تقدم ذكرها ويقرب هذا الموضع فحص بل وهو من اطيب ارض افريقية مزدرعا ومن جزيرة ابى حمـــامة خمس مراحل الى مدينة بونة فى قرى وعمارة ۞ اول المراحـل من مدينة بونه الى القيروان ۞ زانه خصوص وقرارات للبربر بها عيون ماء فى شعراء عظيمة شجرها كلها زان ومنها يجلب الى افريقية ومدينة بونه اولية وهى مدينة افشتين العـالم بدين النصرانية وهى على ساحل البحر فى نشز من الارض منيع مطل على مدينة سبـــوس

وتسمى اليوم مهدية زاوى وبينها وبين المدينة الحديثة نحو ثلاثة اميال ولها مساجد واسواق وحمام وهي ذات ثمر وزرع وقد سورت بونة الحديثة بعد الخمسين واربعماية وفي بونة الحديثة بير على ضفة البحر منقورة في حجر صلد يسمى بير النثرة منها يشرب اكثر اهلها وبغربي هذه المدينة ماء سايح يسقى بساتين وهو مستنزه حسن ويطل على بونة جبل زغوغ وهو كثير الثلج والبرد ومن العجايب ان فيه مسجدا لا ينزل عليه شيء من ذلك الثلج وان عم الجبل كله ومدينة بونة برية بحرية كثيرة اللحم واللبن والحوت والعسل واكثر لحمانهم البقر الا انها يصح بها السودان ويسقم البيضان وحول بونة قبايل كثيرة من البربر مصمودة واوربة وغيرها واكثر تجارها اندلسيون ومستخلص بونة غير جباية بيت المال عشرون الف دينار وبشرقي مدينة بونة مدينة مرسى الخرز فيه المرجان وهي مدينة قد احاط بها البحر الا مسلك لطيف ربما قطعه البحر في الشتاء عليها سور وبها سوق عامرة وقد صنع بها مرفا للسفن منذ مدة قريبة وفي هذه المدينة تُنشا السفن والمراكب الحربية التي تغزى بها الى بلاد الروم والى هذه المدينة يقصد الغزاة من كل افق لان مقطعها يقرب من جزيرة سردانية بينهما نحو مجريين وبازاء مدينة مرسى الخرز بير وفيه الماء تعرف ببير ازران يقول اهلها ۞ طعنة بمزران خير من شربة من بير ازران ۞ وهذه المدينة كثيرة الحيات فاسدة الهواء يمتاز اهلها من غيرهم بصفرة الوانهم ولا يكاد يخلو عنق احد منهم من تميمة وجباية هذه المدينة عشرة الاف دينار ۞

۞ الطريق من القيروان الى طبرقة ۞

من مدينة القيروان الى منستير عثمان ست مراحل وهي قرية كبيرة

اهلة بها جامـــع وفنادق كثيرة واسواق وحمامات وبير لا تنزف وقصر ثلاول مبنى بالصخر والجير وارباب المستغير قوم من قريش من ولد الربيع بن سليمان وهو اختطها عند دخوله افريقية وبها عرب وبربر وافارق ومنها الى مدينة باجة ثلاث مراحل في قرى غير متصلة ومدينة باجة كبيرة كثيرة الانهار وهي على جبل يسمى عين الشمس في هيئة الطيلسان تطرد حواليها وفيها عيون المــاء العذب ومن تلك العيون عين تعرف بعين الشمس هي تحت سـور المدينة والباب هناك ينسب اليها ولها ابواب غير هذا وفي داخل الحصن عين اخرى عذبة غزيرة المــاء وحصنها اولى مبنى بالصخر الجليل اتقن بناء ويقال انه من عهد عيسى عليه السلام ولها ربض كبير في شرقي الحصن وسور الحصن مما يـــلي الربض مهدوم وبهـا جامع متقن البناء قبلته سور المدينة وفيها خمسـة حمامات ماؤها من العيون وفنادق كثيرة وبها ثلاث رحاب لبيع الاطعمة وعيون خارجها لا تحصى كثرة وهي دائمـة الدجن والغيم كثيرة الامطار والانداء قل ما يصحى هواؤها وبها يضرب المثل في كثرة المطر ولها نهر من جهة الشرق جـــار من الجوف الى القبلة على ثلاثة اميال منها وحولها بســـاتين عظيمة تطرد فيها المياه وارضهـا سوداء متشققة يجود فيها جميع البزور وبها حمص وفول قل ما يرى مثله وتسمى هرى افريقية لريع زرعها وكثرة رباعها وانها خصيبة لينة الاسعار اخلت البلاد او خصبت واذا كانت اسعار القيروان نازرة لم يكن للحنطة بهـــا قيمة ربمـــا اشترى وقر البعير من الحنطة بدرهمين ويردها كل يوم من الدواب والابل العدد العظيم الالف والاكثر لانتقال الميرة فلا يوثر ذلك في سعرها لكثرة طعامهم ثـم تسير منها مرحلة الى باسلى وهي قرارات للبربر ببلد ورداحة على

عيون عذبة ومن قرى باجة المغيرية قرية شريفة بها اثار عظيمة عجيبة للاول من كنايس قايمة البنيان محكمة العمل كانما رفعت عنها الايدى بالامس وكلها مفروشة بالرخام المعين يقف عليها من الغربان عدد لايحصى كثرة حتى يظن المرء ان غربان الارض قد تجمعت هناك ويزعمون ان بها طلسما وامتحن اهل مدينة باجة ايام ابى يزيد بالمقتل والسبى والحرق قال الراجز فى هجوه لابى يزيد

وبعدها باجة ايضا افسدا

واهلها اجلى ومنها شرّدا

وهدّم الاسوان والقصورا

والدور قد فتّش والقبورا

ولم يزل الناس يتنافسون فى ولاية باجة وكان المتداولون فيها لذلك بنو على بن حُميد الوزير فاذا عُزل منهم احد لم يزل يسعى ويتلطف ويهادى ويتاحف حتى يرجع اليها فقيل لبعضهم لم ترغبون فى ولاية باجة فقال لاربعة اشياء ۞ قمح عندة وسفرجل زانة وعنب بلطة وحوت درنة ۞ وبها حوت بورى ليس له فى الافاق نظير يخرج من حوت واحد عشرة ارطال شحم اذا كان من جلتها واكثر وكان يحمل الى عبيد الله حوتها فى العسل فيحفظه ويصل طريا ودُرْنة بين طبرقة وباجة ومنها الى مدينة طبرقة وهى على شاطى البحر وفيها اثار للاول وبنيان عجيب وهى عامرة لورود التجار فيها وبها نهر كبير تدخله السفن الكبار وتخرج فى بحر طبرقة وروى ان الكاهنة قتلت بطبرقة وبشرقى مدينة طبرقة على مسيرة يوم وبعض اخر قلاع تسمى بقلاع بنزرت وهى حصون ياوى اليها اهل تلك الناحية اذا خرج الروم غزاة الى بلادهم فهى مفزع لهم وغوث وهى رباطات للصالحين وقال محمد بن يوسف فى ذكر الساحل

من طبرقة الى مرسى نوبس فغال ۞ مرسى القبة عليه مدينة بمزرت وهي مدينة على البحر يشقها نهر كبير كثير الحوت ويقع في البحر وعليها سور صخر وبها جامع واسوان وحمامات وبساتين وهي ارخص البلاد حوتا ۞ وافتتحها معوية بن حديج سنة احدى واربعين وكان معه عبد الملك بن مروان فشد عن الجيش فمر بامراة من العجم من عمل بنزرت فقرته واكرمت مثواه فشكر ذلك لها فلما ولى الخلافة كتب الى عامله بافريقية في المراة واهل بيتها فاحسن اليهم وظاهر النعم لديهم ۞ وتوالى هذه المراسى مذكور بعد هذا في موضعه ان شاء الله وعلى ساحل هذه القلاع بحيرة تنسب ايضا الى بنزرت يدخل اليها ماء البحر الكبير فيوجد فيها في شهر ما من السنة صنف من الحوت لايشبه غيره ولا يوجد هناك في غير ذلك الشهر وفي هذه البحيرة اعجوبة وهو ان الصياد فيه اذا اتاه التجار لشراء الحوت يقول لهم على اى شىء ارسل شبكتي فيتفق معهم على عدة معلومة فيانى الصياد بحوت يقال انه انثى الصنف المعروف بالبورى فيرسلها في البحيرة ثم يتبعها بشبكته فيخرج العدة التى اتفقوا عليها لايكاد يخطىء وعلى مقربة من هذه البحيرة بحيرتان احداهما حلوة والاخرى ملحة فيصب كل واحد منهما في الاخرى نصف العام على السواء فلا يتغير لواحدة منهما طعم وبغربى مدينه بونه بركة بينها وبين بونة مسيرة يوم طولها ثلاثة اميال في مثلها وفيها سمك جليل وفيها الطاير المعروف بالكيكل يعشش على ماء تلك البحيرة ويفرخ فيها فاذا احس بحيوان في البر دفع عش فراخه قدامه الى وسط البركة وهو الطاير الذى يسمى بمصر بالحواص يصنع من جلوده الفراء ويباع بالاثمان الغالية ۞

۞ الطريق من قلعة ابى طويل الى مدينة تنس ۞

تخرج من القلعة الى مدينة المسيلة وهى مدينه جليلة على نهر يسمى بنهر سَهْر اسسها ابو القاسم اسماعيل بن عبيد الله سنه ثلاث عشرة وثلاث مايه وكان المتولى لبنائها على بن حمدون بن سماك بن مسعود بن منصور الجذامى المعروف بابن الاندلسى واستعمله القائم عليها فلم يزل بها الى ان هلك فى فتنة ابى يزيد وبقى ابنه جعفر فيها وصار اميرا على الزاب كله الى ان خرج عنها فى سنة ستين وثلاث مايه على ما نحن ذاكروه فى موضعه ان شاء الله وهى مدينه فى بساط من الارض عليها سوران بينهما جدول ماء جار يستدير بالمدينه وله منافذ تسقى منها عند الحاجة وللمدينة اسواق وحمامات وحولها بساتين كثيرة ويجود عندهم القطن وهى كثيرة اللحم رخيصة السعر وبها عقارب مهلكة لا يتخلص من لسبها ويقرب منها جبل عجيسة وهوارة وبنى برزال ولهم كانت ارض المسيلة ويقبلى مدينه المسيلة موضع يعرف بالقباب فيه قباب من بنيان الاول وعلى مقربة منها مدينة للاول خربة يقال لها بشليقة فيها جدولان من ماء عذب جلبه الاول اليها يقال لها تارفا انوودى تفسيره سافية السمن ۞ وقال احمد بن محمد المروذى يذكر نزول اسماعيل بالمسيلة والشيعة تسميها المحمدية

تمّ الى مدينة مرضيه اسست على التقوى محمديه
اقبل حتى حلها محييه بالنور من طلعته المضيه
حل فى عسكره المسيله فى هيئة كاملة جميله
للنصر فى ارجائه مخيله بنعمة من ذى العلى جليله

ونهر سهر الذى عليه مدينة المسيلة منبعثه من عيون داخل مدينة قديم وارّوا وهى مدينة كبيرة اولية بين جبال فيها عين

ثرة عذبة عليها الارحاء وعين اخرى وتحتهما عين خرارة يقال لها عين مخلد تجتمع فيها ومن هناك منبعث نهر سهر وبمدينة الغدير جامع واسواق عامرة وفواكه كثيرة وهي رخيصة الطعام واللحم وجميع الثمار فنطار عنب فيها بدرهم وسكانها هوارة يعتمدون في سنن الفا ۞ وبشرقي مدينة الغدير قرية اولية يقال لها طَرْفَلَة لا تعدل بها قرية وهم يقولون ۞ طرفلة طرف من الجنة ۞ ومدينة الغدير ما بين سوق حمزة وطبنه وهي على مرحلتين من طبنة ۞ وتسير من مدينـــة المسيلة الى نهر يسمى جوزة ومن جوزة الى مدينة اشيـــر وقال محمـــد بن يوسف ان الذى بنا اشير زيرى والدليل على ذلك ما انشده عبد الملك بن عيشون

يا ايها السـايل عن غربنا وعن محـل الكفر ءاشيـر
عن دار فسق ظالم اهلها قد شيدت للافك والزور
اسسهـــا الملعون زيريهـــا فلعنـــة الله على زيـــرى

وهي جليلة حصينة يذكر انه ليس في تلك الاقطار احصن منهـا ولا ابعد متناولا ومراما ولا يوصل الى شيء منها بقتال الا من موضع يحميه عشرة رجال وهو في شرقيها الذى ينفذ الى عين مسعود وساير نواحيها تزلّ عنها العيون فكيف الاقدام .وهي مع ذلك بين جبال شامخة محيطة بها دايرة عليهـا وداخل مدينتها عينـــان ثرتان لا يبلغ لهما غور ولا يدرك قعر احداهما تعرف بعين سليمان والاخرى بعين تالانتيرغ والذى بنى سورها بالجّين يوسف بن زيرى بن مناد الصنهاجي سنة سبع وستين وثلاث مائة وخربها يوسف بن حماد ابن زيرى واستباح اموالها وفضح حرمها وذلك بعد اربعين واربع مائة ثم تراجع الناس اليها بعد خمـــس وخمسين ۞ وتسير من مدينة اشير الى قرية تسمى سوق هوارة ومنها الى قرية تسمى سوق

كرام وهي على نهر شلف ومنهـا الى مدينة مليانة وهي مدينة رومية فيها اثار وهي ذات اشجار وانهار تطحن عليها الارحاء جددها زيرى بن مناد واسكنها ابنه بلجين وهي عامرة ومنهـا الى مدينة الخضراء وهي مدينة جليلة كثيرة البساتين وهي على نهر اذا حمل دخل بعضهـا ومنهـا الى مدينة قديمة مدينة دنى واربعين وهي واسعة المسارح كثيرة الكلاء ومنها الى مدينة فارية وهي مدينة لطيفة ذات اعين كثيرة وهي في سفح جبـل ومنهـا الى مدينة تنس بينها وبين البحر ميلان وهي مسورة حصينة داخلهـا قلعة صغيرة صعبة المرتقى يقعود يسكناها العمال لحصانتها وبها مسجد جامع واسواق كثيرة وهي على نهر يسمى تفاتين ياتيها من جبال على مسيرة يوم ياتيها من القبلة ويستدير بهـا من جهة الجنوب والشرق ويريف في البحر وبها حمامات وتنس هذه هي التي تسمى تنس الحديثة وعلى البحر حصن يذكر اهل تنس انه كان القديم المعمور قبل هذه الحديثة وتنس الحديثة اسسها وبناها البحريون من اهـل الاندلس منهم الكركرني وابو عايشة والصَّقر وصُهيب وغيرهم وذلك سَنَة اثنتين وستين ومايتين ويسكنها فريقـان من اهل الاندلس من اهل البيرة واهل تدمير واصحاب تنس من ولد ابراهيم بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن حسن بن حسين ابن علي وكان هولاء البحريون من اهل الاندلس يشتون هنـاك اذا سافروا من الاندلس في مرسى على ساحل البحر فتجمع اليهم بربر ذلك القطر ورغبـوا في الانتقـال الى قلعة تنس وسـالوهم ان يتخذوها سوقا ويجعلوها سكنى ووعدوهم بالعون والرفق وحسن المجاورة والعشرة فاجابوهم الى ذلك وانتقلوا الى القلعة وخيموا بها وانتقل اليهم من جاورهم من اهل الاندلس وغيرهم فلمـا دخل

عليهم الربيع اعتلوا واستوىوٴا الموضع فركب البحريون من اهـل الاندلس مراكبهم واظهروا لمن بقى منهم انهم يمارون فحينئذ نزلوا مرية بجّانة وتغلبوا عليها على ما ياتى ذكره ان شاء الله ثم ان البافون فى تنس لم يزالوا فى تزيد ثروة وعدد ورحل اليهم اهل سوق ابراهيم وكانوا فى اربع ماية بيت فتوسع لهم اهل تنس فى منازلهم وشاركوهم فى اموالهم وتعاونوا على البنيان واتخذوا الحصن الذى فيها اليوم ولها بابان الى القبلة وباب البحر وباب ابن ناصح وباب للخوخة شرقى يخرج منه الى عين تعرف بعين عبد السلام ثرة عذبة وكيلهم يسمى الصحفة وهى ثمانية واربعون قادوسا والقادوس ثلاثة امداد بمد النبى صلى الله عليه وسلم ورطل اللحم بها سبع وستون اوقية ورطل ساير الاشياء اثنتان وعشرون اوقية ووزن قيراطهم ثلث درهم عدلٍ بوزن قرطبة والجارى عندهم قيراط وربع درهم وصقل وحبّتان مضروبة كلها ودرهمهم اثنا عشر صقلية عددا وقال سعيد بن واشكَل التيهرتى فى علته التى مات منها بتنس

نأى النوم عنى واضمحلّت عرى الصبر واصبحت عن دار الاحبّة فى اسر
واصبحت عن تيهرت فى دار معزل واسلمنى مرّ القضاء من القدر
الى تنس دار النحوس فانها يساق اليها كل منتقض العمر
هو الدهر والسيّان والماء حاكم وطالعها المنحوس صمصامة الدهر
بلاد بها البرغوت يحمل راجلا ويأوى اليها الذيب فى زمر الحشر
ويزحف فيها العامّ فى كل ساعة بجيش من السودان تغلب بالوتر
ترى اهلها صرعى دوى امّ ملدم يروحون فى سكر ويغدون فى سكر

وقال غيره

ايّها السايل عن ارض تنسْ مقعد اللوم المصفّى والدنسْ

بلدة لا ينزل القطر بها   للندى في اهلها حرث درس
فحياء النطف في لا ابدا   وهم في نعم بكم خرس
فمتى تلمم بها جاهلها   يرتحل عن ارضها قبل الغلس
وماؤها من قبح ما خصّت به   نجس يجرى على ترب نجس
فمتى تلعن بلادا مرة   فاجعل اللعنة ذابا لتنس

واما الطريق من تنس الى تيهرت خمس مراحل ۞

۞ الطريق من القيروان الى مرسى الزيتونة ۞

من القيروان الى مجّانة على ما تقدم ومنها الى مدينة تيجس ومدينة تيجس عليها سور صخر رومى ولها ربض وبها اسواق وجامع وحمام وبها من قبايل البربر نفزة وورغروسة وبنو وتموا وكزناية وحمرة من زناتة ثم تسير من مدينة تيجس الى مدينة قسنطينة وهى مدينة اولية كبيرة اهلة ذات حصانة ومنعة ليس يعرف احصن منها وهى على ثلاثة انهار عظام تجرى فيها السفن قد احاطت بها تخرج من عيون تعرف بعيون اشقار تفسيره سود وتقع هذه الانهار فى خندق بعيد القعر متناهى البعد قد عقد فى اسفله قنطرة على اربع حنايا ثم بنى عليها قنطرة ثانية ثم على الثانية قنطرة ثالثة من ثلاث حنايا ثم بنى فوقهن بيت ساوى حافتى الخندق يعبر عليه الى المدينة ويظهر الماء فى قعر هذا الوادى من هذا البيت كالكوكب الصغير لعمقه وبعده ويسمى هذا البيت العبور لانه معلق فى الهواء ويسكن قسنطينة قبايل شتى من اهل ميلة ونفزاوة وقسطيلية وهى لقبايل من كتامة وبها اسواق جامعة ومتاجر رابحة وبينها وبين مرسى سكدة مسيرة يوم ومن مدينة قسنطينة الى مدينة ميلة وى سنة ثمان وسبعين

وثلاث مائة في شوال خرج المنصور من القيروان غازيا لكتامة فلما
قرب من مسيلة زحف اليها بأذيا على اصطلام اهلها واستباحتهم
فخرج اليه النساء والعجايز والاطفال بعد ان عبّا جيوشه لمحاربتها
ونشر البنود وضرب الطبول فلما راى من خرج اليه منها بكى وامر
ان لا يقتل من اهلها احد وامر بهدم سورها وتسيير من فيها الى
مدينة باغاية فخرجوا بجماعتهم بريدونها وقد تحملوا ما خف
من امتعتهم فلقيهم ماكسن بن زيرى بعسكره فاخذ جميع ما
معهم وبقيت مسيلة خرابا ثم عمرت بعد ذلك وعليها سور صخر
اليوم وحولها ربض وبها جامع واسواق وحمامات والمياه تطرد
حولها يسكنها العرب والجند والمولدون وهي من غرر مدن الزاب
ولمدينة مسيلة باب شرقي يعرف بباب الروس وعلى مقربة منه جامعها
وهو ملاصق لدار الامارة وباب جوفي يعرف بباب السعلى وبلده
داخل المدينة عين تعرف بعين ابي السباع مجلوبة تحت الارض من
جبل بني ياروت يشق منها سوقها سافية فاذا قل الماء في الصيف
اجريت يوم السبت والاحد من الجمعة لا غير ولها حمامات في
ربضها وبها عين تعرف بعين الحمى يرش منها على المحموم فيبرا
لبركتها وشدة بردها ثم تسير من مدينة مسيلة الى مرسى الزيتونة
وهو جبل جيجل ۞

۞ الطريق من مدينة اشير الى مرسى الدجاج ۞

تخرج من مدينة اشير الى شعبة وهي قرية ومنها الى مضيق بين
جبلين ثم تمضي الى فحص افيح تجمع فيه عيون عافر فرحا ومن
هذا الموضع تحمل الى الاداب وهناك مدينة تسمى حمزة نزلها

وبناها حمزة بن الحسن بن سليمان بن الحسن بن على بن الحسن ابن على بن ابى طالب رضى الله عنهم والحسن بن سليمان هو الذى دخل المغرب وكان له من البنين حمزة هذا وعبد الله وابراهيم واحمد ومحمد والقاسم وكلهم اعقب وعقبهم هناك ونسير من حمزة الى بلياس وهى فى جبل عظيم ومن بلياس الى مرسى الدجاج ومدينة مرسى الدجاج قد احاط بها البحر من ثلاث نواح وقد ضرب بسور من الضفة الغربية الى الضفة الشرقية ومن هناك يُدخل اليها واسواقها ومسجد جامعها داخل ذلك السور له باب واحد ولها مرفا غير مامون لضيقه وقرب قعره وبها عيون طيبة يسكنها الاندلسيون وقبايل من كتامة وبشرقيها مدينة بنى جنّاد وهى اصغر منها ۞ ومن اراد الطريق من القيروان الى مرسى الدجاج فانه ياخذ الى المسيلة على ما تقدم ثم الى اوزقور وهى عين عذبة بارده عليها شجرة عظيمة وهذا اخر حد بلد صَنهاجة الى سوق ماكسن وهى مدينة على وادى شلف لصنهاجة عليها سور ولها عيون الى سوق حمزة وهى مدينة عليها سور وخندق وبها ابار عذبة وهى لصنهاجة وكانْ نزلها حمزة بن الحسن بن سليمان بن الحسين ابن على بن الحسن بن على الى بنى جناد وهى مدينة صغيرة على جبل بينها وبين البحر نحو ميل ومنها الى مرسى الدجاج ۞

۞ الطريق من مدينة اشير الى مدينة جزاير بنى مزغنى ۞

من اشير الى المديّة وهى بلد جليل قديم ومنها الى فزرونة وهى مدينة على نهر كبير عليه الارحا والبساتين ويقال لها متيجة ولها مزارع ومسارح وهى اكثر تلك النواحى كتّانا ومنها يحمل

وبها عيون سائحة وطواحين ماء ومنها الى مدينة ءاغزر ومنها الى مدينة جزاير بنى مزغنى وهى مدينة جليلة قديمة البنيان بيها اثار للاول وازاج محكمة تدل على انهـا كانت دار مملكة لسالف الامم وصحن دار الملعب بيها قد برش بجارة ملونة صغار مثل البسيفساء بيها صور الحيوان باحكم عمل وابدع صناعة لم يغيرها تقادم الزمان ولا تعاقب القرون ولها اسوان ومسجد جامع وكانت بمدينة بنى مزغنى كنيسة عظيمة بقى منهـا جدار مدير من الشرق الى الغرب وهو اليوم قبلة الشريعة للعيدين مقصص كثير النقوش والصور ومرساها مامون له عين عذبة يقصد اليه اهل السفن من افريقية والاندلس وغيرها ومن اشير الى تامَغَلْت ثلاثون ميلا وهى مدينة مبنية فى سفح جبل على راس الصحراء ۞

۞ الطريق من القيروان الى تنس ۞

من القيروان الى مدينة الغُرّة على ما تقدم ثم منهـا الى مدينة ناجنة وهى مدينة سهلية اهلة عليهـا سور وبها جـامع سكانها برنجانة وحولها كزناية ومن مدينة تاجنة الى مدينة تنـس فان اردت من الغرة الى مدينة تيهرت فمن مدينة الغرة الى تاجهوت على مضيق مكناسة الى عين الصفحى عيـن خرارة فى سفح جبل لمطماطة الى تاغريبت الى تيهرت ومدينة تيهرت مسورة لها ثلاثة ابواب باب الصبا وباب المنازل وباب الاندلس وباب المطاحن وغيرها وهى فى سفح جبل يقال له جزّول ولها قصبة مشرفة على السوق تسمى المعصومة وهى على نهر ياتيهـا من جهة القبلة يسمى مِينة وهـو فى قبليها ونهر اخر يجرى من عيون تجتمع تسمى تاتُش و من تاتس

شرب اهلها وبساتينها وهو ى شرقيها وفيها جميع الثمار وسفرجلها يعون سفرجل الآفاق حسنا وطعما ومشما وسفرجلها يسمى بالفارس وهى شديدة البرد كثيرة الغيوم والثلج قال بكر بن حماد ابو عبد الرحمن وكان ثقة مامونا حافظا للحديث سمع بالمشرق من ابن مسدد وعمرو بن مرزوق وبشر بن حجر وبافريقية من سحنون وغيرهم وسكن تاهرت وبها توفي فقال

مـــا اخشن البردَ وريعانه　　واطرف الشمسَ بتـــاهرت
تبدو من الغيم اذا ما بدَتْ　　كانهـا تُنْشَر من تخـــت
فنحن في بحـــــر بلا لجّة　　تجرى بنا الريح على السمت
نفرح بالشمس اذا ما بدت　　كفرحـــة الذمّى بالسبت

ونظر رجل من اهل تاهرت الى توقد الشمس بالحجاز فقال احرقى ما شئت فوالله انك بتاهرت لذليلة ۞ وهذه تاهرت الحديثة وعلى خمسة اميال منها تاهرت القديمة وهى حصن لبرجانة وهو فى شرقى الحديثة ويقال انهم لما ارادوا بناء تاهرت كانوا يبنون النهــار فاذا جن الليل واصبحوا وجدوا بنيانهم قـــد تهدم فبنوا حينئذ تاهرت السفلى وهى الحديثة وبقبليها لواطة وهوارة فى قرارات وبغربيها زواغة وبجوفيها مطماطه وزناتة ومكناسة وقد ذكرنا ان بشرقيهـا حصن لبرجانة وهو تاهرت القديمة وكان صاحب تاهرت ميمون ابن عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن رُستم بن بهرام وبهرام هذا مولى امير المومنين عثمان رضى الله عنه وهو بهرام بن ذوشرار بن سابور ابن بابكان بن سابور ذى الاكتاف الملك الفارسى وكان ميمون راس الاباضية وامامهم وامام الصفرية والواصلية وكان يسلَّم عليه بالخلافة وكان مجمع الواصلية قريبـا من تاهرت وكان عددهم نحو ثلاثين الفا فى بيوت كبيوت الاعراب يحملونها وتعاقب مملكة

تاهرت بنو ميمون وبنو اخويه عبد الرحمن واسماعيل بن الرستمية الى سنة ست وتسعين ومايتين بوصل ابـــو عبد الله الشيعي الى مدينة تاهرت بدخلها بالامان ثم قتل فيها من الرستمية عددا كثيرا وبعث برءوسهم الى اخيه ابي العباس وطيف بها بالقيروان ونصبت على باب رفادة وملك بنو رستم تاهرت ماية وثلاثين سنة وذكر محمد بن يوسف ان عبد الرحمن بن رستم كـــان خليفة لابي الخطاب عبد الاعلى بن السمح بن عبيد بن حرملة ايام تغلبه على افريقية فلما قتل محمد بن الاشعث الخزاعي ابا الخطـاب وذلك في صفر سنة اربع واربعين ومائة هرب عبد الرحمن باهله وما خف من ماله وترك القيروان فاجتمعت اليه الاباضية وانفقوا على تقديمه وبنيان مدينة تجمعهم فنزلوا موضع تاهـرت اليوم وهـــو غيضة اشبة ونزل عبد الرحمـــن منه موضعـــا مربعا لا شعراء فيه فقال البربر نزل تافدمت تفسيره الدف شبهوه بالدف لتربيعه وادركتهم صلاة الجمعة فصلى بهم هنالك فلما انقضت الصلاة ثارت صيحة عظيمة على اسد ظهر في الشعراء فاخذ حيا وأُتي بـــه الى الموضع التي صلوا فيه وقتل هناك فقال عبد الرحمن بن رستم هذا بلد لايفارقه سفك دم ولاحرب ابدا وابتدوا من تلك الساعة فبنوا في ذلك الموضع مسجدا وقطعوا خشبة من تلك الشعراء فهو كذلك الى اليوم وهو مسجد جامعها وهو من اربعة بلاطات قال وكـان موضع تاهرت ملكها لقوم مستضعفين من مراسة وصنهاجة فارادهم عبد الرحمن على البيع فابـوا فوافقهم على ان يودوا اليهم الخراج من الاسواق ويبيحوا لهم بنيان المساكن فاختطوا وبنـوا وسمى الموضع معسكر عبد الرحمن بن رستم الى اليوم قال وبتاهرت اسواق عامرة وحمامات كثيرة يسمى منها اثنى عشر حماما وحواليها من

البربر امم كثيرة ومدهم الذى يكتالون به خمسة افعزة ونصف فرطبية وفنطار الزيت وغيره عندهم فنطاران غير ثلث الا المجلوب من البلبل وغيره فانه فنطار عدل ورطل اللحم عندهم خمسة ارطال ۞ وان اردت طريف الساحل من تنس الى اشير زيرى فمن تنس الى بنى جلّيداسن مدينة لطيفة لمطغرة يسكنه الاندلسيون والغرويون ولا يدخلها برفجانى من وفت غدرهم بها وهى بلدة طيبة بها عيون عذبة وهى مطلة على فحص شلف وهناك مدينة شلف على نهر بها سوف عامرة تعرف بشلف بنى واطيل لزواغة ومنها الى بنى واريفن لمطغرة على نهر شلف بها حوانيت الى مدينة مليانة وهى اولية شريفة جددها زيرى بن مناد واسكنها ولده بلجين وهى مشرفة على جميع ذلك الفحص الذى فيه بنو واريفن وغيرهم وهى عامرة اهلة على نهر ولها انار عذبة وسوف جامعة ومنها الى مدينة اشير ۞ وان اردت الطريف من تاهرت الى البحر فانك تمر بين فبايل البربر حتى تاتى شلف بنى واطيل ومن هناك الى الغزّة يومان والغزة ساحل تاهرت وبغرب هذا الموضع على البحر فلعة مغيلة دَلول وهى فى اعلى جبل منيف هناك شديدة الحصانة بينها وبين البحر خمسة فراسخ وبها عين ماء تسمى عين كُردى وبين فلعة دلول هذه ومدينة مستغانم مسيرة يومين وهى على مغربة من البحر وهى مدينة مسورة ذات عيون وبساتين وطواحين ماء ويبذر فى ارضها الفطن فيجود وهى بغرب مصب نهر شلف فى البحر وبغربى هذه المدينة على نحو ثلاثة اميال منها مدينة تامزغران وهى مدينة مسورة لها مسجد جامع وعلى مغربة منها فلعة هوارة ويسمونها تاسفدالت وهى فلعة فى جبل لها ثمار ومزارع وتحت هذه الفلعة يجرى نهر سيرات وهو النهر الذى

يسقى به فحص سيرات وطول الفحص نحو اربعين ميلا ليس منه شيء الا يناله ماء هذا النهر الا انه اليوم غامر غير عامر ولا اهل لان الخوف اجلى اهله وفي ساحل هذا الفحص مدينة ارزاو وهي مدينة رومية خالية فيها اثار عظيمة للاول باقية يحار من دخل فيها لكثرة عجايبها وبغرب مدينة ارزوا جبل كبير فيه قلاع ثلاث مسورة رباط يقصد اليه وفي هذا الجبل معدن للحديد وللزيبق واذا ارسلت النار في شجرة تفاوحت منه ارواح عطرة وبين مدينة ارزوا هذه ووهران اربعون ميلا ومدينة وهران حصينة ذات مياه سايحة وارحاء ماء وبساتين ولها مسجد جامع وبنى مدينة وهران محمد بن ابي عون ومحمد بن عبدون وجماعة من الاندلسيين البحريين الذين ينتجعون مرسى وهران باتفاق منهم مع نفزة وبنى مُسقن وهم من ازداجة وكانوا اصحاب الفرشى سنة تسعين ومايتين فاستوطنوها سبعة اعوام وفي سنة سبع وتسعين ومايتين زحف قبايل كثيرة الى وهران يطالبون اهلها باسلام بنى مسقن اليهم لدماء كانت بينهم فابى اهل وهران من اسلامهم اليهم فنصبوا عليهم الحرب وحاصروهم ومنعوهم الماء فخرج عنهم بنو مسقن ليلا هاربين واستجاروا بازداجة واجاروهم وتغلّب على اهل مدينة وهران وخرجوا عنها مسلّمين في انفسهم واسلموا ذخايرهم واموالهم وخربت وهران واضرمت نارا وذلك في ذى الحجة من هذه السنة ثم عاد اهل وهران اليها في السنة بعدها سنة ثمان وتسعين ومايتين بامر ابي حُميد دوّاس بن صولات ويقال داود عامل تاهرت وابتدوا بنيانها في شعبان من هذه السنة فعادت احسن مما كانت وولى عليهم داود بن صولات اللهيصى محمد بن ابي عون فلم تزل في عمارة وكمال وزيادة وحسن

حال الى ان وفع يعلى بن محمد بن صالح اليفرنى بازداجة بجبل فبدر وبرن جماعتهم وكانت الوفيعه بينهم يوم السبت للنصف من جمادى سنة ثلاث واربعين وثلاث مايه فدخل يعلى مدينة وهران وملكها ثم نفل اهلهـا الى مدينته المعروفة وذلك فى ذى الفعدة من العـام المورخ وخرب مدينة وهران ثانية وحرفهـا وبفيت كذلك سنين ثم تراجع الناس اليها وبنيت ۞ وفى عمل وهران فرية اهلها موصوفون بعظم الاجسـاد ومعروفون بشدة الايد اخبرنى غير واحد انه راى الرجل الكامل فى الخلف المعهود يكون الى دون منكب الرجل منهم وانه كان منهم رجل يحمل سنة نفر ويخطو بهم خطوات يحمل على عاتفه اثنين ونابط اثنين ويحمل على ذراعيه اثنين وان رجلا منهم اراد عمل بيت فافتطع الف كلخة وحملها على ظهره وسوى منها بيتا تاما معرّشا ۞

۞ الطريف من وهران الى الفيروان ۞

تخرج من وهران الى تانسالمت فرية لازداجة بها سوف وعين عذبة وهى فى طرف جبل جَبْدَرْ ومنها الى جراوة لعْزيزوا وهى سوف عبيدون ابن سنّان الازداجى ومنها الى فصر ابن سنّان ثم الجادة على ما تفدم وهى خمس وعشرون مرحلة ۞

وطريف اخر من وهران الى الفيروان على بلـد فسطيلية ۞ من وهران كما ذكرنا الى فصر منصور بن سنـان ثم الى العلويين وهى مدينة يعـلى بن باديس عليها سور وهى على نهر كبير وداخلها عيون ومنهـا الى نهر سى بن دمر وهو نهر كبير عليـه بساتين كثيرة ومنها الى احسـاء عفبة بن نافع الفرشى وهى ابار

كثيرة مبنية بخشب العرعار وتعرف بامار العسكر يريدون عسكر عقبة ويسمى بالبربرية ارســان ثم تمشى فى مفاوز ربما نزلها بنو مغراوة ثلاث مراحل او اربعا الى ساقية ابن خزر يسمونها ازمّرين عليها قصر خراب حوله ثمار وتحبل الى مدن بنطيوس وهى ثلاث مدن يقرب بعضها من بعض وفى كل مدينة جامع فالاثنان لاهل السنة والثالث لقوم من الخوارج يعرفون بالواصلية اناضية احداها يسكنها قوم من الفرس يعرفون ببنى جُرج وبغربيها نهر جار ينحدر اليها من ناحية الجوف وهذا النهر يسقى الثلاث المدن والثانية يسكنها المولدون والثالثة يسكنها البربر واكثر ثمارها النخل والزيتون والثلاث المدن فى سهلة عريضة اريضة عليها كلها اسوار وخنادق وبغربيها صحراء بنطيوس تسقى بتلك النهر المذكور واذا كمل الرجل فيها زريعته عرف مبلغ اصابته من الطعام لا يخطى وابارها ملحة ويقرب منها قرى كثيرة وبجوفى بنطيوس طولقة وهى ثلاث مدن كلها عليها اسوار طوب وخنادق وحولها انهار وهى كثيرة البساتين بالزيتون والاعناب والنخل والشجر وجميع الثمار احداها يسكنها المولدون والثانية يسكنها اليمن والثالثة يسكنها قيس ثم من بنطيوس الى مدينة بسكرة وقد تقدم ذكرها ومنها الى مدينة تهوذا وتعرف بمدينة السحر وهى مدينة اهلة كثيرة الثمار والنخيل والزرع وتهوذا مدينة اولية بنيانها بالحجر ولها اموال كثيرة وحولها ربض قد خندق على جميعه واستدار بالمدينة وبها جامع جليل ومساجد كثيرة واسواق وفنادق ونهر ينصب فى جوفيها من جبل اوراس سكانها العرب وقوم من قريش وان كانت بينهم وبين من يجاورهم حرب ارسلوا مــاء النهر فى الخندق المحيط بمدينتهم فشربوا منه وامتنعوا من عدوهم به وفى المدينة بيــر

لاتفزح اولية وابار كثيرة طيبة واعداؤهم هوّارة ومكناسة اباضية وهم بجوفيها واهل تهوذا على مذاهب اهل العراق وحولها بساتين كثيرة من اصناف الثمار وضروب البذر تجود بها البذور وحوالبها ازيد من عشرين قرية ۞ وروى ابو المهاجر عن رجاله عن شهر ابن حوشب ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن سكنى هذه البقعة الملعونة التى يقال لها تهوذا ويقول انه سوف يُقتل بها رجال من امتى على الجهاد فى سبيل الله ثوابهم ثواب اهل بدر واهل احد ما بُدّلوا حتى ماتوا وكان شهر بن حوشب يقول واشوقاه اليهم وكان يقول سالت التابعين عن هذه العصابة فقالوا ذلك عقبة ابن نافع قتله البربر والنصارى بمدينة يقال لها تهوذا فمنها يحشرون يوم القيامة وسيوفهم على عواتقهم حتى يقفوا بين يدى الله تعالى ۞ قال ابو المهاجر قدم عقبة بن نافع مصر وعليها عمرو ابن العاصى فى خلافة معوية فنزل منزلا من بعض قراها ومعه عمرو ابن العاصى وعبد الله بن عمرو وجماعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع بين ايديهم سفرة فيها طعام فلما تناولوا من الطعام ضربت حداة على الطعام الذى بين ايديهم فاخذت منه عرقا فقال عقبة اللهم دُقّ عنقُها قال فاقبلت الحداة منقضّة حتى ضربت بنفسها الارض فاندق عنقها فاسترجع عمرو فسمعه عقبة يترجع فقال ما بالك يابا عبد الله قال بلغنى ان نفرا من قريش يخرجون الى هذا الموضع فيستشهدون جميعا فقال عقبة اللهم وانا منهم ۞ ثم ان عقبة بن نافع خرج من عند يزيد ابن معوية فى جيش على غزو المغرب فمر على عبد الله بن عمرو وهو بمصر فقال له عبد الله ياعقبة لعلك من الجيش الذين يدخلون الجنة برحالهم ۞ وقال ابو المهاجر فبلغ عقبة بن نافع فى غزواته

الى السوس الادنى والسوس الاقصى والبحر المحيط وادخل فيه فرسه حتى بلغ الماء لبب فرسه وانصرف الى افريقية فلما دنا منها تفرق اصحابه عنه فوجا فوجا فلما وصل الى مدينة طبنة اذن لساير من بقي معه وبقي في عدة يسيرة وقال في طريقه امرّ الى مدينة تهوذا والى مدينة باديس اعرف ما يكفيهما من العدة والجيوش وكانا في ذلك الوقت من اعظم مداين المغرب فلما انتهى الى مدينة تهوذا اعتمد كسيلة بن لهزم في جيوش الروم واقبلت اليه عساكر البربر وقد علموا بافتران عساكر عقبة فزحفوا اليه فكسر عقبة واصحابه اجفان سيوفهم وقاتلوا حتى قُتلوا جميعا وقبر عقبة معروف بمدينة تهوذا ولما اراد معد بن اسماعيل بن عبيد الله تحريف قبلة مسجد القيروان وقلع من محرابه اجرّا وذلك سنة خمس واربعين وثلاث ماية بلغه ان اهل القيروان يذكرون دعاء عقبة للقيروان وتاسيسه جامعها وانهم يقولون ان الله عز وجل يمنعه منه بدعاء صاحب نبيه له فامر معد لعنه الله بنبش قبر عقبة واحراق رمته بالنار وبعث الى مدينة تهوذا لذلك خمس ماية بين فارس وراجل فلما دنوا من قبره وحاولوا ما امرهم به هبت ريح عاصفة ولاحت بروق خاطفة وقعقعت رعود قاصفة كادت تهلكهم فانصرفوا ولم يعرضوا له ۞ ومنها الى مدينة باديس مرحلة ومدينة باديس حصنان لهما جامع واسواق وبسايط ومزارع جليلة يزدرعون بها الشعير مرتين في العام على مياه سايحة كثيرة عندهم ومن باديس الى فيطون بياضة وهو اول بلد سماطة ومنه يفترق الطريق الى بلاد السودان والى اطرابلس والى القيروان الى مدينة نفطة مرحلتان وهي مبنية بالصخر عامرة اهلة بها جامع ومساجد وحمامات كثيرة وهي كثيرة المياه السايحة وشرب جميع بلاد قسطيلية

بوزن الا نعطه فان شربها جزاف وجميع اهلها شمعة وتسمى الكوفة الصغرى الى مدينة توزر وهى اخر اقاليم بلاد قسطيلية وقد تقدم ذكرها وبينها وبين بسكرة خمسة ايام ثم نسير منها الى نفصة مرحلتان ومن مدينة نفصة الى بج لحمار وبه فنادق وماجل للماء الى الهروية وهى اخر قرى كورة قمونية الى مدينة مذكود وهى ام اقاليم بلاد قمونية بها جامع وحمامات واسوان ومساجد كثيرة وفنادق عدة وابار عذبة الماء بعيدة الرشاء وحولها ثمار كثيرة من جميع الاصناف اكثرها شجر التين وهو يعرف تيـــن افريقية طيبا ومنها يحمل التين زبيبا الى القيروان فيكون اعلى من ساير التين ثمنا واكثر طلبا وهى فى غابة من شجر التين لا تظهر لمـــن قصدها حتى يبلغها ومن مدينة مذكود الى جمونس الصـــابون قرية كبيرة اهلة وبها ابار عذبة وهى فى سند جبل حولها رمـــل كثير وشجر الزيتون وبها جامع وسوق عامرة وحمام وفيها قصر كبير وهو مخزن لجماعة اهلها وبها غدير ماء كبير ولها قرى كثيرة عامرة مغيدة الى قرية مجدول اهلة كبيرة ايضا مثل التى قبلها صفة ولها غدير يعرف بحيرة مجدول منه شربهم ولهم ابار كثيرة طيبة ومنها الى بنى دَعام قرية جامعة عامرة الى مدينة القيروان وذلك من وهران الى القيروان على قسطيلية ثلاث واربعون مرحلة ۞

ومن اراد الطريق من تنس الى تاهرت فمن تنـــس الى الغُزّة على ما تقدم الى تاجموت على مضيف مكناسة الى عين الصُبحى عيـــن كبيرة فى سند جبل لملماطة الى تاغريبت الى مدينة تاهرت ۞

ومدينة لخضراء على مقربة من تنس وهى مدينة كبيرة على نهـــر خرّار عليه الارحاء واذا حمل دخل المدينة وحولها بساتين كثيرة ويكتنفها من قبايل البربر مدغرة وبنو دَمّر ومديونة وبنو واربعن

وهي بين مدينة تنس ومدينة اغزر وقد تقدم ذكرها وهي افزّرنة متبجة ومدينة سطيف على مرحلتين من المسيلة تخرج من المسيلة الى غدير واروا يسكنه بنو يغمراسن من هوارة على عيون طبنة يعتدّون في سنبن العا وقد تقدم ذكرها ومنها الى سطيف وهي مدينة كبيرة جليلة اولية كان عليها سور خربته كتامة مع ابي عبد الله الشيعي لانها كانت في الاول لكتامة ثم غلبتهم عليها العرب فكانوا يعشّرونهم اذا دخلوها وهي اليوم دون سور لاكنها عامرة جامعة كثيرة الاسواق رخيصة الاسعار وبين سطيف والقيروان عشر مراحل وبينها وبين افزّرنة عشر مراحل ايضا ومدينة تاناجللت على مرحلة من مدينة سطيف وعلى مغربة من مدينة ميلة المذكورة قبل هذا وتانافللت مدينة لكتامة عامرة اهلة ليس بها مسجد وغدير واروا المذكور على مرحلتين من طبنة وبين تاناجللت ومدينة القيروان ثمان عشرة مرحلة وبين مدينة وهران وتلمسان ومرحلتان ۞

۞ ذكر مدينة تلمسان وما والاها الى المغرب ۞

وهي مدينة مسورة في سفح جبل شجرة الجوز ولها خمسة ابواب ثلاثة منها في القبلة باب الحمام وباب وهب وباب الخوخة وفي الشرق باب العقبة وفي الغرب باب ابي قرّة وفيها للاول اثار قديمة وبها بقية من النصارى الى وقتنا هذا ولهم بها كنيسة معمورة واكثر ما يوجد الركاز في تلك الاثار وكان الاول قد جلبوا اليها ماء من عيون تسمى لوريط بينها وبين المدينة ستة اميال وهذه المدينة تلمسان قاعدة المغرب الاوسط ولها اسواق ومساجد ومسجد جامع واشجار وانهار عليها الطواحين وهو نهر سطفسيف وهي دار مملكة زناتة

وموسطه قبايل البربر ومقصد لتجار الآفاق ونزلها محمد بن سليمان بن عبد الله بن حسن بن على بن ابى طالب ومن ولده عيسى ابو العيش بن ادريس بن محمد بن سليمان الذى بنا جراوة وكان اميرها وبها توفي ولم تزل تلمسان دارا للعلماء والمحدثين وحملة الراى على مذهب ملك بن انس رحمه الله وفي الجنوب من تلمسان قلعة ابن الجاهل وهي قلعة منيعة كثيرة الثمار والانهار ويتصل بها جبل تارني وهو وما يليه جبال معمورة الى مدينة تيزيل وهي اول الصحراء ومنها بسافر الى مدينة سجلماسة والى وارجلن والى القلعة وهي مدينة معمورة فيها اثار للاول وبها مسجد وفي الشمال من تلمسان منزل يسمى باب القصر وفوقه جبل يسمى جبل البغل ينبعث من اسفله نهر سطفسيف ويصب في بركة عظيمة من عمل الاول ويسمع لوقوعه فيه خرير شديد على مسافة ثم ينبثق منها بحكمة مدبرة الى موضع يسمى المهماز الى ولج الحنا الى جنان الحاج حتى يصب في نهر اسّر ثم ينصبّ في نهر تافنا وهو النهر الذى يصل الى مدينة ارشقول وهناك ينصب في البحر وارشقول ساحل تلمسان وبين مدينة ارشقول وتلمسان تحصن زندور طوله خمسة وعشرون ميلا ومدينة ارشقول على نهر تافنى يقبل من قبليها ويستدير بشرقيها يدخل فيه السفن اللطاف من البحر الى المدينة وبينهما ميلان وهي مسورة وبمدينة ارشقول جامع حسن فيه سبعة بلاطات وفي صحنه جب كبير وصومعة متقنة البناء وفيها حمامان احدهما قديم ولها من الابواب باب الفتوح غربي وباب الامير قبلي وباب مرنيسة شرقي محنية كلها عليها منافس وسعة سورها ثمانية اشبار وامنع جهاتها جوفيها وبها ابار عذبة لا تغور تقوم باهلها وبمواشيهم ولها ربض من جهة القبلة

وكيلهم ستون مدا بمد النبى صلى الله عليه وسلم وبسمونه عورة ورطلهم اثنتان وعشرون اوقية ودرهمهم ثمـــانى خراريب والخروبـة اربعة حبات وكان يسكنها التجار ونزلهـا عيسى بن محمـــد بن سليمان المذكور قبل هذا ووليها وتوفى فيها سنة خمس وتسعـين ومايتين وولد له فيها ابراهم بن عيـسى الارشقولى ووليهـا بعده ابنه يحيى بن ابرهيم وهو الذى حبسه ابو عبد الله الشيعى سنة ثلاث وعشرين وثلاث ماية ويقابلها جزيرة فى البحر تسمى جزيرة ارشقول بعضها وبين البر قدر صوت رجل جهير فى سكـون البحر وهى مستطيلة من القبلة الى الجوب عالية منيعة واليها لجا الحسن ابن عيسى بن ابى العيش صاحب جراوة وتخلى مما كان بيده لما غلبه على ذلك موسى بن ابى العافية على ما نبينه بعد هذا ان شاء الله تعالى فكتب موسى بن ابى العافية الى صاحب الاندلس عبد الرحمـــن ابن محمد يسئله نصرته عليه ويقرب له الماخذ واعـــانه على دلك عبد الملك بن ابى حامة عند موسى بن محمد بن جُدَيْر فـــامر عبد الرحمن اهل بجانة وغيرهم من اهل السواحل باقامة خمســة عشر مركبا حربية ثم جهزها بالرجال والسلاح والازودة والاموال فاحاطت بهذه الجزيرة وقتلوا كثيرا ممن كان فيها وحـــاصروهم حتى كادوا يهلكون عطشا لما نفدت مياه جبابهم حتى تداركهم الله بغيث وابل فلم يطمع فيهم اهل الاسطول حين سقوا وانصرفوا قافلين فوصلوا الى المرية فى شهر رمضان سنة عشرين وثلاث ماية ثم ظفر البورى بن موسى بن ابى العافية بالحسن بن عيسى الذى لجا الى ارشقول وبعث به الى عبد الرحمن بن محمد سنة ثمـــان وثلاثين وثلاث مايه ۞

۞ ذكر الحصون التى بساحل تلمسان ۞

سوى مدينة ارشقول مدينة ءاسلن وهى شرقى ارشقول حصينة وهى مدينة قديمة عليها سور صخر وبها جامع وسوق يسكنها مقبلة ولها نهر يصب فى البحر من شرقيها يسقى منه بساتينهم وثمارهم وهى مقطوعة منحوتة السور من كل ناحية بنهر ولها عين تجرى بينها وبين البحر وكان عبد الرحمن افتتحها وبعث اليها محمدُ ابن ابى عامر حُميدَ بن بزل فبناها وجددها ۞

فاما الطريق من ارشقول الى القيروان فمنها الى مدينة اسلن ومن اسلن الى قصر ابن سنان مرحلة لطيفة ثم الطريق على ما تقدم من اسلن الى تاهرت اربع مراحل ومن تاهرت الى القيروان تسعة عشر ومنها الى حصن تانكرمت وهو ايضا على الساحل ستة اميال وله مزارع واسعة وبسايط خصيبة وعلى مرحلتين من اسلن مدينة فكّان بينهما نهر سى وعليه المنزل فى المرحلة الاولى ومدينة فكان كانت سوقا قديمة من اسواق زناتة فمدّنها يَعْلَى بن محمد بن صالح اليفرنى وكان ابتداء تاسيسه لها سنة ثمان وثلاثين وثلاث ماية وارتحل اليها اهل المعسكر من اهل تاهرت ويلل وشاطى بنى واطيل ووهران وقصر الفلوس فعمرت وتمدنت وعظمت وهى فى سفح جبل اوشيلاس وهو فى جوفيها ولهذا الجبل شعراء غامضة ويقبليها نهر سيرة ومنبعثه من عيون بشرقيها عليه الارحاء والبساتين من كلا ضفتيه وبغربى فكان اسفل بساتينها مجمع الاودية وادى سيرة ووادى سى ووادى هنت وعلى مدينة فكان سور طوب وبها جامع وحمام وفنادق وبين هذا الحصن وحصن مرنيسة البير ثلاثة اميال وهو حصن حصين ومنه الى حصن ابن زنتى ثلاثة اميال ايضا ولهذا الحصن نهر كثير الثمار ومن

بنى زبنى الى حصن العروس ميلان وهو على فنة جبل على ضفة البحر ومنه الى حصن الوردانية ميلان وهو مثله على جبل بساحل البحر ومن الوردانية الى حصن هُنَين اربعة اميال وهو على مرسى جيد مقصود وهو اكثر الحصون المتقدمة الذكر بساتين وضروب ثمر يسكنه قبيلة تسمى كومية وبين هذا الحصن ومدينة ندرومة الجبل المعروف بتاجرة ومسافة ما بين الحصن والمدينة ثلاثة عشر ميلا ومدينة ندرومة هى فى طرف جبل تاجرا وغربيها وشماليها بسائط طيبة ومزارع وبينها وبين البحر عشرة اميال وساحلها وادى ماسين وهو نهر كثير الثمار وله مرسى ماسون وعليه حصنان ورباط حسن مقصود يتبرك به اذا سرق احد فيه او اتى بفاحشة لم تتاخر عقوبته قد تعارفوا ذلك من بركته وحسن صنع الله فيه ومدينة ندرومة مسورة جليلة لها نهر وبساتين فيها من جميع الثمار وبين مرسى ماسين وترنانا عشرة اميال وهى مدينة مسورة ولها سوق ومسجد جامع وبساتين كثيرة وبينها وبين ندرومة ثمانية اميال ويسكن مدينة ترنانا فخذ من بنى دمر يسمون بنى يلول وكان بها عبد الله الترنانى بن ادريس بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن ابى طالب رضى الله عنهم وعلى ساحل ترنانا حصن تاونت وهو حصن منيع فى جبل منيف قد احاط به البحر من ثلاث جهاته وله مرتقى وعر من ناحية الشرق لا يطمع فيه احد وينزله قبيل من البربر يعرفون ببنى منصور وفى جبل الحصن معدن الاثمد وله بساتين وشجر كثير يحمل من زبيب تينه الى ما يليه من النواحى وعلى هذا الساحل ايضا حصن اى جنون وحصن كاربيوا ۞

۞ ذكر المراسى ۞

فاما اتصال المراسى من مرسى اسلن الى الشرق فادنى المراسى اليه مرسى الماء المدفون والسكنى منه على مقربة وله عيون ماء تسيل فى البحر وبينهما ثلاثة عشر ميلا ويقابله من بر الاندلس مرسى الراهب بينهما مجريان وثلث ويليه مرسى جبل وهران مرسى كبير مشتى من كل ريح بينهما ستة اميـــال ويقابله من بر الاندلس مرسى اشكوبرش المرسى القديم الذى نزله البحريون قبل نزولهم بجّانة وبينهما مجريان ونصف ويليه الى الشرق ايضا مرسى عيـــن فرّوج وهو مرسى شتوى مامون وله ابار ماء والسكنى منه على مقربة وبينه وبين وهران فى البر اربعون ميلا ويقابله من بر الاندلس مرسى عاقلة وهو مرسى مدينة لورقة وبينهما ثلاثة مجار ويليه الى الشرق مرسى قصر الفلوس وهى مدينة على البحر غير مسكونة وبها ماء مجلوب واحساء مـــاء ومرساها غير مـــامون ويوازيه من بر الاندلس مرسى قرطاجنة ويواليه مرسى مغيلة بنى هاشم وهـــو مرسى صيفى لايكنّ من ريح وله رباط على ضفة البحر مسكون وماؤه كثير وبينه وبين قصر الفلوس خمسة وثلاثون ميلا ويقابل من بر الاندلس قبطيل تُدْمير ويليه مرسى مدينة تنس وهـــو صيفى يكن بشرقيه وغربيه وله ماء معين بينهمـــا مراس لطاف ويقابل مرسى تنس من بر الاندلس شنت بول ويلى مرسى تنس الى الشرق مرسى جزيرة وقور بينهمـــا ازيد من عشرين ميلا وله نهر لطيف يصب فى البحر والجزيرة قريبة من البر ويقـــابل من بر الاندلس مرسى لقنت ويقطع البحر بينهما فى خمسة مجار ثم مرسى شرشال وعليه مدينة عظيمة للاول غير مسكونة وله احساء مـــاء يكـــن بشرقيه

وغربيه ويقابل من بر الاندلس مرسى مدبرة بينهما خمسة مجار ونصف وكانت لمدينة شرشال مينى ارتدم وبيهسا رباطات يجتمع اليها في كل عام خلف كثير ويليه جبل شنوة وله مرسى يسمى البطال وهو غير مسكون يكن غربيه وله ماء يسير ويقابل من عدوة الاندلس جبل فرون بينهما خمسة مجار ونصف ثم مرسى هور ثم الى انف القناطر وهناك اثار قناطر قايمة ثم الى مرسى الدبان ويليه مرسى جنابية وله جزيرة وهناك مدينة للاول غير مسكونة لها نهر يريق في البحر ويقابل من بر الاندلس مرسى دانية وبينهما ست مجار ويليه مرسى الجزاير وتعرف بجزاير بنى مزغنّى وقد تقدم ذكر مدينتها وهو مرسى مامون مشتى بين جزيرة سطفلة من الشرق الى الغرب وبين البر وبالمرسى عين عذبة ويقابل من بر الاندلس مرسى بنشكله بينهما ست مجار ويلى هذا المرسى من المراسى المشهورة مرسى الدجاج وهو صيفى غير مامون ويقابل من جزيرة الاندلس جزيرة ميورقة ثم مرسى مدينة بجاية ازلية اهلة عامرة باهل الاندلس بشرقيها نهر كبير تدخله السفن محملة وهو مرسى مامون مشتى قد خرج عن محاذاة جزيرة الاندلس ثم مرسى بونة مرسى مامون ومرسى بجاية هو ساحل قلعة ابى طويل وعلى هذا المرسى في تلك الجبال قبايل كتامة وهي شيعة يكرمون من مال الى مذاهبهم ويبرون من واقف اعتقادهم وجزيرة جونة قبل مرسى بجاية ثم يلى مرسى بجاية مرسى سيبية وعلى مرسى سيبة في جبال كتامة عين الاوقات معروف اذا كانت اوقات الصلوات جرى الماء فيه فاذا خرجت الاوقات قلص وانقطع ومن هذا المرسى تدخل السفن الى جزاير العافية ثم مرسى جيجل فيه اثار للاول وهو معمور اليوم وعلى هذه

المواضع كلها من جبال كتامة معادن النحاس ومنها يحمل الى افريقية وغيرها وبهذا الجبل حجر الازرود الطيب ومن هذا المرسى الى مرسى الزيتونة وقد تقدمت صفته وهذا المرسى اول حد الجبال التى تعرف بجبال الرحمن وهو جبل عظيم خارج فى البحر يقابل جزيرة سردانية وهو كثير الثمار والانهار يسكنه قبايل من كتامة وغيرها وفيه مزارع كثيرة ومراع مريعة ومنه يحمل عود الخرط الى افريقية وما والاها وفيه اسواق كثيرة ومراس منها مرسى الخرّاطين ومرسى الشجرة وفى اخره مرسى القلّ ومنه تسير الى مرسى استورة وهو مرسى مدينة تاسفدة وهى مدينة اولية قديمة فيها اثار للاول عجيبة ثم منه الى مرسى الروم وهو مشتى مامون الى جزيرة فجر الى مرسى تكوش مرسى مامون فيه قرى كثيرة يتصل به جبل كثير الفاكهة والخير ثم الى راس الحمراء ثم الى مرسى ابن الالبيرى ثم الى مرسى الخروبة ثم الى مرسى منيع وهو مرسى بونة وبقربه بير النثرة المذكورة وهى بير منقورة فى صخرة من عمل الاول على ضفة البحر اذا ارتج البحر وصل اليها ومن مرسى بونة تخرج الشوانى غازية الى بلاد الروم وجزيرة سردانية وكرسقة وما والاها ثم مدينة مرسى الخرز ثم مرسى طبرقة ويلى طبرقة من المراسى المشهورة مرسى قرطاجنة وبينهما من المراسى الصغار مرسى ابن ابى خليفة قبالته جزيرة الاخوين ثم مرسى الروم ثم مرسى القبة هو مرسى بنزرت وعلى مقربة منه جزيرة قملارية منها يقطع قواطع الطير من الاندلس وغيرها الى بلاد الروم وهناك ترتقب سكون الريح لطيرانها فتستعلى على اوطانها ثم مرسى راس الجبل وهو مشتى مامون ثم مرسى الثنية ثم رباط قصر ابى الصقر وقبالته جزاير الكُرّاث التى قتل فيها زيادة الله عمومته واخوته ثم مرسى رباط قصر الحجامين

ثم مرسى فرطاجنة ثم مرسى فصر الامير بينه وبين مدينة تونس ثمانية اميال في البر وهو متصل بهـــا في البحيرة المحفورة وهـذا القصر على الخليج المحفور في البحر الى مدينة تونس ثم مرسى كبير يسمى رادس وفد تقدم ذكره وما ورد فيه عند ذكر مدينة تونس ويلى مرسى تونس الى القبلة من المراسى الكبار مرسى سوسة وبينهما من المراسى الصغار رباط لحمة ثم جون النخلة ثـم مرسى بونة في قبالته جزيرتان احداهما تعرف بالجـامور الكبير والاخرى بالجـامور الصغير وهي اصغر ثم جبل ادار يظهر منه جبل صقلية وفي هذا الجبل قوم متعبدون تخلوا عن الدنيـا وسكنوا في هذا الجبل مـع الوحش لباسهم البَرديّ وعيشهم من نبات الارض ومن صيد البحر يتناولون من ذلك ما يكون بلغة لهم اذا جاعوا والدعوة من اكثرهم مستجابة وهذا الجبل معروف بالتزام هولاء فيه منذ فتحت افريقية ثم جون الملّاحة ثم مرسى مدينة اقليبية مدينة كبيرة اهـلة ثم المرسى المدفون وهو بحر صعـب كثيرا ما تعطب فيه السفن ثم مرسى مـدينة ريهان ثم مرسى هرقلة ثـم مرسى قصر ابن عمـر الاغلبى ثم مرسى مدينة سوسة ثم تسير من مرسى سوســـة الى ناحية القبلة الى مرسى خفانص وهو مشتى عليه قصر كبير محرس رباط ثم الى مرسى مَحْرس المنستير وليس بافريقية اجـل من هذا المحرس وقد مضى ذكـره وبقرب هـــذا المرسى ملاحة لمطة وهي ملاحة كبيرة وملحها لايعوقه ملح ومنها يحمل الى ما جاورها من البلاد ثم الى مرسى قصر القوريتين وهما جزيرتان في البحر كبيرتان تشق السفن بينهما ومنهما الى مدينة المهدية والمهدية على ساحل القيروان ومحط للسفن لمن قصدها من جميـــع الجهات فاما سلوك السفن من المهدية الى الاسكندرية فمن مرسى المهدية الى مرسى

سنعطة وعليه فصر الى مرسى قبودية وهى قصور الى راس الجسر وهو اول القصير الى الزرقاء الكبيرة والصغيرة وهى جزيرتان من تحت الماء الى جزيرة درقنه وهى جزيرة كبيرة بها سبعة اجباب وبها اثار قديمة ويدخل فيها اهل الساحل مواشيهم ويبذر اكثرها وهى قبالة مدينة سفاقس ثم الى راس الرملة ثم الى الجرب ثم الى قصر الروم وهو بحر ميت ثم الى مدينة قابس ثم الى جزيرة جربة وهى جزيرة معمورة يسكنها قوم من البربر خوارج وهى كثيرة الذهب وبينها وبين البر الكبير مجاز وهى اخر القصير الى الشرق واهلها غدّارون شرّار لاتومن ناحيتهم وطول هذا القصير فى البحر نحو خمسين ميلا وفى داخل البحر من داخل القصير بنيان من بنيان الاول فهو يسمى قُصير البيت وتجرى من قصير البيت الى الشمال نحو خمسين ميلا الى جزيرة تموشت وجزيرة انبدوشت ثم تخرج السفن من جزيرة جربة الى مرسى الاندلسيين ثم الى قصر الدّرق وهو بحر ميت ثم الى عقَيْبلات يدخل اليها فى مجلْه فى البحر ثم الى جبل فنطبير ۞ وجبل فنطبير المتقدم الذكر هو موضع مخوف فى البحر ثم الى مرسى مدينة اطرابلس ومرساها مامون جيد ولها دار صناعة للاساطيل ثم تخرج منه الى راس الشعراء ثم الى لبدة ثم الى راس فانان ثم الى قصر العبادى ثم الى سرت ثم الى اجدابية ثم الى اليهودية ثم الى حجر عبدون ثم الى عين ابى زياد ثم الى راس اوثان وفى راس اوثان قالة الشينى ثم الى سوسة برقة ثم الى شقّة البلبل ثم الى شقّة التيس ثم الى مرسى دَرْنى ثم الى مرسى تبنَى ثم الى طُبُرق ثم الى جزيرة القرشى ثم الى جزيرة الطرفا ثم الى جزاير الحمام ثم الى وادى ملالى الى راس الملاحة الى مرسى الزيتونة الى مرسى عمارة الى مرسى السُلّوم الى راس

العوسج الى الكنايس الى الشفر الى بوصير الى مينى الزجاج الى مينى الاندلسيين الى منار الاسكندرية ۞

۞ فاما سلوك السفن من الاسكندرية الى انطالية ۞

فانها تخرج من مدينة الاسكندرية الى بوقير ثم الى دمياط ثم الى بحيرة تنيس ثم الى جزيرة دبقوا وهي التي يصنع فيها الثيـــاب الدبيقية ثم الى تيدارميماس وفيها قصر مبنى للصحابة رضى الله عنهم ثم الى غزة ثم الى ملاحة الواردية ثـم الى عسقلان ثـم الى قيسارية ثم الى يافَ ثم الى راس الكرمان ثـم الى حيفى ثـم الى عكَّى وفيها قنطرة مبنية للاول تدخل تحتهـا السفن بشرعها ثم الى مدينة صور وهي داخل البحر وهي ساحل بيت المقدس ثم الى صيدا ثم الى بيروت ثم الى اطرابلس الشام ثم الى اللادقية ثم الى انطاكية ثم الى انطالية ومن انطالية تدخـل الى الجزاير المولعـة فهذا مسلك المراكب من مدينة اصيـلى على التوالى الى هـــذا الموضع وقد بقى في اقاصى المغرب مراسى نذكرها ان شـــاء الله حتى نوصلها باصيلة ۞

اخبر مومن بن يومر الهوارى ان بجزيرة آوَى مرسى مشتى على ضفة البحر وهذه الجزيرة تمشى منها الربان مواجهة للشرق شهرين مسى الابل الى مدينة نول ومدينة نول اخر بلد الاسلام واول العمران من الصحراء وتسير السفن من ساحل نول الى وادى السوس ثلاثة ايام ثـــم من وادى السوس الى مرسى امقدول وهـو مرسى مشتى مامون وهو ساحل بلاد السوس ثم الى مرسى قوز وهو رباط يعمرة الصالحون وهو ساحل اغمات ثم الى مرسى اسفى الى البيضاء وهو

راس جبل داخل في البحر ثم الى جزيرة بضالة وهو ساحل بلد تامَسْنَى بلد برغْواطة ثم الى مرسى ماريفن ثم الى وادى سلَى وهناك مدينة اولية اثارها قايمة تسمى شَلّه وفي ناحية الشرق من وادى سلى على البحر غار عظيم وفي اعلاه منافس كافواه الابار وظهر الغار مزروعة ثم الى وادى سَبو ثم الى وادى سَبدد ولا يسكن بوادى سبدد ابيض اللون الا اعتل وقل ما يسلم من علته وانما يسكنه السودان واذا راوا رجلا ابيض اللون قد دخل عندهم ينادى بعضهم بعضا ميز ميز ثم من وادى سبدد الى حوض اصيلة ثم على ما تقدم ۞ قال ثم من مدينة ترنانا الى تاجريت عشرة اميال وهي مدينة مسورة على ساحل البحر لها مسجد جامع متقن البناء مشرف على البحر ولها اسواق جامعة وهي محط للسفن ومقصد لقوافل سجلماسة وغيرها ويسكنها من البربر مطغرة وهم اعدل من هناك من قبايلهم وفي الشرق من تاجريت مدينة مصكاك بينهما نحو ثلاثة اميال وهي مدينة مسورة على شاطى البحر ذات بساتين وسوقهم بتاجريت وهي اقدم من تاجريت وانما جدد مدينة تاجريت الحاج بن مرامر بعد العشرين والاربع ماية وتاجريت ساحل مدينة وجدة بينهما اربعون ميلا ومن تلمسان الى وجدة ثلاث مراحل فمن تلمسان الى الحمة ومن الحمة الى قرية يسمى بالشهبا ومنها الى مدينة وجدة ومدينة وجدة يسمى بالوجدات وهي مدينتان مسورتان احدث احداهما يَعْلَى بن بلجين الورنغفنى بعد اربعين واربع ماية يسكن في المحدثة التجار وفيها اسواق والجامع خارج المدينتين على نهر قد احدقت به البساتين وهي كثيرة الاشجار والفواكه طيبة الغذا جيدة الهوا يمتاز اهلها من غيرهم في نضارة الوانهم ونعمة اجسامهم ومراعيها انجع المراعى

واصلحها للظلف والحافر ينتهى شحم شاة من نسياههم مايتى اوفية وعلى مفربة من تاجحريت مدينة تافرجنّيب وهى ساحل جراوة وعلى مدينة وجدة طريف المارة والصادرة من بلاد المشرف الى سجلماسة وغيرها من بلاد المغرب والطريف منها الى سجلماسة تخرج من وجدة الى صاع وهى فرية ذات نهر وثمار ومزارع ومنها الى تاملك ومنها الى جبل بنى برنييان ومنه الى فير ومنه الى الاحساء ومنها الى لامسلى ومنه الى دار الامير ومن دار الامير الى سجلماسة ۞

۞ والطريف من وجدة الى باس ۞

تخرج منها ايضا الى صاع ومنها الى تابريدا ومنه الى مكناسة وهم اهل اخصاص ومنها الى عين الطين ومنها الى مدينة باس باما الطريف من وجدة الى مليلة فالى صاع ومنها الى اجرسيف مرحلة وهى فرية عامرة على نهر ملوية ياتيها من جانب مطغرة والمخاضة اليها من جهة الفبلة ومن اجرسيف الى فلوع جارة وهى حصن منيع فى اعلى جبل لا متناول له ولا مطمع بيه ومنه الى مدينة مليلة وهى مدينة مسورة بسور حجارة وداخلها فصبة مانعة وبيها مسجد جامع وحمام واسوان وهى مدينة فديمة ويذكر ان بنى البورى بن ابى العابية المكناسى جددوها ويسكنها بنو ورتدى وهم يفترعون على من يدخل عندهم من التجار بمن اصابته فرعة الرجل منهم كان تجرة على يده ولم يصنع شيئا الانحت نظره واشرابه بيحميه ممن يريد ظلمه وياخذ منه الاجر على ذلك وياخذ منه الهدية لنزوله عنده وذكر محمد بن يوسف وغيره ان

عبد الرحمن الناصر لدين الله وفتحها سنة اربع عشـــرة وثلاث ماية وبنى سورها معقلا لموسى بن ابى العافية وقال احمد بن محمد ابن موسى الرازى يذكر ذلك

والملك النـــاصر دين الله   فيما يحوط الدين غير ساه
بـــنى لموسى عُـدّة مدينةْ   منيعـة شـــاهقة حصينـةْ
ذلّت لهـــا ناهرت والافارقة   ولم يطف بنيانها العمالقة

وكيلهم يسمونه المد وهو خمسة وعشرون مدا بمد النبى صـــلى الله عليه وســـلم ورطلهم مثل رطل نكور اثنتان وعشرون اوقية والاوقية خمسة عشر درهما وقنطارهم من جميع الاشياء بهذا الرطل والدراهم بها عدة قراريط كل قيراط خمســـة اثمـــان درهم ۞ ومن المراسى مرسى مليلة وهو صيفى ويوازيه من بـــر الاندلس مـــرسى مدينة شلوبينة وسنذكر اتصال المراسى من نكور ءاخذا الى الشرق وما يحاذيها من مراسى الاندلس الى مرسى مليلة ومن مرسى مليلة الى الشرق مرسى مدينة جراوة وهو مامون وله نهر يريق فى البحر وبينه وبين جزاير ملوية فى البر ثمـــانية اميـــال ويقابله من بر الاندلس فحجلة بينهما مجريان ويليه الى الشرق مرسى مجرود وهـــو مرسى صيفى يكن بغربيه وفيه ابار وهو مسكـــون ويوازيه من بـــر الاندلس مرسى دلاية بينهما مجريان ويليه الى الشرق مرسى ترنانة وعليه سكنى وله ابار ماء وبينه وبين مرسى مجرود عشرة اميـــال ويحاذيه من بر الاندلس مرسى مرية بجانة ويليه مرسى مدينة ارشقول بجوفى هذا المرسى ويقابل هذا المرسى من بر الاندلس قابطة بنى اسود بينهما مجريان ويليه الى الشرق اسلن ۞ فاما الطريق من ارشقول الى القيروان فمنها الى مدينة آسَلَن ومن اسلن الى قصر سنان مرحلة لطيفة ثـــم الطريق على مـــا تقدم ومن اسلن الى

تاهرت اربع مراحل ومن تاهرت الى القيروان تسع عشرة مرحلة ۞
ذكر بلد نكور وحدّه يفتهى من جانب الشرق الى زواغة جراوة
الحسن بن ابى العيش ومسافة ذلك نحو خمسة ايام ويجاورهم من
هاهنا مطماطة واهل كبدان ولمرنيسة الكُدْيَةُ البيضاء وغساسة
اهل جبل هُرك وقلوع جارة التى لبنى ورتدّى وينتهى من جانب
الغرب الى قبيل من غمارة يعرفون ببنى مروان وبنى حُميد اليهم
تنسب الحميدية والى مَسَطّاسة وصنهاجة ومن ورائهم اوربة حزب
برحون وبنو ولبد وزناتة اهل تابريدا وبنو يرنيان وبنو مراسن
حزب فاسم صاحب صاع والكدية المعروفة بتاوررت والمراسى
المنسوبة الى نكور مرسى ملوية وهرك وكَرط ومرسى الدار وافتيس
من مراسى تمسامان وهو الجبل المعروف بابى الحسن الذى لجا اليه
بنو صالح ووادى البقر والمزمّة بينه وبين نكور خمسة اميال والمدينة
فى القبلة من المرسى ويقابله من بر الاندلس مدينة مالقة ويقطع
الغدير بينهما فى مجرى ونصف ومرسى باديس ومرسى بُقوية وبالش
مرسى صنهاجة وغيرها ۞ ومدينة نكور بين رواب منها جبل
يقابل المدينة يعرف بالمصلّى وبها جامع على اعمدة من خشب العرعر
وهو والارز اكثر خشبها ولها اربعة ابواب فى القبلة باب سليمان
وبين القبلة والجوف باب بنى ورياغل وفى الغرب باب المصلى وفى
الجوف باب اليهود وسورها من اللبن وبها حمامات كثيرة واسواق
عامرة مقيدة وهى بين نهرين احدهما نكور ومخرجه من بلاد
كزنّاية من جبل بنى كَوين والثانى نهر غيس منبعثه من بلد
بنى ورياغل ومسافة مجرى كل نهر منها الى مصبه فى البحر مسيرة
يوم وبعض ثانى وعلى نهريه الارحاء ومن جبل كوين ايضا ينبعث
النهر المعروف بنهر ورغة وهو من مشهور انهار ارض المغرب ويجتمع

نهر نكور وغيس بموضع يقال له آكدال ثم يتشعب هناك جداول وفي طرف هذا الموضع رباط نكور وعلى نهر غيس بنا سعيد بن صالح مسجدا على صفة مسجد الاسكندرية بحارسه وجميع منافعه وعدوة غيس هذه يقال لها ناكراكرى وهي منيعة وفيها يتفاح كراع «ال صالح وبين مدينة نكور وبين البحر خمسة اميال وهو بجوفيها وهي كثيرة البساتين والفواكه لاسيما الكمثرى والرمان وقال ابراهيم بن ايوب النكورى

ابا املى الذى ابغي وسولى ودنياى الذى ارجو ودينى
أحرم من يمينك رى نفسى ورزق الخلق في تلك اليمين
وحجب عن جبينك لحظ طرفي ونور الارض من ذلك الجبين
وقد جبت المهامة من نكور اليك بكل ناجية امون

وكيل نكور يسمونه الصحفة وهي خمسة وعشرون مدا بمد النبى صلى الله عليه وسلم ويسمون نصف الصحفة السدس والرطل عندهم في جميع الاشياء اثنتان وعشرون اوقية وقنطارهم ماية رطل ودراهمهم عدد بلا وزن ۞ والذى اسسها وبناها سعيد بن ادريس ابن صالح بن منصور الحميرى وصالح هو المعروف بالعبد الصالح وهو الذى افتتحها زمن الوليد بن عبد الملك ودخل ارض المغرب في الافتتاح الاول فنزل مرسى تمسامان على البحر بموضع يقال له بدكون بوادى البقر وبين مرسى تمسامان ومدينة نكور عشرون ميلا وهو مرسى صيفي لا يكن ويقابله من بر الاندلس مدينة طونيانة وعلى يديه اسلم بربرها وهم صنهاجة وغمارة ثم ارتد اكثرهم لما ثقلت عليهم شرايع الاسلام وقدموا على انفسهم رجلا يسمى داود ويعرف بالرُندى وكان من نفزة واخرجوا صالحا من البلد ثم تلافاهم الله بهداه وتابوا من شركهم وقتلوا الرندى واستردوا صالحا فبقى

هنالك الى ان مات بتمسامان ودفن بقرية يقال لها افطى على شاطى البحر وقبره بها يعرف الى اليوم وكان له من الولد المعتصم وادريس امهما صنهاجية وعبد الصمد فولوا المعتصم فمكث فيهم يسيرا ومات فولى سعيد بن ادريس وهو الذى بنى مدينة نكور على ما تقدم وقد كان صالح بن منصور انزل نفرا من البربر موضعا يحاذى مدينة نكور فى الضفة الثانية من النهر وكانوا يقيمون هناك سوقا فنقلهم سعيد الى المدينة التى اسس وغزى المجوس لعنهم الله مدينة نكور سنة اربع واربعين ومايتين فتغلبوا عليها وانتهبوها وسبوا من فيها الا من خلصه الفرار وكان فيمن سبوا امة الرحمن وخنعولة ابنتا واقف بن المعتصم بن صالح ففداهن الامام محمد ابن عبد الرحمن واقامت المجوس بمدينة نكور ثمانية ايام وقامت البرانس على سعيد بن ادريس وقدموا على انفسهم رجلا يسمى سكن وتالبوا عليه من كل جهة وغزوه فى عقر داره فاظهره الله عليهم وهزمهم وقتل رئيسهم وافترق جمعهم ورجع من بقى منهم الى الطاعة ومات سعيد بن ادريس بعد ان ملكهم سبعة وثلاثين عاما وولى ابنه صالح بن سعيد وكان لسعيد من الولد منصور وحمود وصالح وزيادة الله والرشيد وعبد الرحمن الشهيد ومعوية وعثمان وعبد الله وادريس وكان عبد الرحمن فقيها بمذهب مالك وحج اربعا وعبر الى الاندلس للجهاد فقطع عليه ابن حفصون الطريق فقتل من كان معه وتخلص عبد الرحمن على فرسه وحضر غزاة ابى العباس القايد واستشهد فيها وقام على صالح اخوه ادريس فى بنى ورياغل وكزناية فالتقوا بجبل كزناية المعروف بكوين فانهزم صالح وانتهب ادريس معسكره واستمر الى مدينة نكور ليدخلها فامتنع عليه فخلف صالح فقال له ان صالحا قد قتل

يقال اذا صح عندى ذلك لم اداقعك فلما لم يجد عنده ما يريد نزل الجبل المطل على المدينة وانى صالح فى جوف الليل فى خاصة من اصحابه فدخل المدينة ولما كان من الغد اقبل ادريس على فرسه وعليه درعه وهو لا يعلم بامر اخيه فادخلوه المدينة وارجلوه فتبان صالح عن دابته واتوا به صالحا اخاه فامر بحبسه فى داره ثم اشار عليه قاسم الوسنانى صاحب صاع والكدية بقتله؟ والح عليه فى ذلك فامر الموالى بقتله فامتنعوا فامر فتى من فتيانه يقال له عسلون فقتله وامتنعت مكناسه عن صالح وحبسوا مغارمهم فكتب اليهم يوعدهم وختم الكتاب وادخله فى مخلاة وشدها على حمارة وبعثه مع ثقة من ثقاته وقال اذا توسطت بلاد مكناسه فاترك الحمار بما عليه وانصرف ففعل فاصابت مكناسة حمار صالح وكان معروفا بينهم واخذوا المخلاة فلما قرءوا الكتاب ائتمروا على عقر الحمار والتمادى على امتناعهم ثم انصرف رايهم الى جمع ما كان عليهم لصالح فجمعوه وجللوا الحمار بملحفة مروية واتوا صالحا بالحمار مجللا ومغارمهم موفاة واستعتبوه فاعتبهم ومات صالح بن سعيد بعد ان ملك ثمانية وعشرين عاما فولوا ابنه سعيدا وكان اصغر ولده فلما توطد له الامر واستوسق دخل عليه عبيدهم الصقالبة فسالوه العتق فقال لهم انتم جندنا وعبيدنا وانتم كالاحرار لا تدخلون فى المواريث ولا تجرى عليكم المقاسم فما طلبكم للعتق فالحوا عليه فى ذلك فابى فناله منهم جفاء وغلظة فقدموا اخاه عبيد الله وعمه الرضا المكنى بابى على وزحفوا بهما الى القصر فحاربهم سعيد من اعلى القصر بالعبيان والنساء حتى انهزموا وقامت عليهم العامة فاخرجوهم الى قرية فوق المدينة تعرف بقرية الصقالبة فتحصنوا بها سبعة ايام وحشر

سعيد فخرج اليهم وظفر بهم بعد حرب شديدة وكان الرضا عمه وصهره كانت ابنته طالت تحته فحبسه مع اخيه عبيد الله وقتل من خرج معهما من بنى عمه منهم الاغلب وابو الاغلب ثم وكل باخيه عبيد الله من اوصله الى مكة فاقام بها حتى مات فامتعض سعادة الله بن هارون وهو ابن عم الاغلب لقتل ابن عمه وقال قتل سعيد ابن عمى وابقى عمه واخاه وذنبهما واحد فالب عليه بنى يصليتن اصحاب جبل ابى الحسن وعقد امره معهم وسعادة الله مع سعيد بنكور وهو لا يعلم فلما اعلن بنو يصليتن بالخلاف على سعيد جمع اصحابه وخرج اليهم ومعه سعادة الله فلما التحمت الحرب تحيز سعادة الله فيمن تبعه الى بنى يصليتن وخذل سعيدا فانهزم واخذت بنو يصليتن بنوده وطبوله وقتلوا من مواليه نحو الف رجل واتوا مع سعادة الله حتى حاصروه بنكور فكانت لسعيد الكرة عليهم فهزمهم واسر ميمون بن هارون اخا سعادة الله وقتله وسار سعادة الله الى تمسامان وحرق سعيد دوره واخربها ثم صالح سعيدا فانصرف الى نكور وكان شجاعا بئيسا وخرج بعد ذلك فى خاصته الى بلاد بطوية وبنى ورتدى فادخلوه قلوع جارة وبهد بهم الى مرنيسة وربانة فقتل واستفاد له جميع ذلك البلد وانصرف سعادة الله الى مدينة نكور فاقام بها مصافيا لسعيد ۞ تزوج احمد بن ادريس بن محمد بن سليمان ابن عبد الله بن الحسين بن الحسن بن على بن ابى طالب اخت سعيد ام السعد بنت صالح وابتنى بها وسكن معها مدينة نكور الى ان مات ولما تغلب عبيد الله الشيعى كتب الى اهل المغرب يدعوهم الى الدخول فى طاعته والتدين بامامته فكتب بمثل ذلك الى سعيد بن صالح وكتب فى اسفل كتابه ابياتا كثيرة منها

فان تستفيموا استفم لصلاحكم وان تعدلوا عنى ارى فتلكم عدلا
واعلو بسيفى فاهرا لسيوفكم وادخلها عفوا واملوها فتلا
فاجاب رجل من شعراء الاندلس من اهل طليطلة امرة يوسف
ابن صالح وتلفب بالاحمس وكان شاعر ال صالح فى ذلك العصر
بابيات كثيرة منها
كذبت وبيت الله لا تحسن العدلا ولا علم الرحمن من فولك الفضلا
فما كنت الا جاهل ومنافف تمثل للجهال فى السنة المثلا
وهمتنا العليا لدين محمد وفد جعل الرحمن همتك السفلا
فكتب عبيد الله الشيعى الى مصالة بن حبوس عامله على تاهرت
يامره بالمسير الى بلد نكور ومحاربة سعيد بن صالح فخرج مصالة
لذلك من تاهرت فى غرة ذى الحجة سنة اربع وثلاث ماية فنزل من
مدينة نكور على مسيرة يوم بموضع يفال له نسافت فخرج اليه
سعيد بن صالح فحاربه ثلاثة ايام مكافيا له وكان مع سعيد رجل
من شجعان البرابر واعلامهم يفال له حمد بن العياش من بنى
يطوفت دعته نفسه الى ان يفصد محلة مصالة فيفتك به فوافى
المحلة فى سبعة فوارس وافتحم على مصالة فتصايح الناس وكاثروهم
فاخذ حمد اسيرا ومن معه فامر مصالة بضرب اعنافهم ففال حمد
ليس مثلى يفتل فال مصالة ولم فال لانك لا تطمع بسعيد الا فى
وعلى يدى فاستبفاه وفربه والطف مكانه حتى انس به ثم اعطاه
فطعة من العسكر ففصد بها من جانب كان يعلم الغرة به حتى
دخل عسكر سعيد من المامن ومن حيث لايظن فعرف جمعه
وغشى سعيدا ما لم يتاهب له وتتابعت عليه العساكر فنظر امرا
لا يستطيع المفام عليه فبعث الى مدينة نكور فاخرج كل من كان
فى فصره وما معهم وصاروا بجزيرة فى مرسى نكور ومعهم صالح بن

سعيد وادريس والمعتصم ابنا سعيد اخواه وظاهر سعيد بين درعين هو وبنيانه وخاصته وقاتل حتى قتل واستبيح عسكره ودخل مصالة مدينة نكور يوم الخميس لثالث خلون من المحرم سنة خمس وثلاثماية وانتهب مدينة نكور وسبى النساء والذرية وبعث بالفتح الى عبيد الله وبعث براس سعيد بن صالح ومنصور ابن ادريس بن صالح وغيرهم من بنى صالح بن منصور فطيف بها في مدينة القيروان ونصبت بمدينة رقادة وفي ذلك يقول ابو جعفر احمد بن المروذى في ارجوزة له

لما طغى الارذل وابن الارذل ... في عصبة من الطغام الجهّل
قال نكور دون ربى معقلى ... اتاه مختوم القضاء الفيصل
من الاله كالحريق المشعل ... فحل ارضا طال ما لم تحلل
حطّم اهل كفرها بالكلكل ... وجاء راس راسها المبذّل
على القنا من الرماح الذبّل ... ذو لمّة شاعثة لم تغسل
ولحية غبراء لم ترجّل

وركب من نجا من ذرية سعيد بن صالح واهله البحر من مرسى نكور ونزلوا مالقة وبجانة فامر عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله بانزالهم والتوسع لهم وحباهم بالكساء الرفيعة والصلات الجزلة وخيرهم بين المقام بدار مملكته او المقام بمالقة فاختاروا المقام بمالقة لقربها من بلدهم ورجائهم الفية اليه وتكرر مصالة في البلد نحو ستة اشهر ثم استخلف عليه رجلا من اصحابه يقال له دلول وانصرف الى تاهرت فافترق عن دلول من كان معه من المشارقة وبقي في قل من اصحابه فلما صح الانباء بذلك عند بنى سعيد ازمعوا الانصراف الى بلدهم ثقة بمحبة رعيتهم لهم وميلهم اليهم فاتفقوا على ركوب البحر في مراكب مختلفة فمن وصل منهم قبل

صاحبيه فالولاية له وهم ادريس والمعتصم وصالح فركبوا البحر من ذلك الموضع في ليلة واحدة ووقت واحد وريح واحد فوصل اصغرهم سنّا صالح بن سعيد الى مرسى نكور من ليلته واصبح له بالمرسى المعروف بوادي البقر بتمساماں فتسامع البربر بقدومه فتسارعوا اليه من كل جانب واتوه من كل جهة وعقدوا له الامرة ولقبوه باليتيم لصغره وزحفوا الى دلول فاخذوه وجميع اصحابه فصلبوا اجمعين على ضفتي نهر نكور وكتب صالح بالفتح الى عبد الرحمن بن محمد فقرئ كتابه بجامع قرطبة ونسخه في ساير بلاد الاندلس وامر بامداد ال صالح بما يجمل من الاخبية الشريفة والالة العجيبة والكساء الرفيعة والسروج والحلى والبنود والطبول والدروع وجميع السلاح حتى عوضهم الله عز وجل اكثر مما زال عنهم فتوطد الملك لصالح بن سعيد واعتان البحر اخويه شهرين يترددان فيه ثم وصلا بعده الى نكور سالمين فسلما له الامر ومات صالح بن سعيد بعد ان ملك عشرين سنة ولم يزل ال صالح في السنة والجماعة والتمسك بمذهب مالك بن انس رضي الله عنه وكان سعيد وابوه صالح يصليان بالناس ويخطبان ويحفظان القرءان فولي الامر المويد بن عبد البديع بن صالح بن سعيد بن ادريس بن صالح بن منصور فزحف اليه موسى بن ابي العافية فحاصره حتى تغلب عليه فقتله واستباح المدينة وانتهبها وهدم اسوارها وخرب ديارها ونسف اثارها وتركها بلاقع تسفي عليها الرياح وتعاوى فيها الذياب وبلغ منها ما لم يبلغ بعضه مصالة بن حبوس وذلك سنة سبع عشرة وثلاث ماية ثم ولي ابو ايوب اسمعيل ابن عبد الملك بن عبد الرحمن بن سعيد بن ادريس بن صالح فبنى المدينة القديمة التي اسسها صالح بن منصور وعمرها واعاد

السوق فيها وسكنها الى سنة ثلاث وعشرين وثلاث مـــاية فبيها اخرج ابو القاسم صاحب افريقية صندلا الفــتى الاسود الى ارض المغرب مددا لمنصور الفتى اذ ابطا خبره عليه فخرج صندل من المهدية في جمادى الاخرة سنة ثلاث وعشرين وثلاث ماية فوصل جراوة للحسن بن ابى العيش فاستراح بها اياما ثم سار الى هَرّاس وكتب الى اسمعيل بن عبد الملك صاحب نكـــور يامره بالقدوم عليه وقد كان خرج من نكور وصار بقلعة اكرى فبعث اليه رسلا وكتب انه في الطاعة فلم يرض صندل بذلك وبعث اليه رسلا يستحثونه في المسير اليه فقتلهـم اسمعيـل عن اخرهم فلمـــا اتى صندلا خبر قتلهم زحف الى قلعة اكرى فنزل قريبا منها بموضع يقال له نسافت وهو الموضع الذى قتل فيه مصالة بن حبوس سعيد ابن صالح فغلب صندل على القلعة بعد قتال ثمانية ايام ومعـــارك قتل في اخرهـــا اسمعيل واكثر اصحابه وذلك يوم الجمعة في شوال من السنة المذكورة وغنم صندل كل ما كان في القلعة من نســاء اسمعيل وقرابته واخذ له ولدين طفلين وولى على المدينة رجـــلا من كتامة اسمه مَرْمازوا وصار الى صاحبه ميسور وهـو على فاس يحاصرها وكان موسى بن المعتصم بن محمد بن فرة بن المعتصم ابن صالح بن منصور وموسى هو المعروف بابن رومى بجبل ابى الحسن مع بنى يصليتن فلما زال صندل تراجع اهـــل نكور وقدموا على انفسهم ابن رومى وقتلوا مرمازوا وجميع من كان معه وبعثوا براس مرمازوا الى امير المومنين عبد الرحمن بن محـمد وقـــام على موسى ابن رومى عبد السميع بن جرثم بن ادريس بن صالح بن ادريس ابن صالح بن منصور فاخرجه من بلد نكور وذلك سنة اربع وعشرين وثلاث ماية فصار موسى الى الاندلس ونزل بجانة باهله وولده ومعه

اخوه هرون بن رومى ونزل بمالفة ابنا عمه جرثم بن احمد ومنصور ابن الفضل ثم استدعى اهل نكور جرثم بن احمد بن محمد بن زيادة الله بن سعيد بن ادريس بن صالح بعبر البحر اليهم فولوه على انفسهم وذلك سنة ست وثلاثين وثلاث ماية وكان بها الى ذى الحجة سنة ستين ودوالت الولاية هناك فى بنى جرثم الى سنة عشر واربع ماية فغلبت عليهم ازداجة وانتقل بنو جرثم الى مالفة ثم انتقلت ازداجة الى بلدهم بناحية وهران ورجع بنو جرثم الى بلد نكور وهى مدينة المزمّة ثم غلب على بلد نكور يعلى ابن الفتوح الازداجى واخرجوا بنى جرثم من جميع بلاد نكور وهى اليوم بايدى ذرية يعلى بن الفتوح وذلك سنة ستين واربع ماية ۞

ويلى مرسى تمساماں المذكور الى الشرق مرسى كَرَط وهو غير مكن وفيه ابار بينهما خمسة عشر ميلا ويقابله من الاندلس مرسى قرية بُلّس ويقطع الغدير بينهما فى يوم وليلة ويليه الى جانب الشرق طرف هرك وبينهما عشرة اميال تشتى فيه المراكب الصغار وله احساء ويقابله من بر الاندلس مرسى شاط ويقطع الغدير بينهما فى مجرى ونصف ويليه الى الشرق جون بين طرف هرك ومدينة مليلة ويقابل هذا الجون من بر الاندلس مرسى المنكّب بينهما مجريان ويليه الى جانب الشرق مرسى مليلة ونهرها يريق فى البحر وبينه وبين طرف هرك مسيرة اميال ويقابله من بر الاندلس مرسى مدينة شلوبينية ۞

فاما الطريق من مدينة نكور الى مدينة القيروان فمن نكور الى بنى يصليتن على نهر تمساماں ومنها الى نهر كرط مرحلة ثم الى فلوع جارة مرحلة الى وادى ملوية مرحلة الى مدينة جراوة مرحلة فذلك ست مراحل ثم الطريق كما تقدم ۞

وبجاور بلد نكور بلد غمارة ومنه مجكسة وتنبّا بذلك الصقع ابو محمد حاميم بن من الله بن حَريز بن عمرو بن وجفوال بن وزروال الملقب بالمفترى وببلد مجكسة جبل حاميم المنسوب اليه وهو على مغربة من مدينة تيطاوان واجابه بشر كثير افروا بنبوته وجعل لهم الصلاة صلاتين عند طلوع الشمس وعند غروبها يسجدون على بطون اكفهم ووضع لهم قرءانا بلسانهم فمما ترجم منه بعد تهليل يهللونه ۞ حُلّنى من الذنوب يا من يحمل البصر ينظر في الدنيا حلنى من الذنوب يا من اخرج موسى من البحر ۞ ومنه ۞ امنت بحاميم وبأبى خلف ۞ يريدون ابا حاميم وكذلك كان يكنّى ۞ وامن راسى وعقلى وما اكنّه صدرى وما احاط به دمى ولحمى وامنت بتانفيت ۞ وهى عمة حاميم اخت ابى خلف من الله وكانت كاهنة ساحرة وكانت لحاميم ايضا اخت تسمى دجّو وكانت ساحرة كاهنة من اجمل الناس وكانوا يستغيثون اليها فى كل حرب وضيق ويزعمون انهم يجدون نفعها وفرض عليهم صوم يوم الخميس كله وصوم يوم الاربعاء الى الظهر فمن اكل فيهما غرم خمسة اثوار لحاميم ووضع لجميعهم صوم سبعة وعشرين يوما من رمضان وابقى فرض صوم ثلاثة ايام والفطر الرابع وجعل عيدهم فى الثانى من الفطر وفرض زكاتهم العشر من كل شىء واسقط عنهم الحج والطهر والوضوء واحل لهم اكل لحم الخنازير وقال ۞ انما حُرّم ذكورها وذلك فى قرءان محمد ۞ صلى الله عليه وسلم وحرّم عليهم الحوت حتى يذكّى وحرم عليهم البيض من جميع الطير وانشد ابو العباس فضل بن مفضل بن عمر المذحجى لعبد الله بن محمد المكفوف الطنجى يهجو حاميم ويذكر فسقه

وقالوا افتراء ان حاميم مرسل　اليهم بدين واضح الحق باهر

بقلت كذبتم بدد الله شملكم بما هو الا عاهر وابن عاهر
بان كان حاميم رسولا باننى بارسال حاميم لاول كابر
رووا عن عجوز ذات افك بهيمة تباون بى اسحارها كل ساحر
احاديث افك حاك ابليس نسجها يسرونها والله مبدى السرائر

وقتل حاميم المفترى بمصمودة الساحل من أحواز طنجة سنة خمس عشرة وثلاث ماية وكان له من البنين محمد وبه كان يكنى وعبد الله وعيسى ودخل عيسى الاندلس زمن عبد الرحمن بن محمد ولعيسى بى بلادهم قدر ويعرب بابن المفترى وبنو وجبوال رهط حاميم ينزلون على نهر راس وهو على ثلاثة اميال من مدينة تيطاوان وكان بى بعض جبال مجكسة رجل من السحرة المهرة يعرب بابن كُسية وكان اهل موضعه يسمعون منه ولا يعصونه طرفة عين واذا عصاه احد او خالبه حول كساه التى يلتحب بها فتصيب ذلك الرجل عاهة لحينه اوجايحة وان كانوا جماعة اصابهم مثل ذلك وكان يخيل اليهم كانّ برقة تلوح من تحت كسائه ولبنيه وعقبه حتى الان بى تلك الناحية منزلة ومزية وحظوة على سواهم ومن اعاجيب بلد غمارة امرء بوحلاوت وكان بى بنى شداد منهم وكان معه عدل مملوة برءوس الحيوان وانيابها من بريها وبحريها قد نظمها بى حبل واتخذها كالسبحة باذا ساله احد عن شيء من الحدثان وما هو كاين علق منه ذلك السبحة وقلده اياها ثم قلقلها عليه وانتزعها وجعل يشمها قطعة قطعة الى ان تمسك بى يده ما امسك منها ثم طفق يخبره خبره وما الذى سال عنه وعما يدور له من مرض او موت او ربح او خسران او اقبال او ادبار او عبرة او غير ذلك بلا يكاد يخطى ومن اعاجيب بلد غمارة ان عندهم قوما يعربون بالرّقادة وهم بى وادى لو عنه

بنى سعيد وعند بنى فطيطن وعند بنى يروتن يغشى على الرجل منهم يومين وثلاثة بلا يتحرك ولا يستيقظ ولو بلغ به اقصى مبلغ من الاذى ولو قطّع قطعا فاذا كان بعد ثلاثة من غشيته استيقظ كالسكران ويكون يومه ذلك كالواله لا يتجّه لشيء فاذا اصبح في اليوم الثانى اتى بعجايب مما يكون في ذلك العام من خصب او جدب او حرب او غير ذلك وهذا امر مستفيض لا يخفى واخبرنى غير واحد انه راى بمرسى بادس رجلا قصير القامة مصفر اللون يكرمه اهل ذلك الموضع ويقدمونه ويذكرون انه يقبط المياه في المواضع التى لم يعهد فيها ماء عمونا واثارا وانه يخبر بقرب الماء وبعده وانه انما يستدل على ذلك باستنشاق هواء ذلك الموضع لا غير والموارية عند اهل تمارة كلها متعارفة بفخر بها نسوانهم وذلك ان الرجل اذا دخل بامراته البكر واربها شباب اهل ناحيتها فاحتملوها وامسكوها عن زوجها شهرا واكثر ثم يردونها وربما فعل ذلك بها مرارا على قدر جمالها ومقدار الرغبة فيها تفضل لذاتها ولا يتم اكرام الضيف عندهم الا بان يونسوه بنسائهم الايامى منهن فيبيت الرجل مع ضيفه اخته او بنته او من لم تكن ذات زوج من نسائه ولا يتركون ذا عاهة يستقر ببلدهم ويقولون انه يفسد النسل وهم يرغبون في الرجل الجميل الشجاع وهم مخصوصون بالجمال ولهم شعور يسدلونها كشعور النساء ويتخذونها ضفاير ويطيبونها ويتعممون بها ۞

۞ ذكر مدينة سبتة ۞

وهى على ضفة البحر الرومى وهو بحر الزقاق الداخل من البحر

المحيط وهى فى طرف من الارض داخل من الغرب الى الشرق ضيف
جدا والبحر محيط بها شرقا وشمالا وقبلة ولو شاء ساكنوهـا ان
يوصلوه من ناحية الشمال لوصلوه فتكـون جزيرة منقطعة وقد
حفر من تقدم فى ذلك الموضع نحـو غلوتين وهى مدينة كبيرة
مسورة بسور صخر محكم البناء بناه عبد الرحمن الناصر لدين الله
وحماماتها يجلب اليها الماء على الظهر من البحر وبمدينتها حمام
قديم يعرف بحمام خالد ولها ربض من جانب الشرق فيه ثلاثة
حمامات وجامعها على البحـر القبلى المعروف ببحر بسول له خمسة
بلاطات وفى صحنه جبّان ولها مقبرة فى الجبل ومقبرة اخرى بجوفيها
على بحر الرملة واهلها عرب وبربر فعربها تنسب الى صدف وبربرها
من ناحية اصيلة والبصرة ولم تزل دار علم وفى شرقيها جبـل
منيف كان محمد بن ابى عامر ابتدا فيه بناء سور لم يتم وهذا
الجبل مطل على الربض المذكور الذى فيه الحمامات وما بينها كروم
ودار الامارة فى جوفى المدينة وطولها من السور الغربى الذى يدخل
منه المدينة قاطعا الى اخر الجزيرة خمسة اميال والمدينة فى الجانب
الغربى منها ولسورها الغربى تسعة ابراج والبـاب فى البرج الاوسط
وبين يدى هذا السور سور لطيف يستر الرجـل ويتصـل به
خندق عميق عريض عليه قنطرة خشب امامهـا بستان وابار
ومقبرة والسور القبلى على اجراف عالية والشرقى والجوفى فيه تطامن
ولها باب ثانى مما يلى الجوف فى برج يعرف ببرج سابق يدخل منه
الى دار الامارة وذرع المدينة من السـور الغربى الى الشرقى الفـان
وخمس ماية ذراع وذرع مـا ياخذه قفاف الربض المتصـل بالسور
الغربى سبعة الاف واربع ماية ذراع وهى مدينة قديمة سكنها الاول
وبها اثارهم بقايا كنايس وحمامات ومـاؤه مجلوب من نهر اويات

مع ضفة البحر القبلى ى فنا الى الكنيسة التى هى اليوم الجامع وكان صاحبها اليان وهو الذى اجاز طارق بن زياد واصحابه الى الاندلس فلما غزا عقبة بن نافع القرشى ارض المغرب وصار الى سبتة خرج اليه اليان بهدايا وتحف ورغب اليه فى الامان فامنه واقره فى موضعه ثم دخلها العرب بعد ذلك بالصلح وعمروها ثم قام عليهم برابر طنجة فاخرجوهم منها واقفروها فبقيت خرابا يعمرها الوحش مدة ثم دخلها رجل من غمارة يسمى ماجكن وكان مشركا فعمرها واسلم وراس فيها ثم وليها بعد هلاكه ابنه عصام ثم ابن ابنه مجبر بن عصام وفى دولتهم دخلها قوم كثير من اهل قلسانة ايام القحط فاشتروا من البربر وبنوا فيها واستوطنوها وكانوا مع ذلك يودون الطاعة الى قريش العدوة من الحسنيين حتى افتتحها عبد الرحمن الناصر لدين الله ووليها الرضى بن عصام بعد موت اخيه مجبر ودخلها عامله وقايده فرج بن عفير يوم الجمعة فى صدر ربيع الاول سنة تسع عشرة والمسلك من سبتة الى طنجة على طرق وهى مساكن قبايل مصمودة كلها ۞

۞ ذكر طنجة ۞

فاما كورة طنجة فهى مساكن صنهاجة وطريق الساحل من مدينة سبتة الى طنجة تخرج من المدينة فى بسيط تعمره نحو ميل ثم تدخل فى حد بنى سمغرة وهم اهل جبل مرسى موسى ثم تخرج الى وادى مدينة اليمّ والقصر الاول وبطون مصمودة تتشعب من اربع قبايل دغاغ واصادة وبنى سمغرة وكتامة وبطون صنهاجة تفترق من قبيلتين من فار بن صنهاج وحزمار بن صنهاج

وفى القصر الاول سكنى بنى طريف وحوله غراسات كثيرة وتدخل المراكب فى هذا الوادى الى حايط القصر وبين مخرج هذا الوادى وموقعه فى البحر نحو سكنتين ومن سبتة الى هذا القصر مرحلة ومن القصر الى طنجة مرحلة قال محمد بن يوسف اذا خرج الخارج من طنجة الى سبتة فى البحر فانه ياخذ الى جانب الشرق واول ما يلقى جبل المنارة ثم مرسى باب اليم وهو غير مكن وفيه سكنى ورباط وواد لطيف يريق فى البحر وبين طنجة وبينه ثلاثون ميلا فى البر وفى البحر نصف مجرى ويقابل باب اليم من جزيرة الاندلس مرسى جزيرة طريف وبينهما ثلث مجرى ثم يلقى بعد باب اليم وادى زلول عليه ثمار وعمارة كثيرة ثم وادى باب اليم يصب فى البحر حوله بساتين وعليه سكنى وعمارة لمصمودة ثم حجر نابت فى البحر يعرف بالمبخة ثم مرسى موسى وهو مرسى مامون مشتى الا من اللبش وفيه نهر يريق فى البحر وكان عليه حصن هدمه بنو محمد ومصمودة سنة اثنتين وثلاث ماية ثم بناه امير المومنين الناصر فهدموا ايضا سنة اربعين وحول هذا الحصن فى غربيه قبايل من البربر فى ساحل رمل فيه ماء طيب وهو متصيد اهل سبتة وبين مرسى موسى ومرسى باب اليم فى البر ثمانية اميال وبازاء مرسى موسى من الاندلس مرسى بورت لب وبقطع الغدير بينهما فى نصف مجرى ومرسى موسى اكثر بقع الارض قردة وهى تحكى ما ترى من فعل من يمر بها من الناس فاذا راءت النواتى يجذفون فى القوارب اخذت عيدانا وجعلت تحكى عملهم ويليه مرسى جزيرة تورة وفى بره قرية تعرف بتورة فنسبت الجزيرة والمرسى اليها وهى جزيرة فى البحر كهيئة جبل منقطعة من البر يقابلها فى البر على شاطى البحر اجراف عالية والمرسى بينها وبين تلك الاجراف ثم

مرسى بليونش وبليونش قرية كبيرة اهلة كثيرة الفواكه وبغربيها
نهر يريف في البحر عليه الارحاء وبينه وبين مرسى جزيرة تورة في
البر خمسة اميال ثم موضع يعرف بالقصر على خندق يجرى فيه ماء
كثير في الشتاء ويقل في الصيف وبهذا القصر اثار للاول من اقباء
وغير ذلك ثم موضع يعرف بماء الحياة عيون على ضفة البحر منبعة
بين احجار من تحت شرف رمل طيبة عذبة يصل اليها الموج وينبط
الماء العذب في هذا الرمـــل بايسر حفر ويذكر ان بهذا الموضع
نسى فتى موسى الحوت ويوجد في ذلك الموضع خـاصة دون غـيره
حوت ينسب الى موسى عرضه مقدار ثلثى شبر وطـوله اكثر من
شبر لحمه في احد جانبيه والجانب الاخر لا لحم فيه انما جلدته
على الشوك ولحمه طيب نافع من الحصاة مقو للباه ثم مرسى لطيف
يعرف بمرسى دنّيل بازائه في البر قرية تعرف بهوارة عامرة بها عيون
عذبة ثم حجر ثابت في البحر يعرف بحجر السودان ثم مدينة سبتة ٥
وطريق البر من سبتة الى موقع وادى المقاول في البحر القبـلى من
سبتة ستة اميال ثم الى وادى نجروا ومخرجه من جبل ابى جميل
وعليه مساكن بنى عجان بن خلف وعلى هذا النهر الموضع المعروف
بالقصر وهو قصر للاول قايم فيه حمـــام وعلى هذا النهر اثار للاول
كثيرة ثم الى نهر اسمير ومنبعثه من جبل الدرفة وجريته من
الغرب الى الشرق وعلى ضفته قرارات لبـنى كتنرات من مصمـودة
ثم الى الموضع المعروف بقَبْ مُنْت وهو الجبل الداخـــل في البحـر
بقبلى سبتة يسكنه ايضا بنو كتنرات وبنو سكين ثم الى نهر البيلى
ومنبعثه ايضا من جبل الدرفة ثم الى موضع يعرف بتاورض قرية
عبد الرحمن بن نحل من بنى سكين من مصمودة لهـــا مزارع
وارضون ثم الى مدينة تطاوان وهى بسفح جبـل ايشفار وهو متصل

بجبل الدرفة ويبلغ الى جبل راس الثور الى مرسى موسى بالبحر
الغربى ومدينة تطاوان على اسفل وادى راس وقال محمد وادى
مجكسة وهذا النهر يتسع هناك وتدخله المراكب اللطاف من
البحر الى ان تصل تطاوان ومسافة ما بين البحر وبينها عشرة
اميال وهى قاعدة بنى سكين بها قصبة للاول ومنار وبها مياه
كثيرة سايحة عليها الارحاء وبجوفيها جبل يعرف ببلاط الشوك
يركب لبنى سكين ماية فارس وبين مدينة تطاوان وجبل الدرفة
سكة وهو قاعدة بنى مرزوق بن عون من مصمودة وسكناهم منه
بموضع يقال له صدينة قرية ذات مياه سايحة وهى اطيب تلك
البلاد مزارع وهذا الجبل فى غاية المنعة وفى اعلاه مسارح واسعة
ومروج خصبة للماشية وهذه القرية المذكورة فى قبلى الجبل وبين
القبلة والغرب منه الجبل المنسوب الى حاميم المفترى المتقدم الذكر
وجبل الدرفة يتصل ببلاد غمارة ويسكن اخره من غمارة بنو حسين
ابن نصر ثم الى نهر راس ومنبعثه من موضع يعرف بتيطّاسوان
من جبل بنى حاميم ثم الى سوق بنى دغراوت وهو اخر بلد
مجكسة فى غرب راس ويجتمع هذا السوق يوم الثلاثاء وهى جامعة
ثم الى فج الفرس وبه قرارات لقبايل من مصمودة ويركب لهم
مايتا فارس ثم الى مدينة وبنافام وهى كانت قاعدة جمود بن
ابراهيم وهى فى سفح جبل ولها ثمار ومياه كثيرة وهى على نهر
سسهور وهو بلد طيب ومنبعث سسهور من جبل تامورات وهو
من مساكن متنة من صنهاجة وبين وبنافام وجبل الدرفة ميلان
وهو ما بين الغرب والقبلة من المدينة وهو الجبل الذى يمتنع
فيه صنهاجة اذا خالفوا على الملوك وبجبل الدرفة يتصل جبل
حبيب بن يوسف الفهرى وبين الدرفة وطنجة سكنان ۞

فيمر الطريق من سبتة الى مدينة تيقيساس فالى وادى راس كما
تقدم ثم تدخل ارض غمارة فتنسير في بنى جبو ثم في بنى نقفاوة
وهم من بنى حُميد من غمارة ايضا وهم على وادى لاو وهو نهر كبير
تجرى فيه السفن ولهم نتاج معروف وخيلهم معروفة بالحميدية
ثم الى بنى مسارة وهم السكان حول تيقيساس وهم ايضا من بنى
حميد ومن المواضع المشهورة والمنازل المعمورة ما بين سبتة وطنجة
نهر اليان وقصر اليان فيه اثار للاول كثيرة وفي غربى هذا النهر
موضع يعرف بكروشت وهو اخر غمارة ومصمودة ويتصل بهم هناك
متنة من صنهاجة ونهر الخليج وهو شرقي طنجة وموقعه في البحر
تدخله المراكب وجبل راس الثور يسكنه قبايل كثيرة من
مصمودة ونهر مجاز العرون نهر كبير جدا ونهر قرميول وعنصره
من جبل عين الشمس وجبل مترارة وهو جبل وعر كثير الشجر
والمياه ومن هذا الجبل الى البحر المعروف بالزقاق وادى الرمل وهو
كثير الثمرة طيب المزارع وعين الشمس عين ثرة في قرية نصر
ابن جرو عامرة اهلة بها جامع وبساتين كثيرة ويوم سوقها يوم
الجمعة ومن سبتة اليها مرحلة ويتصل بعين الشمس جبل تارمليل
قاعدة بنى راسن لها قرارات حسان وبساتين ومسجد جامع وفي
وسط بلد مصمودة وهذا الموضع يقابل تيطاوان ويتصل هذا
الجبل الى مدينة باب اليم الى البحر الغربى ومجاز فكان وهو موضع
ملوثة يركب لهم خمس ماية فارس وهنالك الموضع المعروف بالرصافة
وكدية تاقوغالت وفيها قرارات كثيرة لمتنة يركب منها نحو
ثمانين فارس ونهر اوربة وعنصره من قرية تعرف بالافولس وحواليه
ارضون كثيرة الربيع طيبة الزرع وفي قنبانية طنجة ومدينة
طنجة تعرف بالبربرية وليلى افتتحها عقبة بن نافع وقتل رجالها

وسبا من بها وهى على شـــاطى البحر المعروب بالزقاق مسورة متقنة البنـــاء وهى تحط للسفن اللطاب لان الريح الشرقية توذى بيه وهى طنجة البيضاء القديمة المذكورة بى التواريخ وبيها اثار للاول كثيرة قصور واقباء وغيران وحمام وماء مجلوب بى قنا ورخام كثير وصخر منجور وتحتفر خرايبها بتوجد بيها اصناب الجواهر بى قبور اولية وغيرها من المواضع وهى اخر حدود ابريقية بى الغرب وقيـــل ان عمل طنجة مسيرة شهــــر بى مثله وان ملوك المغرب كانت دار مملكتهم طنجة وان ملكا من ملوكهم كان بى عسكرة تلثون بيلا ومسابة ما بين مدينة القيروان وطنجة الب ميل وقد غلب على مدينة طنجة القديمة الرمل والعمارة اليوم بوقها وهناك جــامع حسن وسون عــامرة وبازاء طنجة بى البحر المحيط وازا جبــــل ادلنت الجزاير المسمـــاة فرطناتش اى السعيدة سميت بذلك لان شعراءها وغياضها كلها اصنــاب البواكه الطيبة العجيبة دون غراسة ولا عمارة وان ارضها تحمل الزرع مكان العشب واصنـــاب الرياحين العطرة بـــدل الشوك وهى بغربى بلـــد البربر مبترقة متقاربة بى البحر المذكور ۞

۞ الطريق من مدينة طنجة الى مدينة باس ۞

من مدينة طنجة الى قلعة ابن خرّوب مرحــلة وهى مدينة كبيرة على ظاهر لها ثمر وشجر وهى كثيرة الزرع والضرع وهى لكتامة من بطون مصمودة وبغرب هذه القلعة قرية كبيرة لعرب خـــولان اهلة كثيرة الخير وهى على نهر زلول وهذا النهر تلقاه قبل الوصول الى قلعة ابن خروب وبالغرب منها ايضا دمنة عشيرة بلد طيب

لصنهاجة ثم فرى متصلة لكنامة الى حـــاضرة سوى كتامى وهى فاعدة ادريس بن الفـــاسم بن ابراهيم كبيرة شريفة على نهر واولكس لها سوف عامرة وجامع ثم تسير الى فصر دنهاجة وهو على تل وتحته نهر عظيم وفيه اثار للاول وبه كـــان ينزل ملوك المغرب ى فديم الدهر وجبل صرصر بفبـــلى هـذا الفصر بنزله بطون كنامة واصادة ثم تسير من هذا الفصر الى مدينة البصرة وهى مدينة كبيرة واسعة وهى اوسع تلك النواح مرعا واكثرها ضرعا ولكثرة البانها تعرف ببصرة الذبان وتعرف ايضـــا ببصرة الكتان كانوا يتبايعون ى بدء امرها ى جميع تجاراتهم بالكتان وتعرف ايضا بالحمراء لانها حمراء التربة وسورها مبنى بالحجارة والطوب وهى بين شرفين ولها عشرة ابواب وجامعها سبـــع بلاطات وبهـا حمامان ومفبرتها الكبرى ى شرفيها ى جبل ومفبرتها الغربية تعرف بمفبرة فضاعة وماء المدينة زعان وشرب اهلهـا من بير عذبة على باب المدينة تعرف ببير ابن دلفاء وخارجها ى جنانها عيون كثيرة وابار عذبة ونساء البصرة مخصوصة بالجمال الفايف والحسن. الرايع ليس بارض المغرب اجمل منهن فـــال احمد بن فتح المعروف بابن الخراز التاهرى يمدح ابا العيش بن ابراهيم بن الفاسم

فـــتح الاله اللهـــو الا فينة بصريـــة ى حمرة وبيـــاض
الخمر ى لحظانهـــا والورد ى وجناتهـــا والكشح غير مفاض
ى شكـــل مرى ونسك مهاجر وعبـــاب سنى وسمـت اباض
تاهرت انـــت خلية وبرية عوضتُ منك ببصرة فاعتاض
لا عذر لحمراء ى كلـــفى بها او تستعيـــض تاهر وحباض
ما عذرها والبحر عيسى ربها ملـــك الملوك ورايض الروايض

ومدينة البصرة محدثة ايضا اسست ى الوفت الذى اسست فيه

اصيلة او قريبا منه ومن مدينة البصرة الى نهر ردات مرحلة
وهو في اصل جبل وفي اعلى الجبل مدينة تسمى كُرت وهي اليوم
خربة ومن كرت الى موضع يقال له حتّاوة قال محمد جنبارة ويعرف
بالجبل الاشهب وهي قرى كثيرة عامرة ومنه الى قرية صغيرة على
نهر عظيم يسمى سبوا مرحلة ومنه الى مدينة فاس مرحلة ۞
ومن اخذ من طنجة على اصيلة فمن طنجة على مدينة اصيلة
مرحلة ثم الى سوق كتامى المذكور قبل هذا ۞ ومن مدينة
البصرة طريق اخر الى فاس فمنها الى وادى ورغة ثم الى مدينة
ماسنه مرحلة وهي مدينة عيسى بن حسن الحسنى المعروف بالحجام
وهي على نهر كبير ثم الى مدينة سداك في بلد مغيلة وهي قاعدة
خلوف بن محمد المغيلى ثم الى مدينة فاس فذلك سبعة ايام ۞
ومدينة اصيلة اول مدن العدوة من جانب الغرب وهي في سهلة
من الارض حولها رواب لطاف والبحر بغربها وجوفيها وكان عليها
سور له خمسة ابواب وجامعها خمسة بلاطات واذا ارتج البحر
بلغ الموج الى حايط الجامع وسوقها حافلة يوم الجمعة وماء ابار
المدينة شريب وبخارجها ابار عذبة بير عدل وبير السانية وابار
كثيره ومقبرتها في شرقيها ومرساها مامون والمدخل اليه من
الشرق ويستدير بالمرسى من ناحية الجوف جسر من حجارة مخلوقة
تكف عن السفن المرفاة فيها هيجان البحر ومدينة اصيلة محدثة
وكان سبب بنيانها ان المجوس خرجوا في مرساها مرتين فاما
الاولى فاتوا قاصدين وزعموا ان لهم بها اموالا وكنوزا فاجتمع البربر
لقتالهم فقالوا لم نات بالحرب وانما لنا كنوزا في هذا الموضع فكونوا
ناحية حتى نستخرجها ونشاطركم فيها فرضى البربر بذلك
واعتزلوا وحفر المجوس موضعا فاستخرجوا دخنا كثيرا عفنة

بنظر البربر الى صفرته بظنوه ذهبا ببدروا اليه وهرب المجوس الى مراكبهم واصاب البربر الدخن بندموا ورغبوا المجوس فى الخروج واستخراج المال بابوا وقالوا قد نقضتم عهدكم بلا نثق بعذركم وساروا الى الاندلس فحينئذ خرجوا باشبيلية وذلك سنة تسع وعشرين ومايتين فى ايام الامام عبد الرحمن بن الحكم واما خروجهم الثانى هنـاك بان الريح قذفتهم فى ذلك المـرسى من الاندلس وعطبت لهم على باب المرسى من ناحية الغرب مراكب كثيرة ويعرب ذلك الموضع بباب المجوس الى اليوم باتخذ الناس موضع اصيلة رباطا بانتابوه من جميع الامصار وكانت تقوم بيه سوق جامعة ثلاث مراب فى السنة وهو وقت اجتماعهم وذلك فى شهر رمضان وفى عشر ذى الحجة وفى عاشوراء وكان الموضع ملكا للواتة بابتنى بيه قوم من كتامة واتخذوه جامعا وتسامع الناس امرها من الاندلس واهل الامصار بقصدوها فى الاوقات المذكورة بضروب السلع وخيموا بيها ثم بنوا شيئا بعد شىء بعمرت بقدمها القاسم بن ادريس بن ادريس بملكها وبنى سورها وقصرها وبها قبره ووليها ابراهيم ابنه ثم حسين بن ابراهيم ثم القاسم بن حسين ثم صار امرها الى حسن الحجام منهم حتى استولى عليهم ابن ابى العافية على ما تقدم وكان الحجام يستعمل عليها الولاة قالوا وتقسير اصيلة جيدة وبقبلى اصيلة قبايل لواتة وبنو زياد من هوارة زلول وبغربيها هوارة الساحل وغار كبير على البحر اذا مد وصل اليه وبين القبلة والغرب منها عين تعرب بعين الخشب ثرة وبقبليها خندق يعرب بخندق المعزة وخندق اخر يعرب بخندق السرادق وبغربيها خندق يعرب بناشت فيه مراعى مواشى اهلها ۞ وكيلهم يسمى مدا وهو عشرون مدا بمد النبى صلى الله عليه وسلم مثل

العقبة القرطبية وكيل الزيت يسمونه قلبلة وهى مائة واثنتا عشرة اوقية فى القنطار عشرون قليلة ۞ واصيلة بغربى طنجة واول ما يلقى الخارج من مدينة اصيلة واديها وهو يخاض ثم مسجد عن يمين الطريق ثم وادى نبرش يخاض ايضا وهى قرية اهلة عامرة كثيرة الثمار والعيون وهى للواتة بينها وبين البحر قدر نصف ميل ثم ساحل رمل ثم نهر كبير يعبر فى المراكب عليه سكنى اهل تاهدارت وهى قرية كبيرة عامرة بها ملاحة ثم ساحل رمل ثم بركة عذبة وهى بركة قدر مايتى ذراع فيها ماء عذب بينها وبين البحر نصف ميل فى قبليها حجارة عالية يهب من هذه البركة ريح عاصفة شديدة تؤذى المراكب وتقلبها اذا غفل ركابها ثم ساحل يقابله بلد سطة ثم جرفة يصعد منها الى قرية كغمارية بها يقطع الطواحن عامرة لصنهاجة ثم جبل اشبرتال داخل فى البحر متصل بالبر فيه عيون عذبة ومسجد رباط وبين الجبل ومدينة اصيلة ثلاثون ميلا واذا اخرمت المراكب من اشبرتال بالريح الشرقية لم يكن لها بد من البحر المحيط الا ان تدور الريح الغربية ويقابل جبل اشبرتال من الاندلس جبل الاغر على سمت واحد ويقطع الغدير بينهما فى ثلثى مجرى بالريح القبلية من ذلك البر ومن الاندلس بالريح الجوفية ثم تسير من هذا الموضع الى موضع يعرف بالغالة ثم الى مدينة طنجة ومن جبل اشبرتال الى مدينة طنجة اربعة اميال ۞

۞ الطريق من سبتة الى فاس ۞

من سبتة الى دمنة عشيرة المذكورة مرحلة ومنها الى موضع يعرف

بالكنيسة قرية معيدة على ظاهر لكتامة ثم الى وادى مغار لكتامة ايضا قرار كبير بلد للزرع والضرع الى الجسر المعروف بجسر النسر قاعدة بنى محمد في الغرب منه بلد رهونة وفي الشرق بنو بتركان من غمارة وتفترق الطريق من الجسر فمن تيامن ياخذ الى افتس مدينة حنون بن ابراهيم لكتامة وهي مدينة صالحة كثيرة الخير وهي من الجسر غربا وهي على نهر واولكس المذكور قبل هذا وجريته من الشرق الى الغرب وهو يلقبه عند افتس اليها ثم يهبط الى مدينة سوق كتامى فيسمى هناك واولكس ثم الى مدينة تشومّس مدينة ميمون بن القاسم وهي مدينة اولية عليها سور صخر كبيرة اهلة كثيرة المياه والثمار ويسمى بذلك الموضع بسعدد ويتسع هناك وعليه رباط يعرف برباط حارة الاحشيش وهي قرية اهلة يتصل بها قصر مديد يعرف بقصر ابى شيار ثم تسير من افتس الى زججوكة مدينة ابراهيم بن محمد ومنها قام ابراهيم وبنوه وملكوا دار طنجة الى حد سبتة وهي لزرهونة وبعدها مدينة تُجّاجين مدينة جيدة معيدة على نهر عذب بها جامع واسواق وحمام ويعرف بالجبل الاشهب وهو على نهر سوسف نهر كبير كنهر قرطبة وهي من بلد جنبارة وفيها عيون وهي لجنون بن محمد سكانها بنو مسارة من مصمودة وبعدها مدينة اصادة فيها اثار للاول ذات اعناب واشجار كثيرة وهي بقبلى تجاجين بينهما ستة اميال ويجاورها على الطريق اربعة اصنام ثم تاتى مجاز للخشبة على وادى ورغة في بلد شريف وقرارات كثيرة شبيهة بالمدن ثم قرى متصلة اكبرها قرزاوة بنى حُصين الى بلد مغيلة فترقى عقبة الابارق وتلقى حصن زالغ على يسار الطريق ثم قلعة ورطيطة ثم قصر محلّى ثم قرية خندق سدّرواغ يفترق من هناك الطريق

الى كلتى عدوتى فاس وذلك من مدينة سبتة الى فاس ستة ايام ۞
وطريق اخر الى فاس من سبتة الى تيطاوان مرحلة اول ما ياتى للخارج
من سبتة وادى اوياب يجرى فى خندق عليه ارحاء شتوية وبينه
وبين المدينة ميلان ومنه جلب البانى الماء الى سبتة على ازاج
وبعضها قايم فى تلك الخنادق الى اليوم ثم الى وادى نكرة ثم
الطريق كما تقدم من سبتة الى طنجة حتى ياتى فج الفرس ثم الى
فج الصارى بطرف جبل حبيب بن يوسف وهو جبل كثير العيون
وبسند هذا الفج مما يلى الجوف حارة تعرف بمراد وبين هذا الفج
ومدينة افتس مرحلة ثم من افتس كما تقدم انفا وبين الفج
وافتس قلعتان احداهما قلعة ابن خروب المذكورة ۞

۞ ذكر مدينة فاس ۞

ومدينة فاس مدينتان مقترنتان مسورتان وبينهما نهر يطرد وارحاء
وقناطر وعدوة القرويين فى غربى عدوة الاندلسيين وعلى باب دار
الرجل فيها رحاه وبستانه بانواع الثمر وجداول الماء تخترق داره
وبالمدينتين ازيد من ثلاث ماية رحا وفيهما نحو عشرين حماما
وهى اكثر بلاد المغرب يهودا يختلفون منها الى جميع الافاق ومن
امثال اهل المغرب ۞ فاس بلد بلا ناس ۞ وكلتا عدوتى فاس فى
سفح جبل والنهر الذى بينهما مخرجه من عين غزيرة فى وسط
مرج ببلاد مطغرة على مسيرة نصف يوم من فاس واسست عدوة
الاندلسيين فى سنة اثنتين وتسعين وماية وعدوة القرويين فى
سنة ثلاث وتسعين وماية فى ولاية ادريس بن ادريس ومات ادريس
بمدينة وليلى من ارض فاس على مسافة يوم من جانب الغرب

وكانت وفاته سنة ثلاث عشرة ومايتين في شهر ربيع الاول ولعدوة الاندلسيين من الابواب باب الفتوح قبلي منه يخرج الى القيروان وباب الكنيسة شرقي يقابل ربض المرضى وباب ابي خلوف شرقي وباب حصن سعدون جوفي وباب الحوض غربي يقابل عدوة القرويين وباب سليمان مثله ومن هذين البابين يخرج اهل هذه العدوة الى الحرب اذا كان بينهم اختلاف وتقوم الحرب حينئذ بموضع يعرف بكدية الفول وباب الفوارة وبها جامع حسن فيه ستة بلاطات طولها من الشرق الى الغرب وعمده ارجل كذان وله صحن فسيح فيه اصول جوز وشجر وساقية تعرف بساقية مصمودة غزيرة الماء وبهذه العدوة تفاح حلو يعرف بالاطرابلسي جليل حسن الطعم يصلح بها وله غلة ولا يصلح بعدوة القرويين وسميد عدوة الاندلسيين اطيب من سميد القرويين لحذقهم بصنعته وكذلك رجال عدوة الاندلسيين اشجع وانجد من القرويين ونساؤهم اجمل من نساء القرويين ورجال القرويين اجمل من رجال الاندلسيين ولعدوة القرويين من الابواب باب الحصن الجديد قبلي يخرج منه الى زواغة وباب السلسلة شرقي يخرج منه الى عدوة الاندلسيين وباب القناطر شرقي وباب سياج يحيى بن القاسم جوفي يخرج منه الى النخاض والى وشتاتة ومغيلة وباب سوق الاحد غربي يخرج منه الى زواغة وبها جامع فيه ثلاثة بلاطات طولها من الشرق الى الغرب بناه ادريس بن ادريس وله صحن كبير فيه زيتون وشجر وله سقايف وبها نحو من عشرين حماما وهي اكثر بساتين ومياها وعدوة الاندلسيين يجري الماء عليهم اولا ويجود بهذه العدوة الاترج ويعظم ولا يجود بعدوة الاندلسيين وكلتا العدوتين جليلة الخطر عظيمة القدر وموقع وادي فاس بوادي سبو وفي غربي عدوة

القرويين في بلد معيلة موضع يقال له السيخ ساخ باهله ومن هذا الموضع انهزم البوري بن ابي العافية سنة احدى واربعين وثلاث مائة هزمه بنو محمد واحتووا على معسكره وبقي في فاس الحوت المعروف باللبيس كثير وقال محمد بن اتحف المعروف بالبجلي

يا عدوة القرويين التي كرمت   لازال جانبك المحبور ممطورا

ولا سرى الله عنك ثوب نعمته   ارض تخنث الاثام والزورا

وانشد ابراهيم بن محمد الاصيلي والد العقيه ابي محمد المفضل ابن عمر المذحجي

دخلت فاسا ولي شوق الى فاس   والجبن باخذ بالعينين والراس

فلست ادخل فاسا لو حييت ولو   اعطيت فاسا بما فيها من الناس

وقال احمد بن فتح قاضي تاهرت في كلمة له

اسلح على كل فاسي مررت به   في العدوتين معا لا تبقين احدا

قوم غذوا اللوم حتى قال قائلهم   من لا يكون لئيما لم يعش رغدا

ومدهم يسع من الطعام ثمانين اوقية ومديهم يسمونه اللوح وفيه من هذا المد مائة وعشرون مدا وجميع الماكولات من الزيت والعسل واللبن والزبيب يباع عندهم بالاواق ۞ وحواليها من قبائل البربر تزهنة ومغيلة واوربة وصدينة وهوارة ومكناسة وزواغة ۞ ولما وصل موسى بن نصير الى طنجة مال عياض بن عقبة الى قلعة يقال لها سقوما على مقربة من فاس ومال معه سليمان بن ابي المهاجر وسالا موسى الرجوع معهما فابى وقال هولاء قوم في الطاعة فاغلظا له القول حتى رجع فقاتل اهل سقوما فكان لهم على العرب ظهور ثم تسور عليهم عياض بن عقبة من خلفهم في قلعتهم فانهزم القوم واشتد القتل فيهم فبادوا وقلت اوربة الى اليوم فذكر ابن ابي حسان ان موسى لما افتتح سقوما كتب الى

الوليد بن عبد الملك ان صار الملك يامير المومنين من سبى سعوما
ماية الف راس فكتب اليه الوليد ويحك اظنها من بعض كذباتك
فان كنت صادقا فهذا محشر الامم ۞ وفاس هي دار مملكة بنى
ادريس بن عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن ابى طالب
رضى الله عنه وكان نزول ادريس عند دخوله المغرب بوليلى
ووليلى وهي طنجة بالبربرية وذكر محمد ان وليلى على مسافة يوم
من فاس وفيها مات ادريس بن ادريس وهذه غير طنجة وهي بغربى
مدينة فاس مدينة عظيمة اولية فنزل على اسحق بن محمد بن
عبد الحميد الاوربى المعتزلى فتابعه على مذهبه وذلك في سنة
اثنتين وسبعين وماية وخرج الى ماسنة في شعبان سنة ثلاث
وسبعين وماية وخرج ايضا الى تازى وهو موضع من اعمال بنى
العافية يوجد في جبل منه الذهب وهو اعنف الذهب واجوده
وكان خروجه اليها في جمادى الاخرة سنة اربع وسبعين وماية
ومات بوليلى ۞ وذكر ابو الحسن على بن محمد بن سليمان النوفلى
عن ابيه وغيره في خروج ادريس الى ارض المغرب غير ما ذكره
المورخون قال ان ادريس بن عبد الله انهزم فيمن انهزم من وقعة
حسين صاحب فخ وكانت وقعة فخ يوم السبت يوم التروية سنة
تسع وستين وماية فاستتر مدة والح السلطان في طلبه فخرج به
راشد وكان عاقلا شجاعا ابدا ذا حزم ولطف في جملة الحاج
متحاشا عن الناس بعد ان غير زيه والبسه مدرعة وعمامة غليظة
وصيره كالغلام يخدمه وان امره ونهاه اسرع في ذلك فسلما
حتى دخلا مصر ليلا فبينما هما متحيرون يمشيان في بعض طرقها
لاهداية لهما بالبلد اذ مرا بدار مشيدة يدل ظاهرها على باطنها
ونعمة اهلها فجلسا في دكان على باب الدار فراهما صاحب

الدار فعرف فيهمـــا الجـــارية وتوسم فى خلقتهمـــا الغربية فقال احسبكما غريبين قالا نعم قال واراكما مدنيين قالا نعـــم نحن كما ظننت فاذا الرجل من موالى بنى العباس فقام اليه راشد وقد توسم فيه الخير فقال له يا هذا قد اردت ان القى اليك شيئـًا ولست افعل حتى تعطينى موثقا ان تفعـــل احدى خلتين اما اويتنا وتتقرب الى الله بالاحسان الينا وحفظت فينا نبيك محمدا صـلى الله عليه وسلم وان كرهت مـــا القيته اليك سترته علينا فاعطاه على ذلك موثقا فقال له هـــذا ادريس بـن عبد الله بـن حسن بن حسن بن على بن ابى طالـــب خرج من موضعه مـــع حسين بن على فسلم من القتل وقد جيت به اريد بلاد البربر فانه بلد ناء لعله يامن فيه ويعجز من يطلبه فادخلهمـــا منزله وسترهما حتى تهيا خروج رفقة الى افريقية فاكترى لهمـــا جملا وزودهما وكساهـــا فلما عزم القوم على الشخوص قال لهما ان لامير مصر مسالح لا يجوز احد الا فتشوه وهاهنا طريق اعرفها لا يسلكها الناس فانا احمل هذا الفتى معى يعنى ادريس فى هـــذه الطريق الغامضة البعيدة فالقاك به يقول لراشد فى موضع كذا وهنالك تنقطع مسالح مصر فركب راشد فى احد شقى المحمل ووضع متاعه فى الشق الاخر ومضى مع الناس فى القافلة وخرج الرجـــل على فرس له وحمـــل ادريس على فرس اخـــرى فمضى به فى الطريق الغامضة وهى مسيرة ايام حتى تقدم الرفقة واقاما ينتظرانها حتى وردت فركب ادريس مع راشد حتى اذا قربا من افريقية تركا دخولها وسارا فى بلاد البربر حتى انتهيـــا الى بلاد فاس وطنجـــة فاقام ادريس بين ظهرانى البربر حتى انتهى الى الرشيد خبره فكربه وشكا ذلك الى يحيى بن خالد فقال انا اكفيك خبره يا امير المومنين

فارسل الى سليمان بن حريز الجزرى وهو رجـل من ربيعة وكان متكلما ممن يرى راى الزيدية وكان حلـوا شجاعا احـد شياطين الانس وكانت له امامة في الزيديه اذ كان متكلمهم وهو الذى جمع الرشيد بينه وبين هشام بن الحكم حين ناظره في الامامة فارغبه يحيى بن خالد في مـال ووعده عـن نفسه وعن الخليفة بمواعد عظيمة ودعاه الى قتـل ادريس والتلطف في ذلك فاجابه فاعطاه مالا جزلا ووجه معه رجلا يثق به ويشجاعته ودفع الى سليمان قارورة فيها غالية مسمومة فانطلق مع صاحبه فلم يزالا يتغلغلان حتى وصلا الى ادريس وكان ادريس عالما بسلمـان ورياسته في الزيدية فلما وصل اليه قال انما جئتك وحملت نفسي على ما حملته عليه لمذهبي الذى تعرفني به وان السلطان طلبني هذا لمحبتي في الخروج معكم اهل البيت فجئتك لامنّ في ناحيتك وانصرك بنفسي فسره قوله وقبله واحسن مثواه واكرم نزله وانس به وكان سليمـان يجلس في مجالس البربر ويظهر الدعاء الى ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحتج لاهل هذه المقالة كاحتجاجه بالعراق فاعجب ذلك ادريس منه فمكث عنده مدة وهـو يطلـب غرته ويرصد الفرصة في امره ويرمق باب الحيلة عليه حتى غاب راشد مولاه غيبة في بعض اموره فدخل عليه ومعه القارورة فلما انبسط اليه وخلا وجهه فقال جعلني الله فداك في هذه القارورة غالية حملتها معي وليس ببلدك من الطيب ما يتخذ هـذا منه فجئتك بها لتطيب بما فيها ووضعها بين يديه ففتحهـا ادريس وتغلف منها وشمها وانصرف سليمان الى صاحبه وقد اعدّا فرسين قبل ذلك مضمرين فركباهـا وخرجا مركضين يطلبان النجاة فلما وصل السم الى دماغ ادريس وكان في خياشيمه سقط مغشيا عليه

لا يعقل ولا يدرى من يختص به ما سـائه فدفعوا الى راشد خبـاء
مسرعا وتشاغل بمعالجتـه والنظر في امره وقطع سليمان وصاحبه
على فرسيهما بلادا في مدة ذلك واقام ادريس في غشيته عامة نهاره
وعروقه تضرب ثم مات وتبين راشد امر سليمان بن جرير فركب
في طلبه في جماعة من اصحابه فجعلت الخيل تنقطع تحت اصحـابه
ويتخلفون لشدة السير وحث الطلب حتى لحقه راشد فاحرى
اليه سليمان ليمنعه من نفسه فخبطه راشد بالسيف فكـنع يده
وضربه بالسيف على وجهه وراسه ثلاث ضربات كل ذلك لا يصيب
مقتلا مع دفع سليمان عن نفسه وماكان عليه من الجنة وقام فرس
راشد لشدة حمله عليه ونجا سليمان بحشاشة نفسه وصاحبه قد
خذله فلم يغن عنه شيئا ولم يكن عنده الا الهرب ثـم نزل
سليمان بعد ان امن الاتباع وعصب جراحه قال ابو الحسن النوفلي
فحدثنى من راءه بعد قدومه العراق مكنعا وذكر احمد بن الحارث
ابن عبيدة اليمانى نحو رواية النوفلى قال ان ادريس بن عبد الله
افلت من وقعة فخ فوقع بمصر وعلى بريدها يومئذ واضح مولى صالح
ابن المنصور وكان يتشيع فحمله على البريد فوقـع بارض طنجة
فوجه اليه الرشيد رجلا من مواليه يقال له الشمـاخ في هئية
المتطبب وكان بادريس وجع بفيه في اسنانه فوضع الشمـاخ في
ذلك الموضع دورا مسموما وخرج من ساعته فقتـل السم ادريس
وطلب الشماخ فلم يظفر به حـتى اتى الرشيد فولاه بريد مصر
وقال غيره انما امره ان يستعمـل ذلك الذرور والسنون في السحر
فهو في جوف الليل قال محمد بن ابراهيم بن محمـد بن القـاسم
الصحيح عندنا انه سمـه في دلاعة قطعها بسكين قد سم احد
جانبيه فلما قطعها ناوله الذى باشر السم واكل هـو الاخر وكـان

واضح مولى صالح بن المنصور يميل الى ال ابى طالب فبلغ الرشيد ما صنع بادريس فامر بضرب عنقه وصلبه قال النوفلى وكانت مدة ادريس التى اجابته فيها البربر الى ان مات بوليلى سنة خمس وسبعين ومائة ثلاثة اعوام وستة اشهر وقال غير هولاء ان داود ابن القاسم بن اسحق بن عبد الله بن جعفر بن ابى طالب هو الذى افلت من وقعة فخ وهرب الى المغرب وذرية داود هذا بفاس وبنو ادريس يناكحونهم وانصرف داود الى المشرق فانه انما فر حين خرج اخواه على المنصور قال على النوفلى اخبرنى عيسى بن جنون قاضى ارشقول لادريس بن عيسى ودخل الاندلس غازيا ان سليمان ابن عبد الله بن حسن بن حسن دخل المغرب ايضا ونزل تلمسان وبه كمل عدد ولد عبد الله بن حسن ستة لانهم محمد وابراهيم وادريس وعيسى ويحيى وسليمان كما ذكروا قال فولد سليمان بن محمد بن سليمان فمن ولده محمد ويحيى وسليمان كل قرشى فى القبلة قال النوفلى ومات ادريس ولا ولد له وجارية من جواريه حبلى فقام راشد بامر البربر حتى ولدت غلاما فسماه باسم ابيه ادريس وقام بامره وادبه واحسن تاديبه وكان مولده فى ربيع الاخر سنة خمس وسبعين ومائة وتوفى راشد سنة ست وثمانين ومائة ولهذا التبنى والانصال قال محمد بن السمهرى يهجو القاسم بن ادريس بن ادريس

قل للزنيم زنيم طنجة عش بها　لا يحسدنك فى بلادك حاسد
منّتك نفسك ان تكون خليفة　هيهات هذا من حديثك بارد
لما رايتك للئام مصافيا　ايقنت حقّا ان جدّك راشد

وقيل ان راشد مولى عيسى بن عبد الله اخ ادريس بن عبد الله فقام بامر الغلام ابو خالد يزيد بن الياس واخذ بيعة البربر له

يوم الجمعة السابع من ربيع الاول سنة سبع وثمانين ومابة وهو ابن احدى عشرة سنة وفتل ابا ليلى اسحف وهو الفايم به وبايعه يوم السبت لست خلون من ذى الحجة سنة اثنتين وتسعين ومــــابة وبعث راسه الى المشرق مع احمد وسليمان ابنى عبد الرحمن ثم نزل مدينة باس بى عدوة الاندلسيين وافام بها شهرا وذلك سنة اثنتين وتسعين ومابة وكانت عدوة الفرويين غياضا بى اطرافها ابيات من زواغة بارسلوا الى ادريس بدخل عندهم باسس مدينة الفرويين سنة ثلاث وتسعين ثم خرج الى نفّيس بى المحــرم سنة سبع وتسعين ثم غزا نفزة وتلمسان ورجع سنــــة تسع وتسعين ومابة فال داود بن العاسم بن اسحف بن عبد الله بن جعبر كنت مع ادريس بن ادريس بى المغرب فخرجت معه يوما الى فتال الخوارج فلفيناهم وهم بى ثلاثة اضعاب عددنا بفاتلناهم فتالا شديدا باعجبنى ادريس ذلك اليوم وجعلت اديم النظر اليه بفال ويحك لمَ توالى النظر الىّ فلت لخصال اما اولها بانك تبصف بصافا مجتمعــــا وانا اطلب فليل ماء ابل به حلفى بلا اجده فال ذلك لاجتماع فلبى ودهاب بصافك لذهاب عفلك فال فلت والثانية لما ارى من منتك فال ان النبى صلى الله عليه وســــلم صلى علينا فلت والثالثة لما ارى من حركتك وفلة فرارك على الدابة فال ذلك زمــع الى الفتال فلا تحسبه رعبا وانا الذى اقول

اليس ابونا هاشــــم شـــد ازره واوصى بنيه بالطعان وبالضرب
فلسنـا نملّ الحرب حـــتى تملنا ولا نتشكى ما يوول من النصب

وتوبى ادريس بوليلى سنة ثلاث عشرة ومــــايتين وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة بحبة عنب غص بها بــــلم يزل مبتوح البم سايل اللعاب حتى مات وولد ادريس محمدا واحمد وعبيد الله وعيسى

وادريس وجعفرا وحمزة ويحيى وعبد الله والقاسم وداود وعمر وتولى
الامر بعد ابيه منهم محمد وفرق البلاد على اخوته براى جدته
كنزة ام ادريس واتخذ محمد بن ادريس مدينة فاس فرارا فولى
القاسم اخاه البصرة وطنجة وما والاها وولى عمر صنهاجة وغمارة وولى
داود هوارة فاسلمت وولى يحيى داى وما والاها وولى عيسى وازقّور
وسلى وولى حمزة الاودية بغرب ولسلى وولى عبد الله لمطة وما والاها
وتصاغر الباقون من اخوته ان يقسم لهم فصاروا مع اخوتهم
فقام عليه عيسى اخوه صاحب وارفور ونكث طاعته فكتب الى القاسم
يامره بمحاربة عيسى اخيهما اذ كان محاذيه في البلد فابى القاسم
من ذلك وخالف امر محمد فكتب محمد الى اخيه عمر بمثل ذلك
فاجابه وسارع الى نصرته وخرج يريد عيسى بعسكره فلما قرب
من احواز فاس كتب الى محمد يستمده ومضى لوجهه فاوقع
باخيهما عيسى قبل لحاق مدد محمد واخرجه عن بلد وازفور
وهرب الى سلى ثم امر محمد اخاه عمر بمحاربة القاسم اخيهما
فحاربه وتغلب على ما كان بيده فترهد القاسم وبنى مسجدا على
ضفة البحر باصيلى ولزمه وتوفى عمر بن ادريس بغرب ذلك ببلد
صنهاجة بموضع يقال له العرس وكان منيته له ونقل الى مدينة
فاس فدفن بها وهو جد الحموديين القائمين بالاندلس على ما
نذكره بعد هذا ان شاء الله ثم هلك محمد بن ادريس وولى الامر
بعد محمد ابنه على باستخلافه له ثم هلك فولى الامر بعده ابن
اخيه يحيى بن يحيى بن محمد بن ادريس ثم ان يحيى بن يحيى
دخل على يهودية في الحمام يقال لها حنّة وقد راودها على نفسها
فتغير عليه اهل فاس ووثب عبد الرحمن بن ابى سهل الجذامى وهو
جد احمد بن بكر بن عبد الرحمن الذى هو صاحب فاس

باخرجه من مدينته فاس فهرب الى عدوة الاندلسيين فمات بها من ليلته وكانت زوجة يحيى بن يحيى هذا عاتكة بنت على ابن عمر بن ادريس فلم تخرج مع زوجها يحيى بن يحيى فاتى على ابن عمر ابوها بجنده فدخل عدوة القرويين وملكها وانتقل الامر عن بنى محمد بن ادريس الى بنى عمر بن ادريس ثم قام على على بن عمر عبد الرزاق الخارجى وكان صفريا ويقال انه من ثغر الاندلس وكان قيامه من جبل مديونة وهو بقبلى فاس فدارت بينهم حروب كانت الدبرة فيها على على فهزمه الخارجى واخرجه عن مدينة فاس وفر على الى بلد اوربة واجاب عبد الرزاق اهل عدوة الاندلسيين ولم يجبه اهل عدوة القرويين وبعثوا الى يحيى بن القاسم الذى يعرف بالعدام فولوه على انفسهم فلم يزل بها حتى قتله ربيع بن سليمان فى سنة اثنتين وتسعين ومايتين فتقدم يحيى ابن ادريس بن عمر بن ادريس الى مدينة فاس فدخلها ورجع الامر الى بنى عمر فلم يزل بعد يحيى الى ان قدم مصالة بن حبوس سنة سبع وثلاث ماية على ما ذكرنا قبل هذا فلما اجلى بنى صالح عن بلد نكور وتقدم الى مدينة الزيتون وهى كانت قاعدة يحيى ابن ادريس بن عمر قبل دخوله فاس وكانت مويله الذى يعتد به ويعول عليه خرج اليه يحيى مدافعا له فانهزم يحيى وانفض جمعه ولم تقم له قايمة بعد الى ان هلك سنة اربع وثلاثين وثلاث ماية وكان هلاكه بالمهدية ايام حصار ابى يزيد لها وكان اعلى بنى ادريس قدرا بالمغرب لم يبلغ احد منهم مبلغه قال النوفلى وكان مصالة بن حبوس لما قدم المغرب حركته الاولى سنة خمس وثلاث ماية ابتدى موسى بن ابى العافية بالاحسان وقدّمه فى المغرب وكان موسى كلما رجا بالظهور عزه يحيى بن ادريس

وقطع به عن امله فلما رجع مصـالة بن حبوس الى المغرب ثانية سنة عشرة وثلاث ماية سعى موسى بيحيى عنده فاجمـع مصالة على القبض عليه وطمع فيما له وما عنده فلم يزل يتحيل له حتى اقبل الى معسكره فقبض عليه وانتزع جميع مـا اتى بـه وامره باستجلاب ما عنده من الاموال فاحضره مالا عظما واخرجه عن بلده وصـار ما كـان بيده من البلدان الى حسن بن محمد الحجام والى موسى بن ابى العافية قال القاضى محمد بن عمر الصدفى لمـا اجلى مصالة بن حبوس يحيى بن ادريس التاثت به الحـال وانفض جمعه ومن كان معه ثـم اخذه بعد ذلك موسى بن ابى العافية فخرب مدينته وسجنه دهرا طويلا بمدينة لكاى ثم اطلقه ثم نزع بنفسه الى اصيلى وسكنه واقطعه بنـو ابراهم شئـا يقوم منه معاشه قال وكان ابوه ادريس قد دعا الله ان يميته الله بارض غربة جوعا فلما كان فى سنة احدى وثلاثين وثلاث ماية توجه نحو المهدية فوافق قيام ابى يزيد وفعل الشيعة بانفسهم فلم يصل اليهم ومات جوعا فى حصار ابى يزيد ۞ وقدم مصالة بن حبوس على فاس ريحان بن على الكتامى وذلك سنة سبع وثلاث مـاية فاقام بها الى سنة ست عشرة وثلاث مـاية فقـام حسن بن محمد بن القـاسم بن ادريس الذى تعرف بالحجام فنفاه ودخلهـا وملكها عامين ۞ وانما سماه حجاما عمه احمد بن القاسم بن ادريس الكرتى وذلك انه جرى بينهمـا امر افضى بهما الى الاختلاف والتدابر حتى زحف كل واحد منهمـا الى الاخر فالتقيا بموضـع يعرف بالمدالى من بلد صنهاجة فحمل حسن على غلام لعمه فدعسـه بحربة اثبتها فى مكان المحجم فاخبر عمه بفعله ثم شد على اخر فاصابه فى ذلك الموضع وقيل لاحمد ايضا وضرب ثالثا فوافق ذلك

الموضع فقال احمد صار ابن اخي حجّاما فلزمه ذلك ولذلك قال شاعر من شعرائهم

وسميت حجاما ولست بحاجم   ولاكن لضرب في مكان المحاجم

وكان حسن الحجام في اخر بلد المدائن يملك فاسا فاوقع بموسى ابن ابي العافية رجلٍ من روساء البربر وقعة شنعاء لم يكن بالمغرب بعد دخول ادريس فيه اعظم منها اجلت هزيمته له عن ازيد من الفي قتيل وقتل في جملتهم ابنا لموسى يسمى منهل فغدره على اثر ذلك بفاس حامد بن حمدان الهمداني ويعرف باللوزي نسب الى قرية مافريقية فحبسه عند نفسه واغلق ابواب المدينة دون عسكره وذلك كان شان اهل فاس لا يتركون عسكر رئيس يدخل مدينتهم فلما صار في سجن حامد ارسل الى موسى بن ابي العافية فاتاه ودخل فاسا وتغلب على عدوة القرويين وتغلب بعد ذلك على العدوه الاخرى ثم جعل يلحف على حامد في قتل حسن الحجام بابنه منهل وحامد يدافعه عنه ويكره المجاهرة بقتله فسمه حامد واخرجه على السور ليلا فسقط عنه واندلقت ساقه وجاز الى عدوة الاندلسيين فمات بها وقتل موسى عبد الله بن ثعلبة بن محارب الازدي وقتل معه ابنيه محمدا ويوسف وهرب ابنه محارب ابن عبد الله فلحق بقرطبة وقيل بالمهدية واراد ايضا قتل حامد ابن حمدان الهمداني فهرب الى المهدية واستولى موسى بن ابي العافية على جميع المغرب واجلى ال ادريس اجمعين عن مواضعهم وانحاشوا عن البلد وصار جميعهم في حجر النسر مقهورين وهو حصن بناه ابراهيم بن محمد بن القاسم بن ادريس بن ادريس سنة سبع عشر وثلاث ماية واعتزم موسى على محاصرتهم واستيصالهم حتى عذله في ذلك اكابر اهل المغرب وقالوا قد اجليتهم واقفرتهم

اتريد ان تقتل ال ادريس اجمعين وانت رجل من البربر فانكسر عن ذلك ولاذ عنهم بعسكره وتخلف لمرافقتهم ومنعهم من التصرف فايدا جليلا كان عنده يكنى ابا فتح فكانت محلة ابي فتح بتاويفت واستخلف موسى ابنه مدين بفاس حتى قدم حُميد ابن يصلى في سنة احدى وعشرين وثلاث ماية الى المغرب ومعه حامد بن حمدان الهمداني فلما ايقن مدين بقدومهما هرب من فاس وولى حميد حامدا على فاس وتظاهر بنو ادريس على ابي فتح فهزموه وغنموا اكثر عسكره فالوا فبذلك سموا ذلك الموضع الكوم وتغالوا به وجعلوه شعارا بينهم ووثب بفاس احمد بن بكر ابن عبد الرحمن بن ابي سهل الجذامي فقتل حامدا وبعث براسه وولده الى موسى بن ابي العافية فبعث بهما موسى الى قرطبة مع سعيد بن الزرّاد وكان صار حميد بن يصلى عن موسى وعن المغرب بغير عهد فهو كان سبب سجنه بافريقية حتى هرب الى الاندلس ۞ ثم قدم ميسور الفتى الى المغرب في سنة ثلاث وعشرين وثلاث ماية على ما تقدم قبل هذا فخرج احمد بن بكر صاحب فاس يومئذ الى معسكره فحبسه ميسور ووجه به الى المهدية فقدم اهل فاس على انفسهم حسن بن قاسم اللواتي وحارب ميسور مدينة فاس سبعة اشهر ثم قفل عنهم فلم يزل حسن واليا عليها الى ان قدم احمد بن بكر منطلقا من المهدية فتخلى له حسن عما كان بيده وذلك سنة احدى واربعين وثلاث ماية ولما ورد ميسور الى المغرب حاصر موسى بن ابي العافية وتولى معاظم تلك الحروب بنو ادريس حتى جلى موسى بن ابي العافية الى الصحراء وصار ما كان بيده الى ال ادريس والرياسة منهم في بني محمد ابن القاسم بن ادريس بن ادريس وهم حسن وجنون وابراهيم بنو

محمد بن القاسم وكان محمد متخلفا فى اخوته وعشيرته لا قدر له ثم صارت النباهة والقدر لبنيه وابراهيم بن محمد هو المعروف بالرهونى وكان الذى يلزم صخرة النسر منهم جنون وحنون ابنا ابراهيم واسم جنون القاسم ولمحمد بن اكحف الشاعر المعروف بالنخيلى فى جنون هذا اهاج كثيرة مقذعة وذلك انه غلب على ام ولد كانت له فهويها جنون وصارت عنده فاستعان عليه بابن عمه احمد بن القاسم بن ادريس فكتب اليه يرغب ان يصرفها اليه واعلمه بما يلحقه فى فعله من قبح الاحدوثة فلم يلتفت الى مقالته ولا انتفع محمد بن اكحف بشفاعته فاستاذن محمد بن اكحف احمد بن القاسم فى مجائه فاذن له فى ذلك وعاهده ان لا يرى منه على مجائه له مكروها ابدا فمما هجاه به

اترى سلاحك اذ كدتك قصيدنى ينفيه سيل قد طما من سبدد
او بحر طنجة فى عصوفات الصبى . . . . .فردد
او نيل مصر اذا ارتمى اذيه تعلو سواحله بموج مزبد
جنون يزعم انه متلوط وهو المنيك اذا خلا بالامرد
ابنى محمد الزنيم لانتم شر الورى ممن يروح ويغتدى
ان كان جنون من ال محمد فانا كعور بالنبى محمد

وقد ذكرنا خبر سبدد واختلاف اسماء هذا النهر باختلاف المواضع فاما قوله ۞ اوبحر طنجة فى عصوفات الصبى ۞ فان الريح الشرقية تودى فيه اشد اذاية وكذلك فى حربيه ۞ وكان اعلى بنى محمد كلهم ايدا ابو العيش بن جنون بن محمد وكان له من البلد ما بين اجاجن وهو بقبلى حجر النسر الى مدينة فاس وكان احمد بن ابراهيم بن محمد عالمهم كان يحفظ السير والتواريخ وكان نسّابة عاقلا حليما وكان مبجلا لعلمه وكان يعرف احمد

الفاضل وكان له ما جرّ من اجاجن الى مدينة سبتة وكان شديد الميل الى خلفاء بنى امية وكثير التشيع فيهم وهو الذى استشار محمد بن عبد الله بن ابى عيسى قاضى الجماعة فى سنة اثنتين وثلاثين فى دخول الاندلس والغزو مع امير المومنين عبد الرحمن فلما اعلم عبد الرحمن بذلك امره بمخاطبته واستحثاثه فى القدوم وان يعلمه انه لا ينزل محلة من الاندلس ما بين نزوله بالجزيرة الخضراء الى نزوله بمحلة بلاط حميد من اقصى الثغر وذلك ثلاثون محلة الا امر امير المومنين ببنيان قصر فى كل محلة ينزله ينفق فيه الف مثقال ليكون اثر اقباله بالاندلس باقيا مع الايام ولم يكن فى بنى ادريس من شهر بالعلم شهرته الا احمد الاكبر ابن القاسم ابن ادريس بن ادريس وهو المعروف بالكرتى كان له علم وقدر بالمغرب وهو الذى استجلب بكر بن حماد ووفد على امير المومنين عبد الرحمن منهم حسن بن القاسم المعروف بجنون وعيسى بن جنون ابن محمد بن القاسم وذلك يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شوال سنة ثلاث وثلاثين وثلاث مائة فاقاما فى كرامته الى شهر صفر من العام الذى يليه ثم انصرفا الى بلدها ولما دخلت سنة ثمان وثلاثين وثلاث مائة اجمع بنو محمد بن القاسم على هدم مدينة تطاوان فهدموها ثم تعقبوا ما فعلوا وارادوا بنيانها فضج اهل مدينة سبتة من بنيانها وزعموا انها تضرّ بمدينة سبتة وتقطع عنها مرافقها فاعجل عبد الرحمن امير المومنين اخراج الجيوش اليهم وتجهيز العساكر نحوهم وذلك سنة احدى واربعين وثلاث مائة والقايد احمد بن يعلى حتى وصل الى مدينة سبتة ونفذ عهد عبد الرحمن الى حميد بن يصلى وكان والى تيجيساس بالتقدم الى سبتة والتضافر باحمد بن يعلى على حرب بنى محمد

واجتمع العسكران وسعى حميد بن يصلى الى بنى محمد على بن معاذ فاجابوه الى التخلى عن مدينة تطاوان على ان يبعثوا بابنائهم الى امير المومنين بقدم احمد بن يعلى عليه بحسن بن احمد الفاضل بن ابراهيم بن محمد وبمحمد بن عيسى بن احمد ابن إبراهيم ووصلا الى قرطبة يوم السبت لتسع خلون من رجب سنة احدى واربعين وثلاثماية وعيسى هو ابو العيش فبعث حسن فى ابنه يحيى وبعث محمد فى ابنه حسن فوصلا الى قرطبة يوم الاربعاء لاربع بقين من ربيع الاخر سنة اثنتين واربعين فمكثا بقرطبة وصدر ابواها الى بلادها بالحباء والكرامة المجددة وولد ليحيى وحسن بقرطبة البنين ثم هلكا هلك يحيى سنة تسع واربعين وهلك حسن سنة خمسين ودفنا بمقبرة الربض وصلى عليهما منذر بن سعيد القاضى وتخلف يحيى ابنا يسمى حسينا وتخلف حسن ابنين يسميان محمدا وحسينا ايضا فلم يزالوا مستقربن بقرطبة الى خلافة المستنصر بالله فبعث بهم اعلاما من ثقات اهل مملكته وذلك فى رجب سنة اربع وخمسين وثلاث ماية فوصلوا بهم الى احمد وحسن ابنى ابراهيم بن محمد بن القاسم ويحيى بن احمد ابو هذا الغلام قد هلك فانزل احمد بن ابراهيم ابن ابنه حسين بن يحيى على ما كان لابيه فاما ذرية عمر بن ادريس بن ادريس جد الناجمين بالاندلس فان عمر ولد عليا بسربة وادريس امه زينب بنت عبد الله بن داود بن القاسم الجعفرى وعبيد الله لجارية يقال لها ربابة ومحمدا فاما على فانه اعقب من الذكور اثنى عشر ذكرا وابنة واحدة وهى عاتكة التى تقدم ذكرها امراة يحيى بن يحيى بن محمد بن ادريس واكثر عقب هولاء باورنة ومنهم بمدينة فاس ومنهم بكتامة وحمزة بن على

منهم فتله موسى بن ابي العافية ببده ظفر به بمدينته التي كانت تدعا بني عوسجة وفتل معه ولديه هرون ويحيى وكان حمزة هذا فد حضر مع حسن بن محمد الحجام هزيمته لموسى وحضر فتل منهل ابنه وكان حمزة فد علف منهلا على بابه ببني عوسجة بفتلهم بثارة وحسن بن عبيد الله بن على منهم ابتلى بالجدام وجنون ابن ادريس بن على اجلاه موسى الى زناتة فسبته برغواطة فعفبه هناك عندهم وعفب ابي العيش بن على منهم بالاندلس واما ادريس ابن عمر بن ادريس فهو لباب ولد عمر بن ادريس وبولده تكرر الامر الى ان كثرهم بنو محمد بن الفاسم ومحمد بن ادريس بن عمر هو المعروف بابن ميالة ويكنى ابا العيش ولم يزل مواليا للناصر عبد الرحمن رحمه الله وفد ذكرنا خبر ابنه يحيى بن ادريس وملكه لمدينة فاس وانه كان اعلى بني ادريس حالا بالمغرب وذكرنا موته بالمهدية فال على النوفلي كان يشهد مجلس يحيى بن ادريس العلماء والشعراء وكان ابو احمد الشافعي من جلسائه وممن يتكلم عنده في العلم وكان ينسخ له عدة الورّافين وينتجعه الناس من الاندلس وغيرها فيحسن الى جميعهم وينصرفون عنه اكرم منصرف وكان لادريس ابن عمر خمسة من الولد الذكور غير هذين ولهم عفب كثير فاما عبيد الله بن عمر بن ادريس فولد حمزة والفاسم وابا العيش لم يسم لنا اكثر وامهم ملوكة بربرية وعليا وابراهيم ومحمدا ويفال لمحمد الشهيد امهم زواغية فاما حمزة فكان شجاعا جوادا متفدما وله عفب كثير ببلد غمارة وزناتة واما على بن عبيد الله فلم يعفب من ولده الاجنون وهم بكورة الجزيرة واما ابراهيم فكان عفبه بجر النسر واحد بنيه اعفب ببلد زناتة واما الفاسم بن عبيد الله فله عفب كثير ببلد زناتة ومحمد الشهيد عفبه ايضا

فبلد زناتة واما ابو العيش بن عبيد الله فولد جودا ويحيى فاما يحيى فله بنون بتازغدرا واما جود فولد القاسم وعليا وفاطمة فاما على فولى الخلافة بالاندلس سنة سبع واربعماية واغتاله فتيان من الصقالبة في حمام بقصر قرطبة فقتلاه ثم قتلا به وكان له من الولد يحيى وادريس وولى عهده منهما يحيى وكان صاحب المغرب وكان ادريس اخوه صاحب مدينة مالقة فلما قتل على استدعى البربر القاسم اخاه وادخلوه القصر وبايعه الناس وخطب له بالخلافة فانف من ذلك ابن اخيه يحيى لما تقدم من عهد ابيه له وتضافر مع ادريس اخيه على شيها لتصوره عليهما في خلافة ابيهما واتفقا على ان يعبر يحيى الى مالقة لطلب حقه ويعبر ادريس الى المغرب فجاز يحيى الى اشبيلية سنة اربع عشرة واربعماية واستمر الى قرطبة فاستخلف يحيى بقرطبة وتسمى بالمعتلى وخطب له بالخلافة ثم ان البربر اضطربوا عليه ففر من قرطبة الى مالقة ورجع عمه القاسم الى قرطبة مرة اخرى وتسمى بالمامون ثم عزله ابن اخيه يحيى فخرج من قرطبة الى اشبيلية ومكث بها الى ان اخرجه محمد بن عبّاد وصار بشريش فحصر بها ابن اخيه يحيى حتى اخذه وبينه هنالك فسجنهم واستوسق الامر ليحيى بن على حتى قتل في المحرم سنة سبع وعشرين واربعماية فلما وصل الامر الى اخيه خطب له بالخلافة في سبتة وتسمى بالعزيز بالله ثم عبر البحر الى مالقة فتسمى بالمتايد بالله وخطب له بالخلافة بمالقة واعمال البربر بالاندلس وبالمرية واعمالها وتوفى يوم الاثنين لاربع عشرة ليلة بقيت للمحرم سنة احدى وثلاثين واربع ماية وكان ولى عهده حسن بن يحيى صاحب سبتة فتسمى بالمستنصر بالله فجاز الى الاندلس وبويع له بمالقة ونواحيها وبغرناطة وجهاتها

الى ان توفى سنـــة اربع وثلاثين واربعماية فولى ادريس بن يحيى اخوه وبويع له يوم الخميس لست خلون من جمادى الاخرة سنة اربع وثلاثين واربع ماية وتسمى بالعــالى وخطب له بذلك بمالقة وغرناطه وقرمونة واعمالها الى ان خلع سنة ثمان وثلاثين واربعمايه وقام محمد بن ادريس بن على وتسمى بالمهدى وخطب له بالخلافة هنالك الى ان توفى سنة اربع واربعين واربعماية وقام بالامر بعده ابن اخيه ادريس بن يحيى بن ادريس بن على وتســـمى بالموفق ولم يخطب له بالخلافة وبقى اشهرا يسيرة ثـم دخل عليه العالى ادريس بن يحيى وبويع له مرة ثانية بمـالقة وبقى الى ان توفى سنة ست واربعين واربع مايه وقام بالامر بعده ابنه محـمد بن ادريس وتسمى بالمستعلى ولم يخطب له بالخلافة فاقام بمالقة الى ان تغلب عليها باديس بن حبوس بن ماكسن فى صدر سنة سبع واربعين واربع مائة فانقطعت دولة بنى على بن حمود من يومئذ ثم استدعى محمد ابن ادريس هـــذا من مدينة مليلة وهـــو مستتر بالمرية لا يعرف مكانه لخمول ذكره فعبر اليها وذلك فى شهر شوال سنــة تسع وخمسين واربع ماية فقام به جماعة بنى ورتدى بملالة وبقلوع جارة ونواحيهما وهو هنالك باق على ذلك الى وقتنا هذا وهو اخر سنة ستين واربع ماية ۞

۞ ذكر ممالك بَرَغْواطه وملوكهم ۞

أخبرنى ابو صالح زمّور بن موسى بن هشـــام بن وارديرن البرغواطى وكان صاحب صلاتهم حين قدم على الحكم المستنصر رسولا من قبل صاحب برغواطة ابى منصور عيسى بن ابى الانصار عبد الله

ابن ابى غُفَير محمد بن معاد بن اليسع بن صالح بن طريف وكان وصوله الى قرطبة فى شوال سنة اثنتين وخمسين وثلاث مائة وكان المترجم عنه بجميع ما اخبر به الرسول الذى قدم معه وهو ابو موسى عيسى بن داود بن عشرين السطاسى من اهل شلة مسلم من بيت خمرون بن خير فاخبر زمور ان طريفا ابا ملوكهم من ولد شمعون بن يعقوب بن اسحق وانه كان من اصحاب ميسرة المطغرى المعروف بالحقير ومغرور بن طالوت والى طريف نسبت جزيرة طريف فلما قتل ميسرة وافترق اصحابه احتل طريف ببلد تامسنى وكان اذ ذاك ملكا لزناتة وزواغة فقدمه البربر على انفسهم وولى امرهم وكان على ديانة الاسلام الى ان هلك هنالك وخلف من الولد اربعة فقدم البربر ابنه صالحا منهم قال زمور وكان موت صالح بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم بماية عام سوا قال وحضر مع ابيه حروب ميسرة الحقير وهو صغير قال وكان من اهل العلم والخير فتنبّا فيهم وشرع لهم الديانة التى هم عليها الى اليوم وادعى انه نزل عليه قرءانهم الذى يقرءونه الى اليوم قال زمور وهو صالح المومنين الذى ذكره الله عز وجل فى قرءان محمد عليه السلام فى سورة التحريم وعهد صالح الى ابنه الياس بديانته وعلمه شرايعه وفقهه فى دينه وامره ان لا يظهر ذلك الا اذا قوى وامن فانه يدعوا الى ملته ويقتل حينئذ من خالفه وامره بموالاة امير الاندلس وخرج صالح الى المشرق ووعد انه ينصرف اليهم فى دولة السابع من ملوكهم وزعم انه المهدى الاكبر الذى يخرج فى اخر الزمان لقتال الدجّال وان عيسى بن مريم يكون من اصحابه ويصلى خلفه وانه يملا الارض عدلا كما ملئت جورا وتكلم لهم فى ذلك كلاما كثيرا نسبه الى موسى الكليم عليه السلام والى سطيح

الكاهن والى ابن عباس وزعم ان اسمه فى العربى صالح وفى السريانى مالك وفى الاعجمى عالم وفى العبرانى وربيا وفى البربرية ورياورى اى الذى ليس بعده شىء فتولى اليـــاس الامر من بعـد خروج ابيه يظهر ديانة الاسلام ويسرّ الذى عهد اليه بـه ابوه خوفا وتقية وكان طاهرا عفيفا لم يلتبس بشىء من الدنيا الى ان هلـــك بعد ان ملك خمسين سنة وولد الياس جماعة منهم يونس فتولى الامر بعد ابيه فاظهر دياناتهم ودعـــا اليها وقتل من لم يدخل فيها حتى اخلى ثلاث ماية مدينة وسبعا وثمانين مدينة حـمـل جميع اهلها على السيف لمخالفتهم اياه وقتل منهم بموضع يقال له تاملّوكاب وهو حجر نابت عالى فى وسط السوق سبعة الاف وسبع مائة وسبعين قتيلا وقتـــل من صنهاجة خاصة فى وقعة واحدة الف وغـد والوغد عندهم المنفرد الوحيد الذى لا اخ له ولا ابن عم وذلك فى البربر قليل وانما احصوا الاقلّ ليستدل به على الاعظم الاكثر قال زمور ورحل يونس الى المشرق وحج ولم يحج احد من اهل بيته قبله ولا بعده ومات يونس بن اليـــاس بعد ان ملك اربعا واربعين سنة وانتقل الامر عـــن بنيه بقيام ابى غفير محمد بن معاد بن اليسع بن صـــالح بن طريف عليهم فاستولى على الملك بدين ابائه واشتدت شوكته وعظم امره وكانت له وقايع كثيرة فى البربر مشهورة لا تنسى مع الايام منها وقيعة تيمغسن وكانت مدينة عظيمة اقام القتـــل فى اهلها ثمانية ايام من الخميس الى الخميس حتى شرقت دورهم ورحابهم وسككهم بدمائهم ومنها وقعة بموضع يقال له بهت عجز الاحصاء عـــن عد من قتل فيها وكانت لابى غفير من الزوجات اربع واربعون زوجة كان له منهن من الولد بعددهن ومات ابو غفير بعد ان ملك تسعا وعشرين

سنه وذلك عمد ثلاث مايه من الهجرة وولى الامر بعده من بعده عبد الله ابو الانصار وكان سخيا ظريفا يفى بالعهد ويحفظ الجار ويكافى على الهدية باضعافها وكان افطس شديد ادمة الوجه ناصع بياض الجسم طويل اللحية وكان يلبس السراويل والملحفة ولا يلبس القميص ولا يعتمّ الا فى الحرب ولا يعتم احـــد فى بلده الا الغرباء وكان يجمع جنده وحشمه فى كل عام ويظهر انه يغزو من حوله فتهاديه القبايل وتستالفه فاذا استوعب هداياهم والطافهم برى اصحابه وسكنت حركته فملك فى دعة اثنتين واربعين سنة ودفن بامسلاخت وبها قبره وولى بعده من بنيه ابنه ابو منصور عيسى ابن ابى غفير وهو ابن اثنتين وعشرين سنـة وذلك سنة احدى واربعين وثلاث مائة فسار بسيرة ابيه ودان بديانانهم واشتدت شوكته وعظم سلطانه وكان ابوه قد وصّـــاه قبل موته بموالاة صاحب الاندلس وكذلك يوصى جميعهم المرشّح للملك بعده قال زمور وقال له يا بنىّ انت سابع الامراء من اهـــل بيتك وارجو ان يانيك صالح بن طريف كما وعد ۞ انتهى كلام زمور وقال ابو العباس فضل بن مفضّل بن عمرو المذحجى ان يونس القايم بدين برغواطة اصله من شذونة من وادى بربّط وكان قد رحـــل الى المشرق فى عام واحد مع عباس بن ناصح وزيد بن سنـــان الزناتى صاحب الواصلية وبرغوث بن سعيد التراري وجدّ بـــنى عبد الرزاق ويعرفون ببنى وكيل الصفرية ومناد صاحب المنادية المنسوب اليه القلعة المعروفة بالمنادية قريبا من سجلماسة واخر ذهب عـــنى اسمه فاربعة منهم فقهوا فى الدين وادعا ثلاثة منهم النبوة منهم يونس صاحب برغواطة قال وكـــان يونس شرب دواء للحفظ فلقن كل ما سمع وحفظه وطلب عـــلم النجوم والكهانة والجانّ ونظر فى

الكلام والجدال واخذ ذلك عن غيلان ثم انصرف يريد الاندلس فنزل بين هولاء القوم من زناتة فلما راى جهلهم استوطن بلدهم وكان يخبرهم باشياء قبل كونها مما تدلّ عليه النجوم عندهم فتكون على ما يقول او قريبا منه فعظم عندهم فلما راى ذلك منهم وعرف ضعف حلومهم وسخافة عقولهم اظهر ديانته ودعا الى نبوته وسمى من اتبعه برغطى لما كان من بَرْبَط ثم احالوه بالسنتهم وردّوه الى لغاتهم فقالوا برغواطى ۞ قال دصل بن معضّل وقال سعيد بن هشام المصمودى فى وقعة بهت قصيدة طويلة اخترنا منها ابياتا

قفى قبل التفرق فاخبرينا وقولى واخبرى خبرا مبينا
فوم برابر خسروا وضلوا وخابوا لا سُقوا ماء معينا
الايم امة هلكت وضلت وزاغت عن سبيل المسلمينا
يقولون النبى ابو غفير فاخزى الله امّ الكاذبينا
الم تسمع ولم تر يوم بهت على اثار خيلهم رنينا
رنين الباكيات فبين ثكلى وعاوية ومسقطة جنينا
سيعلم قوم تامسنى اذاما اتوا يوم النشور مهيمنينا
هنالك يونس وبنو بنيه يقودون البرابر مهطعينا
اذا ورباورى زمّت علمه جهنّمُ فايد المستكبرينا
فليس اليوم ردّتكم ولكن لبالى كنتمُ متميسريقا

هذا البيت يصدّق قول زمور البرغواطى ان طريفا كان من اصحاب ميسرة ويشهد له واما هذا الضلال الذى شرع لهم فانهم يقدمون مع الاقرار بالنبيين الاقرار بنبوة صالح بن طريف ونبوة من تولى الامر بعده من ولده وان الكلام الذى الف لهم وحى من الله تعالى لا يشكّون فيه تعالى الله عن ذلك وصوم رجب واكل شهر رمضان وخمس صلوات فى اليوم وخمس صلوات فى الليلة والتضحية

في اليوم الحادي عشر من المحرم وفي الوضوء غسل السرة والخاصرتين ثم الاستنجاء ثم المضمضة وغسل الوجه ومسح العنق والقفاء وغسل الذراعين من المنكبين ومسح الراس ثلاث مرات ومسح الاذنين كذلك ثم غسل الرجلين من الركبتين وبعض صلواتهم ايماء بلا سجود وبعضها على كيفية صلاة المسلمين وهم يسجدون ثلاث سجدات متصلة ويرفعون جباههم وايديهم عن الارض مقدار نصف شبر واحرامهم ان يضع احدى يديه على الاخرى ويقول ابسمن ياكش تعسبره بسم الله مقر ياكوش تعسبره الكبير الله ويضعون ايديهم مبسوطة في الارض طول ما يتشهدون ويقرون نصف قرءانهم في وقوفهم ونصفه في ركوعهم ويقولون في تسليمهم بالبربرية الله فوقنا لم يغب عنه شيء في الارض ولا في السماء ثم يقول مقر ياكش خمسا وعشرين مره اجن ياكش مثل دلك ومعناه الواحد الله وزدام ياكش مثل دلك ومعناه لا احد مثل الله وهم يجمعون يوم الجمعة ضحا وصدام يوم من كل جمعة فرض من فروضهم ويصوم الجمعة الاخرى التي تليه ابدا وياخذون العشر في الزكاة من جميع الحبوب ولا ياخذون من المسلمين شيئا ويتزوج من النساء ما استطاع على مباعلتهن والانفاق عليهن بلا حد عدد وان لا يتزوج من بنات عمه الا ثلاثة جدود ولا يتسرّون ولا ينكحن للمسلمين ولا ينكحون فيهم ويطلقون ويراجعون ما احبوا ويقتل السارق بالاقرار او بالبينة ويرجم في الزناء عندهم وينفى الكاذب ويسمونه المعيّر والدية عندهم ماية من البقر وراس كل حيوان عليهم حرام والحوت لايوكل الا أن يذكّى والبيض عندهم حرام والدجاج مكروهة الا ان يضطر عليها وليس عندهم اذان ولا اقامة وهم يكتفون في معرفة الاوقات بزقاء الديوك ولذلك

حرموها وكان يبصف فى ابديهم فيلعفونه تبركـا به ويحملـون بصافه الى مرضـاهم يستشفون بـه وصارت برغواطة اعـلم الناس بالنجوم واحذفهم بالقضاء بها وكانوا اجمل الناس رجالا ونسـاء واشدهم ايدا كانت الجارية البكر منهن تثب ثلاث حمر مصطفة ولا يمس ثوبها شيئًا من الحمر ولا تقدر على ذلك ثيب ۞ وقرءانهم الذى وضع لهم صالح بن طريف ثمانون سـورة اكثرهـا منسوبة الى اسماء النبيين من لدن ادم اولها سورة ايوب واخرهـا سورة يونـس وفيهـا سورة فرعون وسورة قارون وسورة هامـان وسورة ياجوج وماجوج وسورة الدجّـال وسورة العجـل وسورة هاروت وماروت وسورة طالوت وسورة نمرود وما اشبه هذه من الاقاصيص وسورة الديك وسورة الحجل وسورة الجراد وسورة الجمل وسورة الحنش وكان يمشى على ثمانية ارجل وفيها سورة غرايب الدنيا وهناك العلم العظم عندهم ۞ ذكـر كلمات مترجمة من اول سورة ايوب وهى استفتـاح كتابهم ۞ بسم الله الذى ارسـل به الله كتابه الى الناس هو الذى بين لهم به اخباره قالوا علم ابليس القضية ابى الله ليس يطيق ابليس كما يعلم الله سل اى شىء يغلب الالسن فى الافولة ليـس يغلب الالسن فى الافولة الا الله بقضائه باللسان الذى ارسل الله بالحق الى النـاس استقـام الحق انظر محمدا وعبارة ذلك بلسانهم ايمنى مامت يمامت محمد ۞ كـان حين عاش استقام الناس كلهم الذين صحبوه حتى مات فسد النـاس كذب من يقول ان الحق يستقيم وليس ثـم رسـول الله وهى سورة طويلة ۞ قال زمور ان بنى صالح بن طريف يركبون وقت اخباره فى ثلاثة الاف ومايتى فارس وان قبـايل برغواطة الذين يدينون لهـم وهم على ملتهـم جراوة ورواغة والبرانس وبنو ابى ناصـر

ومنجصة وبنو ابى نوح وبنو واغمر ومطغرة وبنـــو بورغ وبنو دمّر ومطماطة وبنو وزكسيفت وعددهم ينتهى ازيد من عشـــرة الاب بارس وممـن يدين لهم من المسلمين وينضاب الى مملكتهم زناتـة الجبل وبنو يليت وتمالتة وبنو واوسينت وبنـــو يعرن وبنو ناغيت وبنو النعمان وبنو ابلّوسة وبنو كوبة وبنو يسكر واصّادة وركـــانة وابزمبن ومنادة وماسينة ورصانة وترارتة ومبلغ عددهم نحو اثنى عشر الب بارس فال زمور وليس بى عسكرهم طبول ولا بنود وعدد زمور من انهار بلادهم الجارية ازيد من ماية نهر اعظمها نهر ماسنات وهو بجرى من الفبلة الى الجوب وبيـن عنصره وموفعـــه بى البحر مسيرة ستة ايام ونهر وانسيغن يفع بى نهر سلة تحـــت الرباط بى البحر المحيط ولم تزل برغواطة بى بلادها معلنة بدينها وبنو صالح ابن طريب ملوكها الى ان فام بيهم الامير تميم اليعرنى وذلك بعد عشرين واربع ماية من الهجرة بغلبهم على بلادهم وسباهم وجلا من يفى منهم واستوطن ديارهم وانفطع امـــرهم وعبـا اثارهم ولم يبف لضلالتهم بافية ولا من اواصر كبرهم اصرة وتميم هذا كان ذا جد وايثار للعدل وهو الذى فتل احد بنيه لاغتصابه جـــارية من التجار بوادى سلة وجميع بلاد برغواطة اليـوم على ملة الاسلام ✿

✿ الطريف من مدينة باس الى مدينة الفيروان ✿

وهى اربعون مرحلة نذكر مشهورها اول ما تخرج من بـاس على باب الفتوح من عدوة الاندلس الى مرج ابن هشـام الى وادى سبـوا وهو على نحو اربعة اميال من باس عليه فرى كثيرة ثم تسير منه الى موضع يعرب بعفبة البفر الى خندن الفول لمكنـاسة وبى فرى

متصلة وعمارات غير منفصلة وانهار كثيرة لازداجة وغيرها الى قلعة جُرماط وكانت معقل ابى منقذ بن موسى بن ابى العافية وكان بها جامع واسوان وحمام وفى الجوب منها على عشرة اميال مدينة تسول المعروفة بعين اسحق قاعدة موسى بن ابى العافية وكانت على ثلاثة اجبل وبها جامع واسوان وحمام وعين عذبة بنى عليها موسى قبة تخربها ميسور فايد الشيعى ومن فاس الى قلعة جرماط يسكنها اليوم مطغرة مرحلتان وقال محمد مرحلة الى مدينة جراوة ست مراحل وقال محمد ثمان منها اثنتان فى الصحراء فمن جرماط الى قرية ولبلى وبها كان بسكن زاوى ابن اخ موسى ابن ابى العافية الى فج تازا لمكناسة الى وادى وارُجّين نهر ملح لمكناسة ثم الى وادى صاع ثم الصحراء الى مدينة جراوة وهى فى سهل من الارض كان عليها سور مبنى بالطوب وداخلها قصبة وحولها ارباض من جميع جهاتها وعيون ملحة وداخلها ابار عذبة وخمس حمامات احدها ينسب الى عمرو بن العاصى وجامع من خمسة بلاطات على عمدة حجارة اسسها ابو العيش عيسى بن ادريس بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن حسن بن حسن سنة تسع وخمسين ومايتين وكان لها بابان شرقيان وثالث غربى ورابع جوفى وحوالها بسايط عريضة للزرع والضرع وجبل ممالوا فى قبليها وفيه حصن بناه الحسن بن ابى العيش حواليه بساتين ومياه تطرد وبينه وبين المدينة اربعة اميال ويتصل بالحصن فى اسفل الجبل شعارى اشبة لا تسلك وحول جراوة عدة قرى لقبايل من البربر مطغرة وبنى يفرن وودانة وبغمر الجبل وبنى راسين وبنى باداسن وبنى وريمش وغيرهم وكان لابى العيش ومن خلفه مدينة تلمسان ايضا وما والاها واسر ابن ابنه الحسن فى الحصن المذكور

البورى بن موسى بن ابى العافية سنة ثمان وثلاثين وثلاثماية وكان قد انتقل الى الحصن من جراوة باهله وماله وولده وفى ذلك يقول بكر بن حماد فى شعر طويل

سايل زواغة عن فعال سيوفه ورماحه فى العارض المتهلل
وديار نفزة كيف داس حريمها والخيل تمرغ بالوشيج الذبّل
تمت مغيلة بالسيوف مذلّة وسقى جراوة من نقيع الحنظل

ولجراوة مرسى تافرجنيت ومن جراوة الى برنانة وهى سوق عامرة مرحلة ومنها الى مدينة تلمسان مرحلة يسكنها زناتة وقد تقدم ذكرها الى مدينة تاجدة وهى مدينة كبيرة اهلة على نهرين احدها جنة ومنه شربهم وعليه ارحاؤهم ثم الى قصر ابن سنان الازداجى حوله بساتين كثيرة على نهر كدال الى مدينة يلل وهى كبيرة اهلة كثيرة الاشجار يسكنها هوارة وبها مسجد جامع الى مدينة الغزة يسكنها مكناسة وهى مدينة شريفة على نهر شلف كثيرة البساتين يسكنها هوارة وبها مسجد جامع ومنها الى مدينة تاهرت وقد مر ذكرها ثلاث مراحل الى حصن تامغيلت مرحلتان وهى مبنى بالطوب على نهر له ربض وسوق يسكنه بنو دمر من زناتة الى ايزمامة حصن له سوق وفيه فنادق تسكنه لواتة ونفزاوة الى مدينة هاز على نهر شتوى وهى خالية اجلى اهلها زيرى بن مناد الصنهاجى الى بورة نهر جار يسكن حوله بنو يرناتن وهم كانوا اصحاب هاز وبورة كثيرة العقارب وبها سويقة ومنها الى حصن موزية وبقرب هذا الحصن قصر من بنيان الاول بالصخر يعرف بقصر العطش حوله ماء ملح ومدينة عظيمة للاول ايضا خالية مبنية بالصخر يعرف بالجليل تسمى مدينة الرمانة تنفجر تحتها عيون ثرة طيبة تسيل الى المدينة المسيلة ومدينة للاول

ايضا خالية تسمى بالبربرية تاورست تعسيره الحمراء وهى مبنيـــة
بالصخر على نهر عذب ومن حصـــن موزية الى مدينة المسيلة وقد
تقدم ذكرها ومنها الى مدينة ءادنة وهى خالية اخربها على بن
حمدون المعروف بابن الاندلسى فى سنة اربع وعشرين وثلاثماية فى
رجوع ميسور الفتى من المغرب وبلد ءادنة بلد كثير الانهـــار
والعيون العذبة هناك عين الكتان عين عذبة فى مغـــارة عليها
اربع نخلات بينها وبين المسيلة مرحلة وبشرقيها وادى مقرة عليه
سبع قرى منها قرية يكسم وزيتها اطيب الزيوت ومن عين الكتان
وادنة نهر سهر ونهر النساء ونهر ابى طوبـــل وعين الغزال وبين
نهر سهر ونهر النساء ثلاثة اميال وسمى بذلك لان هوارة اغاروا
على نساء ادنة وذهبوا بهن فادركهم اهل ادنة فاستنقذوا النساء
هناك والغنيمة وقتلوا جماعة من هوارة ومن ادنة الى مدينة طبنة
مرحلتان وقد تقدم ذكر مدينة طبنة وحواليها بنو زنداج ومنها
الى نهر الغابة ثم تمشى ثلاث مراحل فى مســاكن العرب وهوارة
ومكناسة وكتيبة وورفلة يطل عليها وعلى ما والاهـــا جبل اوراس
وهو مسيرة سبعة ايام وفيه قلاع كثيرة يسكنهـا قبايـــل هوارة
ومكناسة وهم على راى الخوارج الاباضية ومن هذا الجبل قام ابو يزيد
مخلد بن كيداد النفزى الزناتى على ابى القـاسم بن عبيد الله وفى
هذا الجبل كان مستقر الكاهنة الى مدينة باغاية وهى حصن صخر
قديم حوله ربض كبير من ثلاث نواح وليس فيما يـــلى الناحية
الغربية ربض انمـا يتصل بها بساتين ونهر وفى ارباضهـــا فنادقها
وحماماتها واسواقها وجامعها داخل الحصن وهى فى بساط من الارض
عريض كثير المياه وجبل اوراس مطل عليه ويسكن فحص هذه
المدينة قبايل مزاتة وضريسة وكلهم اباضية وهم يظعنون فى زمن

الشتاء الى الرمال حيث لا مطر ولا ثلج خوفا على نتاج ابلهم والى مدينة باغاية لجا البربر والروم وبهـــا تحصنوا من عقبة بن نافع القرشى فدارت بينهم حروب عظيمة وكانت الدبرة فيها على اهل باغاية فهزمهم عقبة بن نافـع وقتلهم قتالا ذريعا ولجا فلهم الى الحصن وغنم منهم خيلا لم يروا فى مغازيهم اصلب ولا اسرع منها من نتاج خيل اوراس فرحل عنهم عقبة ولم يقم عليهم كراهة ان يشتغل بهم عن غيرهم واهلهـــا كلهم اليوم على راى الاباضيـة وكيل الطعام بباغاية بالويبة وهى اربعة وستون مدا بمد النبى صلى الله عليه وســلم وهو قفيز ونصف قفيز قرطبى وقفيز الزيت قروى وهو خمس ربع قرطبى ورطل اللحم عندهم عشرون رطلا فلفلية ومن باغاية الى مدينة مجانة وهى كبيرة عليها سور طوب وبها جامــع وحمامات ومعادن كثيرة منها معدن فضة للواتة يسمى الوريطسى وتعرف بمجانة المعادن ولها قلعة مبنية بالحجر فيها ثلاثماية وستـون جبا قد تقدم ذكرها وهذه المدينة للعرب وحولها لواتة وهذه القلعة تعرف بقلعة بشر بن ارطاة افتتحها عنوة بعثه اليهـا موسى ابن نصير وبعث خمس غنيمتها اليه وبين باغاية ومجـــانة فندق مسكيانة ووادى ملاّق وهو واد صعب كثير الدهس وعر المخايض وتسير من مجانة الى مرماجنة وهى مدينة لطيفة بها جامع وفندق وسوق وهى فى بساط مديد وهـذه طريق الصيف فاما طريـــق الشتاء فتاخذ من مسكيانة الى مدينة تبسّـــا لان وادى ملاق يتسع من سلوك تلك الطريق ومدينة تبسا مدينة كبيرة كثيرة الفواكه اولية مبنية بالصخر الجليل اخرب بعض سورها ابـو يزيد مخلد بن كيداد وهى على نهر كبير كثير الفواكه والاشجار لاسيما الجوز فان المثل يضرب بجلالته هناك وبكبره وطيبه وفيهـا افنياء

يدخلها الرفاق بدوابهم في زمن الثلج والشتاء يسع الفبو الواحد الفي دابة واكثر ومنها الى مدينة سبيبة ازلية مبنية بالصخر لها جامع وحمامات تطرد فيها المياه العذبة تطحن عليهـا الارحى وهي كثيرة البساتين وتجود في ارضها الزعفران وحواليها جبال كثيرة يسكنها من العرب قوم يعرفون ببني المغلس وبني الكسلان وحولهم قبايل من البربر كثيرة من هوارة ومرنيسة وفي الطريق الى سبيبة مرصد يعرف بعين التينة وعين يعرف بعين اربان مـاء يجري من فني للاول وبشرقي هذا العين جبل منيف محدد فيه شـف وفي ذلك الشف رجل مذبوح معروف هنالك قبل فتوح افريقية لم يحل منـه قليل ولا كثير ولا نال منـه سبع ولا دابة ويقال انه من الحواريين وقد تقدم ذكره ومن مدينة سبيبة الى قريـة الجهنيين كبيرة اهلة كثيرة الفنادق والحوانيت ولها اشجار وفواكه بينهـا وبين القيروان مرحلة وعليها جبل يسمى ممطور لان معوية بن حديج نزله فاصابه مطر فقال جبلنا ممطور ومنها الى منزل يقال له الهرى يجاوره مرصد ومنه الى كدية الشعير الى مدينة القيروان وقـال محمد بن يوسف من مدينة سبيبة الى سافية ممس قرية عـامرة اهلة بها مسجد وفندق ثـم قرية المستعين كبيرة اهـلة بها ماجلان وبير طيبة عمقها ثلاثون قامة ثـم قصر الخير فيه مـاء شريب ثـم قصر الزرادية ويعرف بالخطارة عامر اهل ثـم مدينة القيروان

۞ الطريق من مدينة فاس الى سجلماسة ۞

من مدينة فاس الى مدينة صفروى مرحلة وهي مدينة مسورة ذات

انهار واشجار ومنها الى الاصنام مرحلة ومنها الى موضع يفال له المزى مرحلة وهو بلد مكلانة ومنها الى تاسغمرت مرحلة وهى فرية على نهر ومنها الى موضع يفال له امغاك مرحلة كبيرة نحـــو الستين ميلا ومنها تدخل فى عمل سجلماسة بمن انهار وثمار ثلاث مراحـل الى مدينة سجلماسة ۞ وطريف اخر من سجلماسة الى مدينة باس ذكرها محمد بن يوسف ۞ من مدينة سجلماسة الى موضـع يفال له ارفود جبل موت لا عمارة حوله وبه حمة مرحلة ومنـه الى موضع يفال له الاحساء رمل يحبر بيه بينبعث المـــاء على ذراع ونحوه فى بلد زناتة مرحلة ومنه الى حصن بيرارة عامر اهل به سوق وجامع وله جدول ماء وهو بلد يحسن بيه الغنم ويفال ان اصول اغنامهم من فيس من ارض بارس وصوبها من اجـود الاصواب ويعمل منه بسجلماسة ثياب يبلغ الثوب منها ازيد من عشرين مثفالا مرحلة ومنه الى جبل درن المعروب بسنجنبوا وفد ذكرناه فى عدة مواضـع من هذا الكتاب وهو كثير الصنوبر والارز والبلوط مرحلة ومنـــه الى مطماطة امسكور بلد كبير على نهر ملوية هو منه فى فبليه وهو بلد كثير الزرع سفى كله من نهر ملوية كثير البفر والغنم وبها جامع وسوف مرحلة ومنه الى موضع يفال له سوق لميس بيه سوق ومسجد وحواليه مياه سايحة عامر اهل كـان لمدين بن موسى ابن ابى العابية مرحله ومنه الى مغيلة ابن تجامان فرار لفوم من الصبرية له ربض كبير وبنو تجامان على السنة والجماعة ساكنون فى ربوة تلاصف ربضهم مرحلة وتسير منهـا فى جبـــال شامخة الى مغيلة الفاط حصن كبير له جامع وسوق كثير الانهـــار والثمار معظم شجره التين ومنه يحمل زبيبا الى باس مرحلتـان الى لواتة مدين وفصبة لواتة منيعة لا ترام على نهر سبوا مرحلة الى باس ۞

۞ ذكر سجلماسة ۞

ومدينة سجلـــاسة بنيت سنـــة اربعين ومائة وبعمارتها خلت مدينة ترغه وبنهما يومان وبعمارتها خلت زيز ايضا ومدينة سجلماسة مدينة سهلية ارضها سبخة حولها ارباض كثيرة وفيها دور رفيعة ومبان سرية ولها بساتين كثيرة وسورها اسفله مبنى بالحجارة واعلاه بالطوب بناه اليسع ابو منصور بن ابى القـــاسم من ماله لم يشركه فى الانفاق عليه احد انفق فيه الف مدى طعام وله اثنا عشر بابا الثمانية منها حديد وكان بنا اليسع له سنه تسع وتسعين ومائة وارتحل اليها سنة مائتين وقسمها على القبائل على ما هى عليه اليوم وهم يلتزمون النقاب فاذا حسر احدهم عن وجهه لم يميزه احد من اهله وهى على نهرين عنصرهما من موضع يقال له اجلف تمده عيون كثيرة فاذا قرب من سجلماسة تشعب نهرين يسلك شرقيها وغربيها وجامعها متقن البنا بناه اليســـع فاجاد وحماماتها ردية البنا غير محكمة العمل وماؤها زعاق وكذلك جميع مـــا ينبط من الماء بسجلـــاسة وشرب زروعهم من النهر فى حياض كحياض البساتين وهى كثيرة النخـــل والاعناب وجميع الفواكه وزبيب عنبهـــا المعرش الذى لا تناله الشمس لايزبب الا فى الظل ويعرفونه بالظلى وما اصـــابته الشمس منه زبب فى الشمس ومدينة سجلماسة فى اول الصحراء لا يعرف فى غربيها ولا قبليها عمران وليس بسجلماسة ذباب ولا يتجذم من اهلها احـــد واذا دخلهـــا مجذم توقفت عنه علته واهل سجلماسة يسمنون الكلاب وياكلونها كما يصنع اهـــل مدينة قفصة وقسطيلية وياكلون الزرع اذا اخرج شطاه وهو عندهم مستطرف والمجذمون عندهم هم الكنّافون والبنّاون

عندهم يهود لا يتجاورهم هذه الصناعة ومن مدينة سجلماسة تدخل الى بلاد السودان الى غانة وبينها وبين مدينة غانة مسيرة شهرين في صحراء غير عامرة الا بقوم ظاعنين ولا نطمئن بهم منزل وهم بنو مسّوفة من صنهاجة ليس لهم مدينة ياوون اليها الا وادى درعة وبين سجلماسة ووادى درعة مسيرة خمسة ايام وملك بنو مدرار سجلماسة مائة وستين سنة وكان فيه ابو القاسم سمجوا بن واسول المكناسى ابو اليسع المذكور وجد مدرار لقى بافريقية عكرمة مولى ابن عباس وسمع منه وكان صاحب ماشية وكثيرا ما ينتجع موضع سجلماسة فاجتمع اليه قوم من الصفرية فلما بلغوا اربعين رجلا قدموا على انفسهم عيسى بن مزيد الاسود وولوه امرهم فشرعوا في بنيان سجلماسة وذلك سنة اربع ومائة وذكر اخرون ان مدرارا كان حدادا من ربضية الاندلس خرج عنه وقت الربض فنزل منزلا بقرب سجلماسة وموضع سجلماسة اذ ذاك براح تجتمع فيه البربر وقتا ما من السنة يتسوقون بقرب فكان مدرار يحضر سوقهم بما يعده من الات الحديد ثم ابتنى بها خيمة وسكنها وسكن البربر حوله فكان ذلك اصل عمارتها ثم تمدنت والاول اصح في عمارتها واما مدرار فلا شك فيه انه كان حدادا لان ولده القائمين بامر سجلماسة قد عيّروا بذلك فاول من وليها عيسى بن مزيد ثم انكر اصحابه الصفرية عليه اشياء فقال ابو الخطاب يوما لاصحابه في مجلس عيسى السودان كلهم سراق حتى هذا واشار الى عيسى فاخذوه وشدوه وثاقا الى شجرة في راس جبل وتركوه كذلك حتى قتله البعوض فسمي ذلك الجبل جبل عيسى الى اليوم ووليهم خمسة عشر عاما ثم ولوا ابا القاسم سمجوا بن مزلان بن نزول المكناسى فلم يزل واليا عليهم الى ان مات فجاءة في اخر صلاة من

صلاة العشاء سنة ثمان وستين فكانت ولايته ثلاث عشرة سنة
ووليها ابنه ابو الوزير الياس بن ابى القاسم الى ان قام عليه اخوه
ابو المنتصر اليسع فخلعه سنة اربع وسبعين ومائة فولى ابو المنتصر
وكان جبارا عنيدا فظا غليظا فظفر بمن عانده من البربر
وذللهم واخذ خمس معادن درعة واظهر الصفرية وبنا سور سجلماسة
على ما تقدم وتوفى سنة ثمان ومايتين وولى ابنه مدرار المنتصر بن
اليسع ومدرار لقب فلم يزل واليا الى ان اختلف الامر بين ولديه
ميمون المعروف بابن اروى بنت عبد الرحمن بن رستم وابنه ميمون
ايضا المعروف بابن تقيّة فتنازعا الامر بينهما وتقاتلا ثلاثة اعوام
ومال مدرار مع ابنه ميمون ابن الرستمية فاخرج ميمون بن
تقية من سجلماسة وولى ابن الرستمية وخلع اباه ثم قام عليه اهل
سجلماسة فخلعوه وارادوا تقديم ميمون بن تقية فابى ان يتآمر على
ابيه فاعادوا اباه مدرارا ثم انس اهل سجلماسة انه قد استدعى
ابنه ابن الرستمية فيمن اطاعه من درعة ليوليه فحاصروا مدرارا
وخلعوه وقدموا ابنه ابن تقية وهو المعروف بالامير فلم يزل عليهم
واليا الى ان مات سنة ثلاث وستين ومايتين وفى امرته مات
مدرار ابوه مخلوعا ووليها محمد بن ميمون الامير الى ان توفى فى
صفر سنة سبعين فوليها اليسع بن المنتصر بن ابى القاسم الى ان
فرعنها لما تغلب عليها ابو عبد الله الشيعى فى ذى الحجة سنة سبع
وتسعين ومايتين وولى عليها الشيعى ابراهيم بن غالب المزاتى فقتله
اهل سجلماسة ومن كان معه من رجال الشيعى بعد خمسين يوما
ووليها واسول وهو الفتح ابن الامير ميمون وذلك فى ربيع الاول سنة
ثمان وتسعين وتوفى فى رجب سنة ثلاث مائة فوليها اخوه احمد
الى ، حاصره فيها مصالة بن حبوس وافتتحها عنوة فقتله وذلك

ى المحرم سنة تسع وثلاث ماية وولى مصالة امرها المعتز بن محمد
ابن سارو بن مدرار الى ان توفى سنة احدى وعشرين وثلاث ماية
ووليها ابنه محمد بن المعتز الى ان توفى سنة احدى وثلاثين وثلاث
ماية ووليها ابنه ابو المنتصر سمغوا بن محمد وهو ابن ثلاث عشرة
سنة تدبر امره جدته فمكث كذلك شهرين وقام عليه ابن عمه
محمد بن الفتح بن الامير فحاربه وتغلب عليه واخرجه وتملك
سجلماسة وكان محمد بن الفتح سنيا على مذهب المالكية يحسن
السيرة ويظهر العدل الا انه تسمى بامير المومنين سنة اثنتين
واربعين وتلقب بالشاكر لله وضربت بذلك الدراهم والدنانير فمكث
كذلك الى ان قربت منه عساكر ابى تميم معد مع قايده جوهر
الكاتب فخرج عن سجلماسة باهله وماله وولده وخاصته وصار
بنا سجدالت حصن منيع على اثنى عشر ميلا من سجلماسة ودخل
جوهر سجلماسة وملكها وذلك سنة سبع واربعين وثلاث ماية وخرج
محمد من الحصن فى نفر يسير من اصحابه الى سجلماسة ليتعرف
الاخبار مستترا فعرفه قوم من مطغرة فى بعض الطريق فاخذوه
واتوا به الى جوهر فى رجب من ذلك العام ۞ ويزرع بارض سجلماسة
عاما ويحصد من تلك الزريعة ثلاثة اعوام لانه بلد مفرط الحر
شديد القيظ فاذا يبس زرعهم تناثر عند الحصاد وارضهم متشققة
فيرتفع ما تناثر منه فى تلك الشقوق فاذا كان فى العام الثانى
حرث بلا بذر وكذلك فى الثالث وقمحهم رفيع صينى يسع مد
النبى صلى الله عليه وسلم خمسة وسبعين الف حبة ومديهم
اثنا عشر قنقلا والقنقل ثمانى زلابات والزلابة ثمانية امداد بمد
النبى ۞ ومن الغرايب عندهم ان الذهب جزاف عدد بلا وزن
والكراث يتبايعونه وزنا لا عددا ۞ ومن سجلماسة الى مدينة القيروان

ست واربعون مرحلة وقال محمد بن يوسف ثلاث وخمسون مرحله
فمن سجلماسة الى قرار الامير لبنى مدرار الى حصن ابن مدرار
الى جبل اكسرايغ الى مدينة امسكور لمطماطة وهم على مداراة
لصاحب سجلماسة وقد تقدم ذكرها وبينها وبين سجلماسة خمس
مراحل ومنها الى مدينة جراوة ست مراحل فى عامر وغامر منها
موضع يعرف بالصدور منها مخرج الطريق الى مليلة وهو موضع
معروف قريب من العمارة على ماء طيب ثم من جراوة الى القيروان
كما تقدم ۞ واما الطريق من سجلماسة الى مدينة مليلة فمن
سجلماسة الى الصدور كما ذكرنا ثــم الى اجرسيف قرية عامرة على
نهر ملوية الى جرواو موضع كثير ما ينزله بالاخصـاص ويروى
(بياض مقداره ثلاث كلمات) سيعمرونه الى قلوع جاره وهي مدينة
عامرة فى جبـل على ماء ملح وقد تقدم ذكرها الى مدينة مليـلة
وذلك خمس عشرة مرحلة وقد تقدم ذكر مليلة ۞

۞ الطريق من سجلماسة الى اغمات ۞

من سجلماسة الى تيجماميين يومان وفى تيجمامين معدن للنحاس ومن
تيجماميين الى وادى درعة يومان وعلى وادى درعة شجر كثير وثمار
عظيم وهناك شجر التاكوت يشبه شجر الطرفاء وبهذا التاكوت يدبغ
الجلد الغدامسى وعلى وادى درعة سوق فى كل يوم من ايام الجمعة
فى مواضع مختلفة منه معلومة وربما كان عليه فى اليوم الواحد
سوقان وذلك لبعد مسافته وكثرة الناس عليه طول عمارته المتصلة
سبعة ايام ومن وادى درعة الى موضع يقال له ادامست ومنه الى
ورزازات يومان وهو بلد هسكورة وتمشى فى بلد هسكورة اربعة ايام

الى منازل فمسل دغال له هزرحه وهماك حمل دغال له حمل شريحه فيه اجناس من الياقوت المتناهى فى الجوده وحسن اللون يتكون على حجارة الجبل الا انه خشن نمرس كـــالسمن لا ناخده العمل ولا ىنفعل للسنادج وهو كثير موحود ثمه ومن هناك مسافه دوم الى اغمات ۞

۞ ذكر مدينة اغمات ۞

وهى مدينتان سهليتان احدها تسمى اغمات ادلان والاخرى اغمات وربكه وبها مسكن رئيسهم وبها ينزل التجار والغرباء واغمات ادلان لا دسكنها غريب وبينهما ثمانية اميال ولها نهر لطيف جريته من القبلة الى الجوف ماؤه زعاق يقال له تافيروت وحولها بساتين ونخل كثير وهو بلد واسع يسكنه قبايل مصمودة فى قصور واجشار وهو رافغ الاسعار كثير الخير يحمل اليه من مدينة نفيس تفـــاح حلىل يباع منه وقر بعـــل بقصيف درهم الا انه وخم الهواء الوان سكانها مصفرة. كثير العقارب القتالة التى لا يداوى سليمها وبها اسوان جامعة فسون اغمات وربكة يقوم يوم الاحد بضروب السلع واصناف المتاجر يذبح فيها اكثر من مايه ثور والف شاة وينفد فى ذلك اليوم جميع ذلك وكانت امرة اهل اغمات دولا بينهـــم يتولى الرجل سنة ثـــم يديلونه باخر منهم عن تراض واتفـاق كذلك ذكر محمد بن يوسف القيرواني وساحل اغمـات رباط قوز على البحر المحيط وفيه تنزل السفن من جميع البلاد ولا تخرج منه السفن صادرة الا فى زمان الامطار وتكدر الهواء واغبرار الجو فحينئذ تصدق لهم الرياح البرية فان تمادى ذلك لهم سلموا وان اضحى

الجو وصفا الهواء هبت لهم الرياح البحرية من الغرب فيهيج عليهم البحر وقذفهم في البرارى فقلّ ما يسلمون ۞

۞ والطريق من مدينة اغمات الى رباط فوز ۞

من وريكة الى نفيس خمسة وثلاثون ميلا ومن نفيس الى شفشاون ثلاثون ميلا ومنها الى مرامر ثلاثون ميلا ومنها الى رباط فوز خمسة وعشرون ميلا وذلك عشرون ومائة ميل ۞

۞ الطريق من مدينة اغمات الى مدينة فاس ۞

من اغمات الى موضع يعرف بابواب عبد الخالق بن سى وهى احقاف رمل مرحلة ومنها الى محص ابيض فسيح يعرف بمحص نزار ونزار بالبربرية الغربال شبه به لانه مدور وهو موضع مجدب مرحلة ومنه الى وادى وانسيفن واد كبير انبعاثه من موضع يقال له حدود بين بلد رواغة ومدغرة ويقع في البحر المحيط ويعبر على الزفان المنفوخة مرحلة ومنها الى محص تماللوا مدبد واسع مرحلة ومنه الى موضع يعرف ببنى وارث وهو كثير شجر العريمون وهى شجرة صغيرة شوكاء لها عساليج يسيل منها لبن مسهل مرحلة ومنه الى بلد زواغة مرحلة ومنهــا الى حصن داى وهو في وسط غيضة كبيرة من اجناس الشجر وله سوق حافلة يجتمــع فيها رفاق فاس والبصرة وسجلماسة بضروب الامتعة والمتاجر مرحلة ومنــه الى وادى درنة نهر كبير يقع في نهر وانسيفن المذكور مرحلة و منــه الى مغيلة وكان مقدمهم موسى بن جليد وكان شديد الايد يمســك

بحدبب الفرس الجواد ويهمزه فارسه فلا يكون له حراك مرحلة ومنه الى موضع يعرف باوزقور كان يسكنه قوم يعرفون ببني موسى من ربضية الاندلس فاستفسدوا الى من جاورهم واساووا عشرتهم فحاربوهم فغلب الاندلسيون وقتل منهم كثير وافترق باقيهم ببلاد اغمات وبقي منهم باوزقور نفر يسير بالامان فهم بها الى اليوم مرحلة ومنها الى سوق فنكور سوق عامرة حافلة يعمل بها برانس سود حصينة لا ينفذها الماء مرحلة ومنها الى ولهاصة مرحلة الى كزناية مرحلة الى مدينة ورزيغة مرحلة وهي اهلة كثيرة المياه والثمار والخير يباع فيها الف حبة اجاص بربع درهم قتل ميسور الفتى اهلها وسبى نساءها بعد زواله عن مدينة فاس سنة اربع وعشرين وثلاث ماية ومن ورزيغة الى مدينة اغيغي ومعنى اغيغي حجارة يابسة لانها مبنية بالحجر بغير طين وهي اليوم خالية وكان القوم الذين بنوها وسكنوها من ربضية الاندلس ايضا اجلاهم البربر عنها الى وليلى فهم بها بقية يسيرة مرحلة ومنها الى ماسينة بلد كبير ويحسن فيه القطن ويجود وفيه سوق لطيفة ومنها الى فاس مرحلة فذلك ثمانية عشر مرحلة ۞

۞ الطريق من مدينة درعة الى سجلماسة ۞

مدينة درعة يقال لها تيومتين وهي قاعدة درعة وقد تقدم ذكر وادي درعة وان منبعثه من جبل درن وهذه المدينة اهلة عامرة بها جامع واسواق جامعة ومتاجر رابحة وهي في شرب من الارض والنهر منها بقبليها وجريته من الشرق الى الغرب ويهبط لها من ربوة حمراء وكان صاحبها على بن احمد بن ادريس بن يحيى

ابن ادريس فمن مدينة تيومتنن الى ناتجانت مرحلة وهو موضع ينبت شجرا يسمونه تاتجانت وهو شجر يعظـــم ورقه هُدُبٌ كورق الطرفاء ومنه انية تجلماسة ودرعة وما والاها ومن هناك الى اماان تبسّن مرحلة وتفسيره المـــاء المـــلح ومنه الى نفودادن مرحلة وتفسيره بير الايايل وهناك معدن نحاس ومنها الى احروا مرحلة وهذا كله بلد سرطة قبيل من صنهـــاجة ومنـــه الى تودين ان وجلّيد تفسيره ابار الامير مرحلة ومنه الى امان يسيدان تفسيره ماء النعام ومنه الى اجر ان ووشان اى فدّان الذهب الى امرغاد مرحـــلة وامرغاد اخر بساتين تجلماسة ومنها الى تجلماسة ستة اميال ۞

۞ الطريق من مدينة تامدلت الى مدينة اودغست ۞

من تامَدلت الى بير الجمالين مرحلة وهذه البير عمقها اربع قامات من انباط عبد الرحمن بن حبيب ومنها الى شعب ضيق لا تسير فيـه الابل الا متتابعة مرحلة ثم تسير في جبل يسمى ازور ثلاثة ايام وهو محجر تحفى فيه الابل تنبت ام غيلان ومن خرج فيه عن الطريق اصاب زبر حديد مثقبة لا تذيبه النار وهذا الجبل كثير الثعابين طوله مسيرة عشرة ايام من اول طريق تجلماسة الى جانب البحر المحيط ويقال ان جبل ازور متصل بجبل نفوسة من جبـال اطرابلس واحسبه جبل درن المذكور قبل هذا الذى ينبعث من تحته وادى درعة فتسير في هذا الجبـل ثلاثة ايام الى ماء يسـمى تندفس ابار يحتفرها المسافرون فلا تلبث ان تنهـار وتندفن ثـم تسير منه ثلاثة ايام الى بير كبير يقال لها وين هَيْلون ثم تمشى ثلاثة ايام في ارض سواء صحراء ربما وجد فيها الماء على سفـا تحت

الرمل من بقية الامطار الى ماء نزر يقال له نازق وتفسيره البيت ثم نسير منه الى بير انبطها عبد الرحمن بن حبيب واحتفرها في حجر ادعج صلب طولها اربع قامات مرحلة ثم تسير منها الى بير يقال لها ويطونان وهى كبيرة لاتنزف ماؤها زعاق يسهل شاربه من الناس والانعام وهى من عمل عبد الرحمن بن حبيب ايضا طولها ثلاث قامات ثلاث مراحل ثم تمشى منه اربع مراحل الى موضع يقال له اوكازنت ارض زرقاء ينبط اهل الرفاق فيها الماء على ذراعين وثلاث ثم تمشى في مجابة جبال رمل معترضة لا ماء فيها وهو اصعب موضع بطريق اودغست اربعة ايام الى موضع يقال له وانزمين ابار قريبة الرشاء فيها العذب والشريب وعليه جبل طويل صعب كثير الوحوش وبهذا الماء يجتمع جميع طرق بلاد السودان وهو موضع مخوف تغير فيه لمطة وجزولة على الرفاق ويتخذونه مرصدا لهم لعلمهم بافضاء الطرق اليه وحاجة الناس الى الماء فيه ثم تمشى منه في بلد واران خمسة ايام مجابة في كثبان رمل الى بير عظيمة في حد بنى وارث قبيل من صنهاجة على تلك البير شجر يقال له السفنى وهو شجر الاهليلج الا انه لا يثمر ثم تسير منه يومين الى ماء يقال له اغرف ابار ملحة تردها اذواد لصنهاجة فتصلح عليه وتصح به وكل ماء ملح فموافق للابل ثم تسير منه ثلاثة ايام الى موضع يقال له افرتندى تفسيره مجتمع الماء فيه اصناف كثيرة من الشجر وفيه الحنا والحبق ثم تسير منه يوما في جبل يقال له ازجونان يقطع فيه السودان ثم تمشى يوما في رمال شجرة الى ماء يقال له بير واران ماؤها زعاق ثم تمشى في ارض لصنهاجة كثير الماء من الابار ثلاثة ايام ثم تسير منه الى شرف عال مشرف على اودغست فيه طير كثير يشبه الحمام واليمام الا انه

اصغر روسا واغلظ منافر وبه اشجار الصمغ الذى يجلب الى الاندلس يصمغ بها الديباج مرحلة ثم الى اودغست وهى مدينة كبيرة اهلة رملية يطل عليها جبل كبير موت لا ينبت شيئًا بها جامع ومساجد كثيرة اهلة فى جميعها المعلمون للقرءان وحولها بساتين النخل ويزدرع فيها القمح بالفوس ويسقى بالدلاء ياكله ملوكهم واهل اليسار منهم وساير اهلها ياكلون الذرة والمقاثى تجود عندهم وبها شجيرات تين يسيرة ودوالٍ يسيرة ايضا وبها جنانٌ حناء لها غلة كبيرة وبها ابار عذبة والغنم والبقر اكثر شىء عندهم يشترى بالمثقال الواحد عشرة اكبش واكثر وعسلها ايضاء كثير ياتيها من بلاد السودان وهم ارباب نعم جزلة واموال جليلة وسوقها عامرة الدهر كله لا يسمع الرجل فيها كلام جليسه لكثرة جمعه وضوضاء اهله وتبايعهم بالتبر وليست عندهم فضة وبها مبانٍ حسنة ومنازل رفيعة وهو بلد الوان اهلها مصفرة وامراضهم الحميات والطحال لا يكاد يخلو من احدى العلتين احد منهم ويجلب اليها القمح والتمر والزبيب من بلاد الاسلام على بعد وسعر القمح عندهم فى اكثر الاوقات القنطار بستة مثاقيل وكذلك التمر والزبيب وسكانها اهل افريقية وبرقجانه ونفوسة ولواتة وزناتة ونفزاوة هولاء اكثرهم وبها نبذ من ساير الامصار وبها سودانيات طباخات محسنات تباع الواحدة منهن بماية مثقال واكثر تحسن عمل الاطعمة الطيبة من الجوزينقات والقطايف واصناف الحلوات وغير ذلك وبها جوار حسان الوجوه بيض الالوان منتنيات القدود لا تنكسر لهن نهود لطاف الخصور فخام الارداف واسعات الاكتاف ضيقة الفروج المستمتع باحداهن كانه يتمتع ببكر ابدا قال محمد ابن يوسف اخبرنى ابو بكر احمد بن خلوف الفاسى شيخ من اهل

الجج والخير قال اخبرنى ابو رستم النفوسى وكان من تجار اودغست انه راى منهن امراة رافدة على جنبها وكذلك يفعلن فى اكثر حالهن اشفاقا من الجلوس على اردافهن وراى ولدها طفلا يلاعبها فيدخل تحت خصرها وينفذ من الجهة الاخرى من غير ان تتجافى له شيئا لعظم ردفها ولطف خصرها والحيوان الذى يحمل منه الدرق حوالى اودغست كثير جدا ويتجهز الى اودغست بالنحاس المصنوع وبثياب مصبغة بالحمراء والزرقة مجحة ويجلب منها العنبر المخلوف الجيد لقرب البحر المحيط منهم والذهب الابريز الخالص خيوطا مفتولة وذهب اودغست اجود من ذهب اهل الارض واصحه وكان صاحب اودغست فى عشر الخمسين وثلاث مائة تين يروتان ابن ويسنو بن نزار رجل من صنهاجة وكان قد دان له ازيد من عشرين ملكا من ملوك السودان كلهم يودى اليه الجزية وكان عمله مسيرة شهرين فى مثلها فى عمارة يعتد فى مائة الف نجيب واستمده تعرس ملك ماسين على ملك اوغام فامده بخمسين الف نجيب فدخلت بلد اوغام وعساكره غافلة فغنمت البلد واحرقته فلما نظر اوغام الى ما حل ببلده هان عليه الموت فرمى بدرقته وثنى رجله عن دابته وجلس عليها فقتلته اصحاب تين يروتان فلما عاين نساء اوغام اليه قتيلا ترديين فى الابار وقتلن انفسهن بضروب القتل اسفا عليه وانفة من ان يملكهن البيضان ۞

فاما الطريق من اودغست الى بلد سجلماسة فمن اودغست الى تامدلت على ما ذكرناه ايضا وذلك اربعون مرحلة ومن تامدلت الى سجلماسة على ما ذكرناه قبل هذا احدى عشرة مرحلة فذلك احدى وخمسون مرحلة وبين اودغست ومدينة القيروان مائة مرحلة وعشر مراحل ۞

۞ الطريق من مدينة اغمات الى السوس على ما ذكره مومن ابن يومر الهوارى ۞

من اغمات وريكة الى مدينة نفيس وهى تعرف بالبلد النفيس كثير الانهار والثمار ليس فى ذلك القطر موضع اطيب منه ولا اجمل نظرا وهى قديمة اولية غزاها عقبة بن نافع صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصر بها الروم ونصارى البربر وكانوا قد اجتمعوا بها لحصانتها وسعتها فلزمهم حتى فتحها وبنا بها مسجدا الى اليوم واصابوا فيها غنائم كثيرة وذلك سنة اثنتين وستين وهى اليوم اهلة عامرة بها جامع وحمام واسواق جامعة بينها وبين البحر مسيرة يوم يسكنها قبايل من البربر اكثرهم مصمودة وكان صاحبها حمزة بن جعفر الذى نسب اليه السوق من بنى عبيد الله بن ادريس بن ادريس مرحلة ومن مدينة نفيس الى مدينة افيفن مرحلة وهى مدينة فى بطحاء كثيرة المياه والفواكه ومنها الى مدينة تامرورت مرحلة وهى مدينة لطيفة طيبة ومنها ترقا فى جبل درن وهو جبل معترض فى الصحراء معمور بقبايل صنهاجة وغيرها وهو الجبل الذى يقال انه متصل الى المقطم بمصر ومن هذا الجبل ينزل الى بلاد السوس وذكر محمد بن يوسف فى كتابه ان تامرورت هو اول صعود هذا الجبل ويقال انه اكبر جبال الدنيا وهو يتصل بجبل اوراس وبجبل نفوسة المجاور لاطرابلس وفى الحديث ان بالمغرب جبلا يقال له درن يزف يوم القيامة باهله الى النار كما تزف العروس الى بعلها قال ويمشى فى الجبل الى موضع يقال له الملاحة وفى اعلى الجبل نهر عظيم كبير والجبل كثير الاشجار والشعراء والثمار ومن الجبل الى موضع يعرف باسطوانات

ابى على فى الجبل ايضا وعن يمين هذا الموضع على مسيرة يوم الموضع المعروف بتازرارت وفيه معدن فضة قديم غزير المادة ومن اسطوانات ابى على الى قبيل من البربر يعرفون ببنى ماغوس ولهم سوق عامرة وعن يمين بنى ماغوس قبيـــل يقال لهم دنو لماس وكلهم روافض ويعرفون بالبجليين نزل بين ظهرانهم رجل بجلى من اهـل نفطة قسطيلية قبل دخول ابى عبد الله الشيعى افريقية يقـال له محمد ابن ورستّد فدعاهم الى سب الصحابة رضوان الله عليهم واحل لهم المحرمات وزعم ان الربا بيع من البيوع وزادهم فى الاذان بعد اشهد ان محمدا رسول الله اشهد ان محمدا خير البشر ثم بعد حى على الفلاح حى على خير العمل آل محمد خير البرية وهم على مذهبه الى اليوم وان الامامة فى ولد الحسن لا فى ولد الحسين وكان صاحبهم ادريس ابو القاسم بن محمد بن جعفر بن عبد الله بن ادريس، فان صح الحديث الذى ذكرنا فان المراد به هولاء والله اعلم ويلى بنى لماس قبيل من البربر فى جبل وعر مجوس يعبدون كبشا لا يدخل احد منهم السوق الا مستترا ومن بنى ماغوس الى ايجلى قاعدة بلد السوس ومدينته مرحلة وهى مدينة على نهر كبير كثير الثمر وقصب السكر ومنها يحمل السكر الى جميع بلاد المغرب وعلى هذا الوادى اسوان كثيرة الى البحر المحيط ويقـال ان الذى جلب السانية الى مدينة السوس عبد الرحمن بن مروان اخو محـمد الجعدى وانه هو الذى عمر وادى السوس الى وادى ماسّت مسيرة يومين عليه قرى كثيرة وهو ينصب فى البحر المحيط وماست التى اضيف اليها الوادى رباط مقصود عندهم له موسم عظيم ومجمع جليل وهو ماوى للصالحين ومن وادى السوس الى مدينة نول ثلاث مراحل فى عمـارة جزولة ولمطة ومدينة نـول اخر مدن الاسلام وهى فى اول الصحراء ونهرها

يصب في البحر المحيط ومن مدينة نول الى وادي درعـــة ثلاث مراحل ومدينة الجلي مدينه كبيرة سهلية بغربيها نهـــر كبير جار من القبلة الى الجوب عليه بساتين كثيرة متصلة ولم يتخذوا عليه رحى فاذا سئلوا عن المانع لهم من ذلك قالوا كيف يسخر مثل هذا الماء العذب في ادارة الارحاء وهي كثيرة الفواكه والخير وربما دفع حمل التمر بها بدون كراء الدابة من البستان الى السوق وقصب السكر اكثر شيء بها يحمل الرجـــل بربع درهم منه ما يوده ثقله ويعمل بها السكر كثيرا وقنطار سكرها يبتاع بمثقالين واقل ويعمل بها النحاس المسبوك يتجهز به الى بلاد الشرك وبها مسجد جامع واسواق وفنادق والذي افتتحهـــا عقبة بن نافـــع واخرج منها سبيا لم ير مثله حسنا وتماما كانت تباع الجارية الواحدة منهن بالف دينار واكثر ودخلها عبد الرحمن بن حبيب بعد ذلك وبها معسكره الى اليوم وبالسوس زيت الهرجان وشجره يشبه شجر الكمثرى الا انه لا يفوت اليد واغصانه نابتة من اصله لا ساق له وهي شوكاء وثمرها يشبه الاجاص فيجمع ويترك حتى يذبل ثم يوضع على النار في مقـــل فخّار فيستخرج دهنه وطعمه يشبه طعم القمح المقلو وهو جيد محمود الغذا يسخن الكلى ويدر البول وبالسوس عسل يعرف عسل الامصار يلقي النبيذيون على الكيـــل الواحد منه خمسة عشر كيلا من ماء فحينئذ ياتي شرابا وان كان اقل من ذلك بقي حلوا ولا ينحل الا في الماء الشديد الحرارة ولونه لون الرماد وتبايع اهل سوقه بالحلي المكسورة انقار الفضة والدرهم المسكوك عندهم قليل ومثاقيلهم تعرف بالفزديرية لان رجلا تولى سكتهم يعرف بابي الحسن الفزديري وبالسوس توفي عبد الله بن ادريس وبها قبره وبقبلي الجلي وعلى ست مراحل منهـــا مدينة

تامدلت اسسها عبد الله بن ادريس بن ادريس وهي سهلية عليها سور طوب وحجر وبها حمامان وسوق عامرة ولهـا اربعة ابواب وهي على نهر عنصرة من جبل على عشرة اميال منها وما بينهما بساتين وعلى هذا النهر ارحاء كثيرة وارضها آكرم ارض واكثرها ربعا تعطي الحبة ماية وبها معدن فضـة غزير كثير المادة وبشرق تامدلت مدينة درعة بينهما مسيرة ستة ايام وتسير من تامدلت الى وادي درعة ثلاث مراحل ومنها الى اجروا ست مراحل كلها على مياه ومنها الى مرغاد مرحلة ومنها الى سجلماسة ستة اميـال واهل السوس واغمات اكثر الناس تكسبا واطلبهم لرزق يكلفون نساءهم وصبيانهم التحرف والتكسب وبارض اغمات والسوس شجـر الهرجان لا يكون الا هناك يستخرج من حبه زيت طيب كثير النفع وذلك انهم يجنون ثمره فتعلفه الماشية ثم يعمدون الى عجمه فيطحن ويطبخ ويستخرج منه دهنه فيكادون يستغنون به عن جميع الزيوت لكثرته عندهم ۞

۞ الطريق من وادي درعة الى الصحراء الى بلاد السودان ۞

من وادي درعة خمس مراحل الى وادي تارجا وهو اول الصحراء ثم تمشي في الصحراء فتجد الماء على اليومين والثلاثة حتى تصل الى راس المجابة الى البير المسماة تزامت بير معينة غير عذبة وهي الى الملوحة اقرب قد انبطت في حجر صلد من عمل الاول ويزعم قوم ان بني امية صنعتها وفي الشرق منها بير تسمى بير الجمالين وعلى مقربة منها ايضا بير تسمى نالى كلها غير عذب وبين هذه الابار الثلاثة وبلاد الاسلام مسيرة اربعة ايام ومنها الى جبـل يسمى

بالبربرية ءادرار ان ورّال نعسيرة جبل الحديد مثل دلك ومن هدا الجبل مجابة ماؤها على ثمانية ايام وهى المجابة الكبرى وذلك الماء فى بنى ينْتَسرْ من صنهاجة ومن بنى ينتسر الى قرية تسمى مُدّوكّنْ لصنهاجة ايضا ومنها الى مدينة غانة اربعة ايام ومن الابار المذكورة مجابة ماؤها على اربعة ايام الى ابزل وهو جبل فى الصحراء الى قبيل من صنهاجة يعرفون ببنى لمتونة ظواعن رحالة فى الصحراء مراحلهم فيه مسيرة شهرين فى شهرين ما بين بلاد السودان وبلاد الاسلام ويصيفون فى موضع يسمى امَطّلوس واخر يسمى بالمُوبَنّ وهم الى بلاد السودان اقرب بينهم وبين بلاد السودان نحو عشر مراحل وليس يعرفون حرثا ولا زرعا ولا خبزا انما اموالهم الانعام وعيشهم من اللحم واللبن يبعد عمر احدهم وما راى خبزا ولا اكله الا ان يمر بهم التجار من بلاد الاسلام او بلاد السودان فيطعمونهم الخبز ويتحفونهم بالدقيق وهم على السنة يجاهدون للسودان وكان رئيسهم محمد المعروف بتارشنى من اهل الفضل والدين والحج والجهاد وهلك بموضع يقال له قنقاره من بلاد السودان وهم قبيل من السودان بغربى مدينة بانكلابين وهى مدينة يسكنها جماعة من المسلمين يعرفون ببنى وارث من صنهاجة وخلف بنى لمتونة قبيلة من صنهاجة تسمى بنى جُدّالة وهم يجاورون البحر ليس بينهم وبينه احد وهذه القبايل هى التى قامت بعد الاربعين واربع ماية بدعوة الحق ورد المظالم وقطع جميع المغارم وهم على السنة متمسكون بمذهب مالك بن انس رضى الله عنه وكان الذى نهج ذلك فيهم ودعا الناس الى الرباط ودعوة الحق عبد الله بن ياسين وذلك ان رئيسهم كان يحيى بن ابراهيم من بنى جدالة وحج فى بعض السنين ولقى فى صدره عن حجه الفقيه ابا عمران الفاسى فساله ابو

عمران عن بلده وسيرته وما ينتحلونه من المذاهب فلم يجد عنده علما بشيء الا انه رءاه حريصا على التعلم صحيح النية والدين فقال له ما يمنعكم من تعلم الشرع على وجهه والامر بالمعروف والنهى عن المنكر قال له لا يصل البنا الا معلمون لا ورع لهم ولا علم بالسنة عندهم ورغب الى ابى عمران ان يرسل معه من تلاميذه من يثق بعلمه ودينه ليعلمهم ويفقههم احكام الشريعة عندهم فلم يجد ابو عمران فيمن رضيه من يجيبه الى السير معه فقال له ابو عمران انى قد عهدت بالقيروان بغيتكم واما بملكوس فقيها حاذقا ورعا قد لقينى وعرفت ذلك منه يقال له وجّاج بن زلوى فمر به فربما ظفرت عنده بغيتك فجعل ذلك يحيى بن ابراهيم اوكد همه فنزل به وعلمه ما جرى له مع ابى عمران فاختار له وجاج من اصحابه رجلا يقال له عبد الله بن ياسين واسم امه تين يزامارن من اهل جزولة من قرية تسمى تماماناوت فى طرف صحراء مدينة غانة فوصل به الى موضعه واجتمعوا للتعلم منه والانقياد له فى سبعين رجلا فغزوا بنى لمتونة وحاصروهم فى جبل لهم فهزموهم وجعلوا ما اخذوا من اموالهم مغنما فلم يزل امرهم يقوى واستعملوا على انفسهم يحيى بن عمر بن تلاجّاجين وعبد الله بن ياسين مقيم فيهم متورع عن اكل لحمانهم وشرب البانهم لما كانت اموالهم غير طيبة وانما كان عيشه من صيد البرية ثم امرهم ببناء مدينة سموها ارتننّى وامرهم ان لا يشف بناء بعضهم على بناء بعض فامتثلوا ذلك وهم يسمعون له ويطيعون الى ان نقموا عليه اشياء يطول ذكرها وكانهم وجدوا فى احكامه بعض التناقض فقام عليه فقيه منهم كان اسمه الجوهر بن سكّم مع رجلين من كبرائهم يقال لاحدهما ايار وللاخر اينتكّوا فعزلوه عن الراى والمشورة

وقبضوا منه بيت مالهم وطردوه وهدموا داره وانتهبوا ما كان فيها من اثاث وخرج فخرج مستخفيا من قبايل صنهاجة الى ان اتى وجاج بن زلوى فقيه ملكوس فعاتبهم وجاج على ما كان منهم الى عبد الله واعلمهم ان من خالف امر عبد الله فقد فارق الجماعة وان دمه هدر وامر عبد الله بالرجوع اليهم فرجع وقتل الذين قاموا عليه وقتل خلقا كثيرا ممن استوجب القتل عنده بحرابة او فسق واستولى على الصحراء كلها واجابه جميع تلك القبايل ودخلوا في دعوته والتزموا السنة به ثم نهضوا الى لمطة وسالوهم ثلث اموالهم ليطيب لهم بذلك الثلثان وهاكذا سن لهم عبد الله في الاموال المختلطة فاجابوهم الى ذلك ودخلوا معهم في دعوتهم واول ما اخذوا من البلاد المخالفة لهم درعة ولهم في قتالهم شدة وجلد ليس لغيرهم وهم يختارون الموت على الانهزام ولا يحفظ لهم فرار من زحف وهم يقاتلون على الخيل والنجب واكثر قتالهم رجالة صفوفا بايدي الصف الاول القنى الطوال للمداعسة والطعان وما يليه من الصفوف بايديهم المزاريق يحمل الرجل الواحد منها عدة يزرقها فلا يكاد يخطى ولا يشوى ولهم رجل قد قدموه امام الصف بيده الراية فهم يقفون ما وقفت منتصبة وان امالها الى الارض جلسوا جميعا فكانوا اثبت من الهضاب ومن فر امامهم لم يتبعوه وهم يقتلون الكلاب لا يستصحبون منها شيئا وكان يحيى بن عمر اشد الناس انقيادا لعبد الله ابن ياسين وامتثالا لما يامره به ولقد حدث جماعة ان عبد الله قال له في بعض تلك الحروب ايها الامير ان عليك حقا ادبا فقال له يحيى وما الذي اوجبه عليّ قال له عبد الله انى لا اخبرك به حتى اوديك واخذ حق الله منك فطاع له الامير بذلك وحكمه في

بشرته فضربه الفقيه ضربات بالسوط ثم قال له الامير لا يدخل القتال بنفسه لان حياته حياة عسكره وهلاكه هلاكهم ۞ وغزا المرابطون مدينة سجلماسة بعد ان خاطبوا اهلها ورئيسهم مسعود بن وانودين المغراوى فلم يجيبوهم الى ما ارادوا فغزوهم فى جيش عدته ثلاثون الف جمل سرج فقتلوا مسعودا واستولوا على مدينة سجلماسة وخلفوا فيها جماعة منهم ثم عادوا الى بلادهم فغدر اهل سجلماسة بالمرابطين فى المسجد وقتلوا منهم عددا كثيرا وذلك سنة ست واربعين واربع مائة وندم اهل سجلماسة على ما فعلوا وتواترت رسولهم على عبد الله بن ياسين ان يرجع اليهم بالعساكر ويذكرون ان زناتة زحفوا اليهم فندب عبد الله المرابطين الى غزو زناتة ثانية فابوا عليه وخالف عليه بنو جدالة وذهبوا الى ساحل البحر فامر عبد الله الامير يحيى ان يتحصن بجبل لمتونة وهو جبل منيع كثير الماء والكلاء فى طوله مسافة ستة ايام وفى عرضه مسافة يوم وهنالك حصن يسمى اركى حوله نحو عشرين الف نخلة كان بناه يانّوا بن عمر الحاج اخو يحيى بن عمر فصار يحيى فى جبل لمتونة وذهب عبد الله بن ياسين الى مدينة سجلماسة فى ماتى رجل من قبايل صنهاجة ونزل موضعا يقال له تامدولت حصن فيه مياه ونخل كثير ويشرف عليه جبل فيه معدن فضة معلوم هناك فاجتمع لعبد الله جيش كثيف من سرطة وترجة ولهم هنالك حصون وكان ابو بكر بن عمر بدرعة مع احمد بن ءامَدْجنوا فامره عبد الله مكان اخيه يحيى المتخلف بجبل لمتونة ثم رجعت جيوش بنى جدالة الى يحيى بن عمر فحاصروه فى الجبل وذلك سنة ثمان واربعين وهم فى نحو ثلاثين الفا وكان مع يحيى ايضا عدد كثير وكان معه لبى بن وارجاى

رئيس تكرور وكان النعاؤهم هناك بموضع يسمى تيفريلّى بين نالبيوين وحبل لمنونة فقتل يحيى بن عمر رحمه الله وقتل معه بشر كثير وهم يذكرون انهم يسمعون في هذا الموضع اصوات المؤذنين عند اوقات الصلوات وهم يتحامونه ولا يدخله احد ولا اخذ منه سيف ولا درقة ولا شيء من اسلحتهم ولا ثيابهم ولم تكن للمرابطين بعد كرة الى بني جدالة وفي سنة ست واربعين غزا عبد الله بن ياسين اودغست وهو بلد قائم العمارة مدينة كبيرة فيها اسواق ونخل كثير واشجار الحناء وهي في العظم كشجر الزيتون وهو كان منزل ملك السودان المسمى بغانة قبل ان تدخل العرب غانة وهي متقنة المباني حسنة المنازل ومسافة ما بينها وبين سجلماسة مسيرة شهرين وبينها وبين مدينة غانة خمسة عشر يوما وكان يسكن هذه المدينة زناتة مع العرب وكانوا متباغضين متدابرين وكانت لهم اموال عظيمة ورقيق كثير كان للرجل منهم الف خادم واكثر فاستباح المرابطون حريمها وجعلوا جميع ما اصابوا فيها فيئا وقتل فيها عبد الله بن ياسين رجلا من العرب المولدين من اهل القيروان معلوما بالورع والصلاح وتلاوة القرءان وحج البيت يسمى زبافرة وانما نقموا عليهم انهم كانوا تحت طاعة صاحب غانة وحكمه وغزا عبد الله بن ياسين اغمات سنة تسع واربعين واستولى على بلاد المصامدة سنة خمسين وقتل ببرغواطة سنة احدى وخمسين بموضع يسمى كريفلت وعلى قبره اليوم مشهد مقصود ورابطة معمورة ولم يقتل عبد الله بن ياسين حتى استولى على سجلماسة واعمالها والسوس كله واغمات ونول والصحراء ۞ ومما يذكرونه ولا يشكون فيه من براهين صلاح عبد الله انه ذهب في بعض اسفاره فعطشوا فشكوا ذلك اليه فقال عسى الله ان يجعل لنا من

امرنا فرجا ثم سار بهم ساعة وقال لهم احفروا بين يدى فحفروا فوجدوا الماء بادنى حفر فشربوا وسقوا واستقوا اعذب ماء واطيبه ويذكرون انه نزل منزلا نقرب منه بركة ماء وكانت كثيرة الضفادع لا يسكن نقيقها فادا وقف عبد الله على البركة لم يسمع لها ركز وهم الان لا تقدم طايفة منهم احدا للصلاة الا من صلى وراء عبد الله وان كان فى تلك الطايفة اقرا منه واورع ممن لم يصل وراءه وكان عبد الله نكاحا للنساء يتزوج فى الشهر عددا منهن ويطلقهن لا يسمع بامراة حسناء الا خطبها ولا يتجاوز بصدقاتهن اربعة مثاقيل ۞

۞ ما شذ فيه عبد الله بن ياسين من الاحكام ۞

من ذلك اخذه الثلث من الاموال المختلطة وزعم ان ذلك يطيب باقيها ويحله وقد تقدم ذكر هذا وان الرجل اذا دخل فى دعوتهم وتاب عن سالف ذنوبه قالوا له قد اذنبت ذنوبا كثيرة فى شبابك فيجب ان يقام عليك حدودها ونطهر من اثمها فيضرب حد الزانى مائة سوط وحد المفترى ثمانين سوطا وحد الشارب مثلها وربما زيد على ذلك وهكذا يفعلون بمن تغلبوا عليه وادخلوه فى رباطهم وان علموا انه قتل قتلوه سواء اتاهم تايبا طايعا او غلبوا عليه مجاهرا عاصيا لا ينفعه توبته ولا يغنى عنه رجعته ومن تخلف عن مشاهدة الصلاة مع الجماعة ضرب عشرين سوطا ومن فاتته ركعة ضرب خمس اسواط ويأخذون الناس بصلاة ظهر اربعا قبل صلاة الظهر فى الجماعة وكذلك فى سائر الصلوات ويقولون انك لابد قد فرطت فى سالف عمرك فاقض ذلك . اكثر عوامهم يصلون

بعشر وضوء اذا اعجلهم الامر جزءا من الضرب ومن رفع صوته في المسجد ضرب على قدر ما يراه الضارب له صلاحا وزكاة الفطر ياخذونها وينفقونها على انفسهم ومما يحفظ من جهل ابن ياسين ان رجلا اختصم اليه مع تاجر غريب عندهم فقال التاجر في بعض مراجعته لخصمه حاش لله ان يكون ذلك فامر عبد الله بضربه وقال لقد قال كلاما قطعا وقولا شنيعا يوجب عليه اشد الادب وكان بالحضرة رجل قيرواني فقال لعبد الله وما تنكر من مقالته والله عز وجل قد ذكر ذلك في كتابه فقال حكاية عن النسوة اللاتي قطعن ايديهن في قصة يوسف ۞ حاش لله ما هذا بَشَرًا انْ هذا الّا ملك كريم ۞ فرفع الضرب عن ذلك الرجل ۞ واميرِ المرابطين الى اليوم وذلك سنة ستين واربع مائة ابو بكر ابن عمر وامرهم منتشر غير ملتئم ومقامهم بالصحراء وجميع قبايل الصحراء يلتزمون النقاب وهو فوق اللثام حتى لا يبدو منه الا محاجر عينيه ولا يفارقون ذلك في حال من الاحوال ولا يميز رجل منهم وليه ولا حميمه الا اذا تنقب وكذلك في المعارك اذا قتل منهم القتيل وزال قناعه لم يعلم من هو حتى يعاد عليه القناع وصار ذلك لهم الزم من جلودهم وهم يسمون من خالف زيهم هذا من جميع الناس افواه الذبان بلغتهم وطعامهم صفيف اللحم الجاف مطحونا يصب عليه الشحم المذاب او السمن وشرابهم اللبن قد غنوا به عن الماء يبقى الرجل منهم الاشهر لا يشرب ماء وقوّتهم مع ذلك مكينة وابدانهم صحيحة ومن سير اهل الصحراء في المتهم بسرقة ان يعمدوا الى عود فيشق باثنين ويشد على صدغيه في مقدم راسه وموخره فلا يتمالك ان يقر ولا يصبر على ذلك الضغط لحظة لشدته ۞

ومما في هذه الصحراء من الحيوان اللمط وهو دابة دون البقر لها قرون دقاق حادة لذكرانها واناثها وكلما كبر منها الواحد طال قرنه حتى يكون اكثر من اربعة اشبار واجود الدرق واغلاها ثمنـــا ما صنع من جلود العواتق منها وهي التي طال قرناها لكبر سنها فمنع الفحل علوهـــا ودواب الفنك اكثر شيء في هذه الصحراء ومنها تحمل الى جميع البلاد وعندهم الكبـــاش الدمانية خلقها خلق الضان الا انها اجمل وشعرها شعر الماعز لا اصواف لهـــا وهي احسن الغنم خلقا والوانا ولا تنبت هذه الصحراء ولا بلاد اغمات ولا السوس شجر المرسين وهو شجر الاس وهو عندهم عزيز يجلب اليهم من ساير البلاد ومن غرايب تلك الصحراء معدن ملح على يومين من الحجانة الكبرى وبينه وبين سجلماسة مسيرة عشرين يوما يحفر عنه الارض كما يحفر عن ساير المعادن والجواهر ويوجد تحت قامتين او دونها من وجه الارض ويقطع كما يقطع الحجارة ويسمى هذا المعدن تاتنتال وعليه حصن مبنى حجارة الملح وكذلك بيوته ومشاريه وغرفه كل ذلك ملح ومن هذا المعدن يتجهز بالملح الى سجلماسة وغانة وساير السودان والعمل فيه متصل والتجار اليه متسايرون وله غلة عظيمة ومعدن للملح اخر عند بني جدالة بموضع يسمى اوليل على شاطئ البحر ومن هناك تحمله الرفاق ايضا الى ما جاوره ويقرب اوليل في البحر جزيرة تسمى ايوني وهي عند المد جزيرة لا يوصل اليها من البر وعند الجزر يوصل اليها على القدم ويوجد فيهـــا العنبر واكثر معاش اهلها من لحوم السلاحف فهي اكثر شيء عندهم في ذلك البحر وهي مفرطة العظم وربما دخل الرجل منهم في محار ظهورها فيتصيد فيها كالقارب وسنذكر من كبر السلاحف بطريف تيرقي ما هو اشنع من هذا ولهم اغنام ومواش وهذه الجزيرة مرسى

من المراسي والطريف منها الى نول على ساحل البحر لا يعارفه مسيرة شهرين يمشى العمر في ارض اكثرها صفى ينبو عنه الحديد وبكل دبه المعاول وانما يشربون في طريقهم من فلاب يحتفرونها عند جزر البحر فتبض ماء عذبا واذا مات لهم ميت في طريقهم هذا لم يمكنهم مواراته لصلابة الارض وامتناعها على الحفر فيسترونه بالحطام والحشيش او يقذفونه بالبحر ۞

۞ ذكر بلاد السودان ومدنها المشهورة واتصال بعضها ببعض والمسافات بينها وما فيها من الغرايب وسير اهلها ۞

المصاقبون لبلاد السودان بنو جدالة هم اخر الاسلام خطة واقرب بلاد السودان منهم صنغانة بين اخر بلادهم وبينها مسيرة ستة ايام ومدينة صنغانة مدينتان على ضفتي النيل وعمارتها متصلة الى البحر المحيط ويلى مدينة صنغانة ما بين الغرب والقبلة على النيل مدينة تكرور اهلها سودان وكانوا على ما ساير السودان عليه من المجوسية وعبادة الدكاكير والدكور عندهم الصنم حتى وليهم وارجابى بن رابيس فاسلم واقام عندهم شرايع الاسلام وحملهم عليها وحقق بصايرهم فيها وتوفي وارجابى سنة اثنتين وثلاثين واربع مائة فاهل تكرور اليوم مسلمون وتسير من مدينة تكرور الى مدينة سلى وهي مدينتان على شاطى النيل ايضا واهلها مسلمون اسلموا على يدى وارجابى رحمه الله وبين سلى ومدينة غانة مسيرة عشرين يوما في عمارة السودان القبيلة بعد القبيلة وملك سلى يحارب كفارهم وليس بينه وبين اولهم الا مسيرة يوم واحد وهم اهل مدينة قلنبو وهو واسع المملكة كثير العدد يكاد يقاوم

ملك عانة وتبايع اهل سلى بالذرة والملح وحلق النحاس وارز لطاب من قطن يسمونها الشكيات والبقر عندهم كثير وليس عندهم ضان ولا معز واكثر نبات ارضهم الابنوس ومنه يحتطبون وفيما يتصل ببلادهم من النيل فى موضع يقال له صحابى حيوان فى الماء يشبه الفيل فى عظم خلقته وفنطيسته وانيابه يسمونه فغوا وهو يرعى فى البرارى ويأوى الى النيل وهم يميزون موضعه من النيل بتحرك الماء على ظهره فيقصدونه بمزاريق حديد فصار فى اسافلها حلق قد شدت فيها الحبال المديدة فيرمونه بالعدد الكثير منها فيغوص ويضطرب فى اسفل النيل فاذا مات طفا على الماء فجذبوه واكلوا لحمه وصنعوا من جلده هذه الاسواط التى تسمى السريافات ومن هناك تحمل الى الآفاق ويلى هذا البلد مدينة قلنبوا بينهما مسيرة يوم على ما تقدم وهى على النيل واهلها مشركون ويتصل بقلنبو مدينة ترنقة وهو بلد عريض وعندهم تصنع الازر المسماة بالشكيات التى تقدم ذكرها وهى اربعة اشبار فى مثلها وليس فى بلدهم كثير قطن غير انهم لا تكاد تخلوا دار احدهم من شجرة قطن وحكم اهل هذه البلاد والمذكور قبلها من بلاد السودان ان تجبر صاحب السرقة فى بيع السارق او قتله وحكمهم فى الزانى ان يسلخ من جلده ومن ترنقة تصل العمارة بالسودان الى بلد زافقوا وهم صنف من السودان يعبدون حية كالثعبان العظيم ذا عرف وذنب راسه كراس البختى وهو فى مغارة بالمفازة وعلى فم المغارة عريش واحجار ومسكن قوم متعبدين معظمين لتلك الحية ويعلقون نفيس الثياب وحر المتاع على ذلك العريش ويضعون له جفان الطعام وعساس اللبن والشراب وهم اذا ارادوا اخراجه الى العريش تكلموا كلاما وصفروا صفيرا معلوما فيبرز اليهم واذا هلك

وال من ولادهم جمعوا كل من يصلح للمملكة وقربوهم اليهـــا وتكلموا بكلام بعلموبه فتتدنو الخدمـــة منهم فلا نزال تسمهم رجلا رجلا حتى ننكز احدهم بابعها فاذا نكزته ولت الى المغارة وتمنعها ذلك المنكور باجدّ ما يقدر عليه من السير ليجدب من ديبه اوعرده باشدّ ما يقدر عليه شعرات فيكون مدة ملكه لهم بعدد تلك الشعرات لكل شعرة سنـــة لا يحطبهم ذلك بزعمهم وبلدهم بلاد العروبين وهي مملكة للعروبين على حدتها ومن غريب ما فيها بركة تجتمع فيها الماء ينبت فيها نبـات اصوله ابلغ شيء في تقوية الباه والعون عليها والملك يمنع منها ولا يصل منها شيء الى غيره وله من النساء عدد عظيم فاذا اراد ان يطوف عليهن اندرهن قبل ذلك بيوم ثم استعمل ذلك الدواء فيطوف عليهن كلهن ولا يكاد ينكسر وقد اهدى اليه بعض ملوك المسلمين المجاورين له هدية نفيسه واستهداه شيئا من هذا النبــات فعاوضه على هديته وكتب اليه يقول ان المسلمين لا يحل لهم من النساء الا قليل وقد خفت عليك ان يعثب اليك الدواء ان لا تقدر على امساك نفسك فتاتي بما لا يحل لك في دينك ولاكنني قد بعثت اليك نباتا ياكله الرجل العقيم فيولد له وبلاد العروبين يبدل الملح فيها بالذهب ۞

۞ ذكر غانة وسير اهلها ۞

وغانة سمة لملوكهم واسم البلد اوكار واسم ملكهم اليوم وهي سنــة ستين واربع ماية تنكامنين وولي سنة خمس وخمسين وكــان اسم ملكهم قبله بسي وولدهم وهو ابن خمس وثمانين سنة وكان محمود السيرة محبا للعدل موثرا للمسلمين وعمي في اخر عمره فكــان يكتم

ذلك عن اهل مملكته ويريهم انه يبصر وتوضع بين يديه اشياء فيقول هذا حسن وهذا قبيح وكان وزراؤه يلبسون ذلك على الناس ويلغزون للملك بما يقول فلا تعهمه العامة وبسى هذا خال دمكامفين وتلك سيرتهم ومذهبهم ان الملك لا يكون الا في ابن اخت الملك لانه لا يشك فيه انه ابن اخته وهو يشك في ابنه ولا يقطع على صحة اتصاله به وتنكامنين هذا شديد الشوكة عظيم المملكة مهيب السلطان ومدينة غانة مدينتان سهليتان احدها المدينة التي يسكنها المسلمون وهي مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجدا احدها يجمعون فيه ولها الائمة والموذنون والراتبون وفيها فقهاء وحملة علم وحواليها ابار عذبة منها يشربون وعليها يعتملون الخضراوات ومدينة الملك على ستة اميال من هذه وتسمى بالغابة والمساكن بينهما متصلة ومبانيهم بالحجارة وخشب السنط وللملك قصر وقباب وقد احاط بذلك كله حائط كالسور وفي مدينة الملك مسجد يصلي فيه من يفد عليه من المسلمين على مقربة من مجلس حكم الملك وحول مدينة الملك قباب وغابات وشعراء يسكن فيها سحرتهم وهم الذين يقيمون دينهم وفيها دكاكيرهم وقبور ملوكهم ولتلك الغابات حرس ولا يمكن احد دخولها ولا معرفة ما فيها وهناك سجون الملك فاذا سجن فيها احد انقطع عن الناس خبره وتراجمة الملك من المسلمين وكذلك صاحب بيت ماله واكثر وزرائه ولا يلبس المخيط من اهل دين الملك غيره وغير ولي عهده وهو ابن اخته ويلبس سائر الناس ملاحف القطن والحرير والديباج على قدر احوالهم وهم اجمع يحلقون لحاهم ونساؤهم يحلقن رؤسهن وملكهم يتحلى بحلى النساء في العنق والذراعين ويجعل على راسه الطراطير المذهبة عليها عمائم القطن الرفيعة وهو يجلس للناس

والمظالم فى قبة ويكون حوالى القبة عشرة افراس بثياب مذهبة ووراء الملك عشرة من الغلمان يحملون الحجف والسيوف المحلاة بالذهب وعن يمينه اولاد ملوك بلده قد ضفروا رؤسهم على الذهب وعليهم الثياب الرفيعة ووالى المدينة بين يدى الملك جالس فى الارض وحواليه الوزراء جلوسا على الارض وعلى باب القبة كلاب منسوبة لا تكاد تفارق موضع الملك تحرسه فى اعناقها سواجير الذهب والفضة يكون فى الساجور عدد رمانات ذهب وفضة وهم ينذرون بجلوسه بطبل يسمونه دبا وهو خشبة طويلة منقورة فيجتمع الناس فاذا دنا اهل دينه منه جثوا على ركبهم ونثروا التراب على رؤسهم فتلك تحيتهم له واما المسلمون فانما سلامهم عليه تصفيقا باليدين ودياناتهم المجوسية وعبادة الدكاكير واذا مات ملكهم عقدوا له قبة عظيمة من خشب الساج ووضعوها فى موضع قبره ثم اتوا به على سرير قليل العرش والوطا فادخلوه فى تلك القبة ووضعوا معه حليته وسلاحه وانيته التى كان ياكل فيها ويشرب وادخلوا فيها الاطعمة والاشربة وادخلوا معه رجالا ممن كان يخدم طعامه وشرابه واغلقوا عليهم باب القبة وجعلوا فوق القبة الحصر والامتعة ثم اجتمع الناس فردموا فوقها بالتراب حتى تاتى كالجبل الضخم ثم يخندقون حولها حتى لا يوصل الى ذلك الكوم الا من موضع واحد وهم يذبحون لموتاهم الذبائح ويقربون لهم الخمور ولملكهم على حمار الملح دينار ذهب فى ادخاله البلد وديناران فى اخراجه وله على حمل النحاس خمسة مثاقيل وعلى حمل المتاع عشرة مثاقيل وافضل الذهب فى بلاده ما كان بمدينة غيارو وبينها وبين مدينة الملك مسيرة ثمانية عشر يوما فى بلاد معمورة بقبائل السودان مساكن متصلة واذا وجد فى جميع معادن بلاده

الندرة من الذهب استصفاهـا الملك وانما يترك منها للناس هذا التبر الدقيق ولولا ذلك لكثر الذهب بايدى الناس حتى يهون والندرة تكون من اوقية الى رطل ويذكر ان عنده منه ندرة كالحجر الضخم وبين مدينة غياروا والنيل اثنا عشر ميلا وفيها من المسلمين كثير وغانة بلدة مستوبية غير اهلة لا يكاد يسلم الداخل فيها من المرض عند امتلاء زرعهم ويقع الموتان في غربائها عند استحصاد الزرع ۞ فاما الطريق من غانة الى غياروا فالى مدينة سامَقَنْدَى اربعة ايام واهل سامقندى ارمى السودان بالنشاب ومنها الى بلد يسمى طافة يومان واكثر شجر طافة شجر يسمونه تادموت وهو شجر الاراك الا ان له ثمرا كالبطيخ داخله شيء يشبه القند تشوب حلاوته حمضة نافع للمحمومين ومن هناك الى خليج من النيل يقال له زوغوا مسيرة يوم تخوضه الجمال ولا يعبره الناس الا في القوارب ومنه الى بلد يقال له غرنتل وهو بلد كبير ومملكة جليلة لا يسكنه مسلمون ولاكنهم يكرمونهم ويخرجون لهم عن الطريق اذا دخلوا بلادهم وتلد عندهم الفيلة والزرافات ومن غرنتل الى غياروا وملك غانة اذا احتفل ينتهى جيشه ماتى الف منهم رماة ازيد من اربعين الفا وخيل غانة قصار جدا وعندهم الابنوس الجيد المجزّع وهم يزدرعون مرتين في العام مرة على ثرى النيل اذا خرج عندهم واخرى على ثرى وبغربي غياروا على النيل مدينة يرسنى يسكنها المسلمون وما حولها مشركون و في يرسنى معز قصار فاذا وضعت الماعزة ذبحوا الذكور وابقوا الانثى وعندهم شجر تحتك بها هذه المعزى فتحمل من ذلك العود وتلد من غير ذكر وهذا معلوم عندهم غير منكر وحدث به جماعة من المسلمين الثقات ومن يرسنى يجلب السودان العجم المعروفون بنو نغمارته

وثم تجار التبر الى البلاد وما وازاهـا من ضفة النيل الشانية مملكة دبمرة ازيد من مسيرة ثمـانية ايام سمة ملكهم دو وهم يقاتلون بالنشاب ووراءه بلد اسمه ملل وملكهم يعرف بالمسلمانى وانما سمى بذلك لان بلاده اجدبت عاما بعد عام فاستسقوا بقرابينهم من البقر حتى كادوا يفنونها ولا يزدادون الا قحطا وشقاء وكان عنده ضيف من المسلمين يقرا القرءان ويعلم السنة فشكا اليه الملك ما دهمهم من ذلك فقال له ايها الملك لو امنت بالله تعـالى واقررت بوحدانيته وبمحمد عليه الصلاة والسلام واقررت برسالته واعتقدت شرايع الاسلام كلها لرجوت لك الفرج مما انت فيه وحل بك وان يعم الرحمـة اهل بلدك وان يحسدك على ذلك من عاداك وناواك فلم يزل به حتى اسلم واخلص نيته واقراه من كتاب الله ما تيسر عليه وعلمه من الفرايض والسنن ما لا يسع جهله ثم استانا به الى ليلة جمعة فامره فتطهر فيها طهرا سابغا والبسه المسلم ثوب قطن كان عنده وبرزا الى ربوة من الارض فقام المسلم يصلى والملك عن يمينه يأتم بـه فصليا من الليل ما شاء الله والمسلم يدعو والملك يؤمّن فما انفجر الصبـاح الا والله قد اعمهم بالسقى فامر الملك بكسر الدكاكير واخراج السحرة من بلاده وصح اسلامه واسلام عقبه وخاصته واهـل مملكته مشركون فوسموا ملوكهم مذ ذاك بالمسلمانى ومن اعمال غانة المتضافة اليها بلد يسمى سامه ويعرف اهله بالبكم بينه وبين غانة مسيرة اربعة ايام وهم يمشون عراة الا ان المراة تستر فرجها بسيور تضفرها وهن يوفرن شعر العانة ويحلقن شعر الراس وحدث ابو عبـد الله المكى انه راى منهن امراة وقفت على رجل من العرب طويل اللحية فتكلمت بكلام لم يفهمه فسال الترجمان عن مقالتها فذكر انها تمنت ان يكون شعر

لحينه في عانتها دامتلى العرب غضبا واوسعها سبا والبكم لهم حـــذق بالرماية وهم يرمون بالسهام المسمومة وبورثون الابن الاكبر مال الاب كله وبغربي مدينة غانة مدينة انبارة وملكها اسمه نارم وهو معاند لملك غانة وعلى تسع مراحل من مدينة انبارة مدينة كوغة وبينها وبين غانة مسيرة خمس عشرة مرحلة واهلها مسلمون وحوالبهـا المشركون واكثر ما يتجهز اليها بالملح والودع والنحاس والفربيون والـودع والفربيون انفق شيء عنـدهم وحواليهـا من معـادن التبر كثير وهي اكثر بلاد السودان ذهبا وهناك مدينة الوكن وملكها يسمى قمر بن يسى ويقال انه مسلم يخفي اسلامه وببلاد غانة قوم يسمـون بالهُنَيّهين من ذرية الجيش الذى كـان بنو امية انفذوه الى غانة في صدر الاسلام وهم على دين اهـــل غـانة الا انهم لا ينكحون في السودان ولا ينكحونهم فهـــم بيض الالوان حســـان الوجوه وبسلى ايضـــا قوم منهم يعرفون بالفامان وببلاد غانة حكم الماء وذلك انه من ادعى عليه بمال او دم او غير ذلك عمد امينهم الى عود فيه حرافة ومرارة ورقة وصب عليه من الماء قدرا ما وسقاه المدعا عليه فان رماه من جوفه علم انه برى وهنّى بذلك وان لم يرمه وبقى في جوفه صحت الدعوى عليه ومن الغرائب ببلاد السودان شجرة طويلة الساق دقيقته يسمى تورزى تنبت في الرمال ولها ثمر كبير منتفخ داخله صوف ابيض تصنع منه الثياب والاكسية ولا توثر النار فيما صنع من ذلك الصوف من الثياب لو اوقدت عليه الدهر واخبر الفقيه عبد الملك ان اهل اللامس بلـــد هناك ليس لهم لبس الا من هذا الصنف ومن هذا الجنس حجارة بوادى درعة تسمى بالبربرية تامطْغست تحـــك بالبد فتلين الى ان تأتي في قوام الكتان فيصنع منها الامرّة والقيود للدواب

فلا توثر النار في شيء من ذلك وقد صنع منها كساء لبعض ملوك زناتة بسجلماسة واخبرني الثقة انه شهد تاجرا قد جلب منه منديلا الى فردلند صاحب الجلالقة وذكر انه منديل لبعض الحواريين وان النار لا توثر فيه واراه ذلك عيانا فعظم موقعه من فردلند وبذل له فيه غناه وبعث به فردلند الى صاحب قسطنطينية ليوضع في كنيستهم العظمى فعند ذلك بعث اليه صاحب قسطنطينية التاج وامره بالتتويج وقد حدث جماعة انهم راوا منه هداب منديل عند ابي الفضل البغدادي تحمى عليه النار فيزداد بياضا ويكون له النار غسلا وهو كثوب الكتان ۞

واذا سرت من غانة تريد طلوع الشمس تسير في طريق معمورة بالسودان الى موضع يقال له اوغام يحرثون الذرة وهو عيشهم ثم تسير من هناك اربعة ايام الى موضع يقال له راس الماء وهناك تلقى النيل خارجا من بلاد السودان وعليه قبايل من البربر مسلمون يسمون مداسة وبازائهم من الشط الثاني مشركوا السودان ثم تسير من هناك ستة مراحل على النيل الى مدينة تيرقّى ويجتمع في سوق هذه المدينة اهل غانة واهل تادمكة وتعظم السلاحف بتيرقى وتتخذ في الارض اسرابا يمشي فيها الانسان ولا يطيقون استخراج واحدة منها الا بعد شد الحبال فيها واجتماع العدد الكثير عليها واخبرني الفقيه ابو محمد عبد الملك بن نخاس الغرفة ان قوما عرسوا في طريق تيرقى والارضة هناك تاتي على ما تجده وتفسد ما وصلت اليه وتخرج من التراب آكواما كالروابي ومن الغرايب ان ذلك التراب ثَرّ ندٍ والماء هناك غير موجود على ابعد حفر فلا توضع الامتعة الا على الحجارة المجموعة او الخشب الموضوعة فارتاد كل واحد من القوم لمتاعه حرزا من الارضة وبدر احدهم فيما ظن الى

صخرة كبيرة فانزل عليها وقر بعيرين كانا معه فلما هب من نومه
سحرا لم يجد الصخرة ولا ما كان عليها فارتاع ونادى بالويل والحرب
فاجتمعوا اليه يسألونه عن خطبه فاخبرهم فقالوا لو طرقك لصوص
لاخذوا المتاع وبقيت الصخرة فنظروا فاذا اثر سلحفاة ذاهبة من
الموضع فاقتفوه اميالا حتى ادركوها وحملا المتاع على ظهرها وهي التى
حسبها صخرة ۞ ومن تيرقى يرجع النيل نحو الجنوب في بلاد السودان
فتسير عليه نحو ثلاث مراحل فتدخل بلاد سغمارة وهم قبيل من
البربر في عمل تادمكة ويحاذيهم من الشط الثانى مدينة كوكوا
للسودان وسياتى ذكرها وما والاها ان شاء الله ۞
فاما الجادة من غانة الى تادمكة وبينهما مسيرة خمسين يوما فمن
غانه الى سفنقو ثلاث مراحل وهى على النيل وهى اخر عمل غانة ثم
تصحب النيل الى بوغرات فيه قبيل من صنهاجة يعرفون بمداسة
واخبر الفقيه ابو محمد عبد الملك انه راى في بوغرات طايرا يشبه
الخطاف يفهم من صوته كل سامع افهاما لا يشوبه لبس قُتل الحسين
قتل الحسين يكرر مرارا ثم يقول بكربلا مرة واحدة قال عبد الملك
سمعته انا ومن حضر من المسلمين معى ومن بوغرات الى تيرقى ثم تسير
منها في الصحراء الى تادمكة وتادمكة اشبه بلاد الدنيا بمكة ومعنى
تادمكة هيئة مكة وهى مدينة كبيرة بين جبال وشعاب وهى احسن
بناء من مدينة غانة ومدينة كوكوا واهل تادمكة بربر مسلمون وهم
يتنقبون كما يتنقب بربر الصحراء وعيشهم من اللحم واللبن ومن حب
تنبته الارض من غير اعتمال ويجلب اليهم الذرة وساير الحبوب من
بلاد السودان ويلبسون الثياب المصبغة بالحمرة من القطن والنولى
وغير ذلك وملكهم يلبس عمامة حمراء وقميصا اصفر وسراويل زرقاء
ودنانيرهم تسمى الصلع لانها ذهب محض غير مختومة ونساؤهم

فايقات الجمال لا تعدل بهن اهل بلد حسنا والزنا عندهم مباح وهن يبادرن التجار ابنهن تحمله الى منزلها ۞ فان اردت من تادمكة الى القيروان فانك تسير في الصحراء خمسين يوما الى وارجلان وهي سبعة حصون للبرابر اكبرها يسمى اغرم ان يكامن اى حصن العهود ومنها الى مدينة قسطيلية اربعة عشر يوما ومن قسطيلية الى القيروان سبعة ايام على ما تقدم وبين وارجلان وقلعة ابي طويل مسيرة ثلاثة عشر يوما ومن تادمكت الى غدامس اربعون مرحلة في الصحراء والماء فيها على مسيرة اليومين والثلاثة احساء وغدامس مدينة لطيفة كثيرة النخل والمياه واهلها بربر مسلمون وبغدامس دواميس كانت سجنا للكاهنة التي كانت بافريقية واكثر طعام اهل غدامس التمر والكماة تعظم عندهم حتى تتخذ فيها الارانب حجرة وبين غدامس وجبل نفوسة سبعة ايام في الصحراء وبين نفوسة ومدينة اطرابلس ثلاثة ايام على ما تقدم ۞

وطريق اخر من تادمكة الى غدامس ۞ تسير من تادمكة ستة ايام في عمارة سغمارة ثم في مجابة اربعة ايام الى الماء ثم في مجابة ثانية اربعة ايام ايضا وفي هذه المجابة الثانية معدن لحجارة تسمى تاسي النسمت وهي حجارة تشبه العقيق وربما كان في الحجر الواحد الوان من الحمرة والصفرة والبياض وربما وجد فيها في النادر الحجر الجليل الكبير فاذا وصل به الى اهل غانة غالوا فيه وبذلوا فيه الرغايب وهو اجل عندهم من كل علق يقتنى وهو حجر يجلى ويثقب بحجر اخر يسمى تنتواس كما يجلى اليوقوت ويثقب بالسنباذج لا يعمل فيه الحديد شيئا الا بالتنتواس ولا يوصل اليه ولا يعلم موضعه حتى ينحر الابل على معدنه وينضح دمه فحينئذ يظهر ويلقط وفي بونو معدن للناس انسمت ايضا ومعدن هذه المجابة

افضل وتسير من هذه المجابة الى مجابة ثالثة وفي هذه المجابة معدن الشب ومنها يحمل الى البلاد وتسير من هذه المجابة الى مجابة رابعة احد عشر يوما في رمال جرد لا ماء فيها ولا نبت يتزود الركبان الماء والحطب فيها كما تتزود الطعام والعلف وعلى يسار الساير في هذه المجابة جبل الرمل الاحمر الذى يتصل بسجلماسة وهو الذى يكون فيه الفنك والثعلب الدهي وهو اخر حد افريقية واذا سار الساير من بلاد كوكو على شاطى البحر غربا انتهى الى مملكة يقال لها الدمدم ياكلون من وقع اليهم ولهم ملك كبير وملوك تحت يده وفي بلدهم قلعة عظيمة عليها صنم في صورة امراة يتالهون له ويحجونه وبين تادمكة ومدينة كوكوا تسع مراحل والعرب تسمى اهلها البزركانيين وهي مدينتان مدينة الملك ومدينة المسلمين وملكهم يسمى قندا وزيهم كزى السودان من الملاحف وثياب الجلود وغير ذلك بقدر جدة الانسان منهم وهم يعبدون الدكاكير كما تفعل السودان ويضرب بجلوس الملك الطبل ويرقص النساء السودانيات بالشعور الجثلة المسترسلة ولا يتصرف احد منهم في مدينته حتى يفرغ من طعامه ويقذف بافيه في النيل فيجلبون عند ذلك ويصيحون فيعلم الناس انه قد فرغ من طعامه واذا ولى منهم ملك دفع اليه خاتم وسيف ومصحف يزعمون ان امير المومنين بعث بذلك اليهم وملكهم مسلم لا يملكون غير المسلمين ويزعمون انهم انما سموا كوكوا لان الذى يفهم من نغمة طبلهم ذاك وكذلك ءازور وهير وزويلة يفهم من نغمة طبلهم زويلة زويلة وتجارة اهل بلد كوكوا بالملح وهو نقدهم والملح يحمل من بلاد البربر يقال لها توتك من معدن تحت الارض الى تادمكة ومن تادمكة الى كوكوا وبين توتك وتادمكة ست مراحل

۞ ذكر نبذ من سير البربر وسياساتهم سوى ما وقع منها مفترقا في موضعه من هذا الكتاب ۞

ذكروا ان رجلا شيخا خرج مع امراته وكانت شابة يريد قلعة جاد فصحبه في بعض الطريق فتى شاب كلف بتلك المراة وكلفت به فتواطيا على ان يدعي كل واحد منهما زوجية الاخر وسقطا الشيخ فلما وصلا الى القلعة شكى ذلك الشيخ الى جاد ما دهه من امرها ووصف له حاله معها فوقف جاد الشاب والمراة فتفارا على نكاحهما وانكرا ما يدعيه الشيخ فجعل جاد يباحث الشيخ هل صحبهم في طريقهم احد او هل له شبهة فقال ما صحبنا في طريقنا غير هذا الكلب فاندلى لكلب كان معه فامر الشيخ بربط الكلب الى ثمرة او وتد كان هناك ثم امر المراة بحله فذهبت اليه فارسلته ثم امرها فربطته والكلب لا ينكر شيئا من ذلك ثم قال للشاب قم فارسل الكلب ثم اربطه فلما هم بذلك نبحه الكلب وانكره فقال للمراة هذا زوجك الشيخ وهذا الفاسق يخلفك عليه. وامر بضرب عنق الفتى ۞ وذكر ان رجلا كان له امراتان وكان كلفا باخرتهما نكاحا فقالت له الاولى ان هذه التي تكلف بها تخونك وانها تتجر مع غلام لها فاستعمل الركوب والسقوط عن الدابة وسيق الى منزل امراته الاخرة محمولا لا يقلب عضوا بزعمه فاجتمع اهله ونساؤه اليه يمرضونه ويلطفونه الى ان مضى هزيع من الليل فعزم عليهم وصرفهم الى منازلهم وبقى مع امراته واستعمل النوم والتثاقل حتى كانه مغمى عليه فراى امراته قد خرجت عنه الى البيت الذى كان فيه المتهم بها فجمع حسه وصار عند باب البيت فسمعه يقول لها ابطات علي وتركتني بلا

غشاء فقالت حدسني عمك شغلي بهذا الرجل فلا تلمني فانت للنفس وهو للولد فصمت على ما سمع وتغافل عنه ورجع الى مضجعه فما كان الا ضحى الغد حتى تنادى في ذلك الموضع واصباحاه فثاروا الى العدو وراى هذا الساقط الحامل على نفسه والانفة من تخلفه فلبس سلاحه وركب فرسه وحمل ذلك المتهم فيمن حمل من اتباعه معهم السلاح فلما برزوا الى عدوهم امر ذلك المتهم بالتقدم بين يديه ثم نحد الى الحيدة سبيلا فلما خالط ده العدو كلل عنه مدبرا فكان اول صريع ولم يعلم احد شيأ من امرها ثم انصرف الى منزله تحمدت امراته الله على سلامته فقال لها لاكن الذي للنفس لم يسنم فاني انما انا للولد فعلمت انه قد سمع مقالتها فقالت ارسلني الى اهلي فقال اذهبي فلما ابطات عليه اتى اهلها فقال ما بال امراتي لا تعود الى منزلها فقالوا له انا لا نقدر على صرفها فقال وانا لا اقدر على فراقها فلج بهم الامر حتى افتدت منه بجميع ما حمل اليها في صداقها وما تكلف لها عند املاكها فلما قبض ذلك ووصل اليه قال لهم اما اذ وصلت الى حقي فان الشان كيت وكيت واخبرهم بالقصة ففررها اهلها واستبانوا الزينة فيها فقتلوها فبلغ بسياسته الى التشفي منهما بغير يده وتخلص من عشيرة امراته واسترجع جميع حقه ۞ وشبيه بهذا عن بعض كبرائهم ايضا انه اتهم امراته واخبر انه اذا غاب خالفه رجل من اهل نا حيته الى امراته فاستعمل سفرا بعيدا وذكر ذلك لقبيله فتجهز معه نفر لذلك فلما صاروا وانتهوا الى ادنى مرحلة اعتذر لهم بعذر يضطره الى الانصراف وعزم عليهم في النفوذ لطيتهم فكر راجعا حتى اتى بعض الشعاب مساء فاخفى فيه فرسه وسلاحه واتى اهله متسترا متجسسا فتسلق جدارا او مكانا

؛طلع ممه على ممرله امفا ان نعلم به منه مراى امراته على ما يكره
مع دلك الرجل المتهم فولى راجعا الى الشعب ولبس سلاحه
وركب فرسه وانى المنزل فلما علم به اهله ارتاعوا واخبوا دلك
الفاحر في بيت من الدار ودخل رب المنزل غير مكترث واعتذر في
رجوعه بعذر فبلته امراته وجعلت تحاول له طعاما فلما كمل فربته
اليه فقال احضري ضيفك قالت وهل لى من ضيف قال نعم هو
داك في البيت الكذا فناكرته فقام اليه فاستخرجه وقال هلم الى
طعامنا فقال له ما لى الى الاكل من حاجة وانى الى الموت احوج لما
نالني من هذه الفضيحة فقال لا باس عليك فقد ابتنى من هو
خير منك ولم يزل به حتى طعم ثم ارسله عن منزله مستترا
مسلما لم يره بريب ثم اقبل على امراته فقال لا نعيى مما جرى لك
وان النساء فد يزللن ويملن بهواهن والمعصوم من الناس قليل
وعندى من الستر لامرك والطى لخبرك ما يسرك وقد علمت انه
لم يحملك على ما صنعت الا هوى غلب علمك غيه وانا تارك بينك
وبين هذا الذى احببتيه تنكحيه وتتشفين منه جهارا من غير
ريبة على ان تشترطى لى شرطا وتعقد لى على نفسك عقدا تلتزميه
فاجابته الى ذلك وقالت ما شرطك قال انك اذا اكلت عنده عاما
ان ترسلى الىّ فامرّ بك وهو حاضر فتخرجين الىّ متزينة في ثياب
تشف وتتكلمين معى في امره وتتشكين سوء عشرته فتحمله
الغيرة على طلاقك فاعود الى حالى معك بعد ان تفضى حاجة
نفسك وترتفع عنى الريب في امرك باختيارك لى على هذا الذى فد
مال بك وقد علم سوء خلق صاحبه وتهافته الى الشر وقلة
ملكه لنفسه فعاقدته على ذلك ثم ارسل الى ابيها واهل بيتها
فصنع لهم طعاما فاطعمهم ثم قال لهم سلوا ولينذكم كيف كانت

صحبنى لها ومعاشرنى اباها فسالوهـا فانثت خيرا ووصفت مجاملة وبرّا فقال اسئلوها ما بالها انزيد المقام عندى فسألوها فقالت انى اكرهه وابغض قربــه واحب بُعده ولا اجد من نفسى معينا على غير ذلك وقد جاهدتها على الاستمرار فى محبته فعرفت فى عــن ذلك عزوفا لا رجعة معه فلا تتركونى معه فان ذلك يقتادنى الى الحمام ويفضى فى الى انواع السقام وقد تبرات اليه من جميع حقه والزوج فى ذلك كله يظهر الرغبة فيها والاشفاق من مفارقتها فما انفض جمعهم حتى ملكت امرها ورجعوا على زوجها ما صير اليها من حقها وشكروه على بره بها وولوها الملامة فى جميع امرهـا فلما حلت للازواج كان الغادر بها اول خاطب لها فتزوجته ومكثت معه حولا وهى تستبطئ مرور الحول لما خبرته من فضــل الاول على هذا فلما انقضى بعثت الى الاول على مــا عاقدته معه فخرج مارا على منزلها فتلقته فى قميص بصفها وتنم بجسمهــا تشكو زوجها وهو قاعد مع جماعتها فلما راى ذلك لم يتمالك غيرة ان قام اليها وطعنها طعنة كانت فيها نفسهـا فقصد اليه اهلهـــا واخوتها فقتلوه واختلف الفريقان وزحف بعضهم الى بعض فكادت الحرب تفنيهم وتم للزوج الاول المراد فيها ولم يرزأ فى نفسه ولا فى ماله بمقدار قلامة ۞ وحدثوا ان حمادا قال ما تداهى احد قط علىّ ولا خدعنى الا امراة وكعاء من البربر قيل له وكيف كان ذلك قال نعم ان صاحبا كان لى بالقيروان نشا معى نشاة واحدة لم يفرق بيننا مكتب ولا مشهد وكنت قد خلطته بنفسى وجعلته محــل انسى فلم يزل على ذلك حتى صرت الى مـا انا فيه ففقدته فجعلت اتفقده فلا اقدر عليه ولا اجد سببا للوصول اليه فلما ان غلبت على اهل باغاية وشننت عليها الغارات لم انسب صبيحــة ذلك

البوم ان سمعت مناديا ينادى بالله ياللامم فقلت ما بالك ومن انت فقال انا فلان بن فلان فاذا به صاحبى المطلوب فقد حبسه عنى نسكه وغلب على هواه ورع يماكه فاظهرت البشر بمكانه والجذل بشانه ولو شفع فى جميع اهل باغاية لشفعته فجعلت الطفه واونسه وهو كالواهان فسالته عن امره فقال انه فقد بنته فيمن فقد من النساء فقلت له والله لو خرجت الى بالامس لحقنت دماء اهل بلدك لحرمتك عندى فقال القدر غالب والمحروم خايب قال حماد ثم امرت القواد فاحضروا جميع ما كان فى حبوشهم من النساء فعرف فيهن بنته قال فامرت بسترها وحملها مع ابيها فرفعت صوتها قايلة لا والله يا حماد لا رجعت مع ابى ولا رجعت مع الذى عصبنى فلت فما تريدين وبلك قالت انى لا اصلح الا للملوك فلا حاجة لى فى السوقة فلما سمع ذلك ابوها سكن ما كان فى نفسه لها وظن انها قد فتنت وفسدت عليه قال حماد فقلت لها ومن اين لا تصلح الا للملوك قالت لان عندى علما لا اشارك فيه ولا يدعيه غيرى قلت الا اريتنا شيئا من ذلك فقالت نعم تامر بقتل انسان ويحضر امضى سيف اتكلم عليه بكلمات تمنع من تاثيره وتعود بعد حامله اكل من قايمه قال حماد الذى يجرب هذا فيه لمغرور قالت اوتتّهم احد انه يريد قتل نفسه قال لا قالت فانى اريد ان تجرب ذلك فى فتكلمت على سيف اختاروه ومدت عنقها فضربها السيّاف ضربة ابان راسها فاستيقظت من غفلتى وعلمت انها تداهت على وكرهت العيش بعد الذى جرى لها وعليها واستبان لابيها من ذلك مثل الذى بان لى فجعل يلقى نفسه عليها ويتمرغ فى دمها اسفا لما حل به منها واغتباطا بها لما راى من عظم انفتها واختيارها للموت على ما نزل بها ۞ وبنو ورسيفان من البربر اذا

ارادوا مباشرة الحرب نعربوا بدح بعرة سوداء للشماريخ وهم عندهم الشياطين ويقولون هذا ذبح الشماريخ ويعدون اوعيتهم في تلك الليلة من الطعام والعلف فلا يكون له وكاء ولا سداد ويقولون هذا طعام وعلف للشماريخ فاذا غدوا للقتال توقعوا حتى يروا زوابع الريح فيقولون قد جاءت الشماريخ اولياؤكم لنصرتكم فيحملون عند ذلك فينتصرون بزعمهم ويقولون ان ذلك لا يخطيهم وجماعتهم بعتقد ذلك غير مستترين به وهم اذا اضافوا الضيف جعلوا من طعامه للشماريخ ويزعمون انه ياكلونه الذين يوضع لهم وينتهون عن ذكر اسم الله عند شيء من ذلك ۞

تم الكتاب

بعون الله

الوهاب

۞

فهرست ما وجد ذكره في هذا الكتاب
من اسماء الامكنة وغيرها



بيان الخطاء والصواب لتصحيح نص هذا الكتاب

خطا	صواب	صحيفة	سطر
ناحروبت	ناجرمت	١٢	٤
يفربون	يفربون	١٢	١٨
انواح	انواع	١٥	٤
وجهما	وجهها	١٨	١٢
انا وعلام	واما غلام (حايز)	٤٥	٣
ملغة	فلعة	٦٩	١٤
نجرة	شجرة	٧٠	٧
شاطى	شاطى	٧٩	١٤
درطنانش	برطناتش	١٠٩	١٢
ما نعدم	ما تقدم	١١٢	١٨
الى اليوم ثم الى وادى نكرة (خطا) الى اليوم ثم الى وادى المقاول ثم الى وادى نكرة (الصواب)		١١٥	٥
الهماجر	المهاجر	١١٧	٢٠
بمحانة	بمجانة	١٤٥	١٣
بمكت	بمكث	٢٥١	٥
يرم	يوم	١٦٧	١٤

y remarque cependant l'absence d'un feuillet qui devait se trouver entre les feuillets numérotés maintenant 83 et 84 ; on s'aperçoit aussi qu'une partie considérable de la notice sur les Idrîcides y manque, que le copiste a laissé plusieurs mots en blanc et oublié quelques phrases. Pour racheter ces imperfections, on y trouve un morceau unique, un routier maritime de l'Afrique et de la Syrie, ainsi que plusieurs passages qui manquaient dans le manuscrit de Paris. Ayant collationné celui-ci avec la copie du manuscrit de Londres, il m'a été facile de combler presque toutes les lacunes, et de rétablir le texte à peu près dans l'état où l'auteur nous l'avait laissé ; puis, voulant m'assurer de l'exactitude de mon travail, j'en communiquai la copie à M. de Gayangos, qui eut l'obligeance d'y ajouter toutes les variantes qu'il put découvrir dans le manuscrit de l'Escurial, nº 1630. Ce volume, écrit en caractères maghrebins, renferme les deux premiers tiers de la description de l'Afrique. Le texte n'est pas toujours correct, bien qu'il offre parfois de bonnes leçons, mais il nous fournit un passage assez long qui appartient évidemment à l'ouvrage et que l'on cherche inutilement dans les autres manuscrits. Des quatre manuscrits qui ont servi de base à notre texte arabe, celui d'Alger est le moins important, puisqu'il n'est qu'une copie du manuscrit de Londres ; mais ayant été écrit à Cairouan par un homme assez intelligent, il fournit certaines variantes ou corrections qui ont le mérite d'être justes et bonnes.

La traduction de ce traité géographique est achevée et sera bientôt mise sous presse

DE SLANE.

Alger, 20 juillet, 1857

mauvais texte qu'il avait entrepris de traduire. Telle était, en effet, l'imperfection du manuscrit dont il se servait que, malgré toutes ses recherches, un très-grand nombre de noms de localité demeuraient illisibles. On remarqua aussi, avec regret, que presque toute la partie historique de l'ouvrage n'avait pas été traduite et l'on y reconnut même plusieurs lacunes impossibles à remplir sans le secours d'un second manuscrit du même ouvrage. Malgré ces imperfections, le travail de cet orientaliste fournira toujours une preuve frappante de tout ce que peuvent effectuer la critique et l'érudition.

L'occupation de l'Algérie par la France, les travaux des officiers de l'état-major, et les cartes publiées par le Dépôt de la guerre venaient, depuis quelques années, de fournir aux géographes une foule d'excellentes notions sur la topographie de l'Afrique, lorsqu'un petit manuscrit, très-mal écrit en caractères maghrebins, tomba sous les yeux de M. Berbrugger, qui l'acheta pour la bibliothèque dont il est le conservateur. En examinant ce volume, je reconnus qu'il renfermait le texte de l'Afrique d'El-Bekri, texte portant les points diacritiques et offrant une foule de bonnes leçons à la place des noms illisibles qui déparaient le manuscrit de Paris. Heureux de cette découverte, je pris la résolution de publier l'ouvrage avec une traduction complète ; et, grâce à la complaisance d'un savant orientaliste, M. Rieu, j'ai pu me procurer une copie très-exacte de l'ancien manuscrit d'El-Bekri qui se trouve dans la bibliothèque du Musée britannique, à Londres. Ce volume, renfermant 119 feuillets in-4°, et portant le n° 374, commence par la description de l'Egypte et finit par celle de l'Afrique. Écrit en caractères maghrebins et portant, sur chaque nom, les points diacritiques et les points-voyelles, il offre presque partout des leçons d'une exactitude parfaite On

manuscrit, les points diacritiques, mais les phrases les plus difficiles et les noms propres en sont dépourvus, précisément quand la présence de ces signes était d'une nécessité absolue Une phrase arabe privée de points diacritiques, mais correctement écrite, se laisse toujours lire avec assez de facilité par ceux qui sont habitués à la marche et aux tournures ordinaires de cette langue ; mais les noms propres auxquels un copiste peu intelligent aura négligé d'ajouter ces signes essentiels, peuvent résister à la pénétration des déchiffreurs les plus habiles. Prenons, par exemple, le groupe de quatre lettres معرى ; on peut le lire de plus de trois cents manières, si l'on ne connait pas les mots qui le précèdent et qui le suivent. Pour retrouver le nom d'une ville ou d'un pays écrit de cette façon absurde, il faut le connaître d'avance ; et, si on ne l'a pas déjà vu dans les autres géographes arabes ou dans les ouvrages des voyageurs, ou dans les cartes, on doit renoncer à le chercher

Avec tous ses défauts, le manuscrit de Paris ne laissa pas d'être d'une grande importance pour la géographie de l'Afrique ; fait que le savant M. Quatremère avait bien apprécié ; aussi, ne craignit-il pas d'entreprendre une traduction abrégée de cet ouvrage, dont il avait, lui le premier, découvert le nom de l'auteur. Après avoir examiné les travaux des anciens géographes et historiens africains, et parcouru les nombreux récits que l'on doit au zèle des voyageurs européens, il fit paraître, en 1831, ses extraits d'El-Bekri dans le recueil publié par l'Institut de France et intitulé *Notices et Extraits des manuscrits de la Bibliothèque du Roi*. Le travail de M. Quatremère obtint sur le champ l'approbation des orientalistes et des géographes les plus distingués ; on admira surtout la profonde érudition déployée dans les notes qui servaient à éclaircir les difficultés du

plusieurs renseignements à notre géographe et à l'auteur du *Bayan* (1).

D'après les indications d'El-Bekri, il faudrait admettre que Mohammed Ibn-Youçof était originaire de Cairouan ; mais Ibn-Hazm, l'un des grands historiens de l'Espagne musulmane, assure que le père et la mère de ce géographe étaient natifs de Guadalaxara (2).

La notice d'El-Bekri sur l'Afrique septentrionale, traité dont le texte original paraît ici pour la première fois, n'était pas inconnu au savant Deguignes et à l'illustre orientaliste S. de Sacy ; mais le nom de l'auteur avait échappé à leurs recherches. Le manuscrit dont ils s'étaient servi et qui se trouve dans la Bibliothèque impériale, ancien fonds, n° 580, est incomplet ; il commence par les derniers feuillets de la description de l'Egypte et se termine brusquement par les premières pages de la notice consacrée à l'Espagne : ce volume, n'ayant ni commencement ni fin, ne pouvait fournir aucune indication relative au titre qu'il devait porter et au nom de celui qui l'avait composé. La description de l'Afrique ne s'y trouve pas même en entier : plusieurs feuillets manquent et on y remarque des omissions faites par le copiste, et dont quelques-unes ont une étendue très-considérable. L'écriture, qui est du caractère oriental, est très-belle et appartient évidemment à une époque ancienne ; mais elle est dépourvue des points qui servent à distinguer les lettres dont la forme est semblable. Il est vrai que les mots les plus faciles à lire portent, dans ce

---

(1) Cet ouvrage, dont nous devons une édition (texte arabe) au zèle intelligent de M Dozy, renferme une histoire très-détaillée de l'Afrique et de l'Espagne pendant les premiers siècles de la domination musulmane,

(2) El-Maccari, traduit par M. de Gayangos, vol. I, page 176, et vol. II, page 171 ; *Ibn-El-Abbar*, apud Casiri, t, II, p. 127 ; *Dozy*, introduction au *Bayan* p 43.

terminé son ouvrage avant l'an 453, bien qu'il ait déclaré lui-même y avoir mis la dernière main en 460.

La notice des Béreghouata est, au contraire, une pièce rédigée pour le gouvernement oméïade ; notre auteur lui-même déclare qu'elle avait pour base les renseignements fournis par un envoyé béreghouatien qui s'était trouvé à la cour de Cordoue.

Ajoutons qu'El-Bekri n'avait jamais visité l'Afrique et que sa description de ce pays n'a pu être qu'un travail de compilation Souvent, dans ses emprunts, il cite ses autorités et, plus d'une fois, il inscrit sur ses pages le nom d'un auteur alors célèbre, Mohammed-Ibn-Youçof. Toutes les fois qu'il n'indique pas les sources ou il a puisé, on est porté à supposer qu'il trouvait ses renseignements à Cordoue et dans les archives de l'ancien royaume des Oméïades.

Puisque le nom de Mohammed-Ibn-Youçof se présente ici, je profiterai de l'occasion, pour offrir quelques renseignements au sujet de cet écrivain.

Mohammed-Ibn-Youçof, surnommé Ibn-El-Werrac *(le fils du libraire* ou *du marchand de papier)*, naquit en l'an 292 (904-5 de J.-C.) et mourut en 363 (973-4). On le désigne quelquefois par le surnom d'*Et-Tarîkhi* (*l'historien* , *l'annaliste*), parce qu'il avait composé, par l'ordre du sultan oméïade, El-Hakem-El-Mostancer, plusieurs ouvrages sur l'histoire et la géographie de l'Afrique. Parmi ces traités, on distingua particulièrement l'histoire de la ville de Tèhert *(Tiaret)*, celle d'Oran, celles de Tunis, de Sidjilmessa, de Nokour, de Ceuta, et de Basra du Maghreb. Une partie considérable d'un de ses ouvrages sur les ***Routes et Royaumes*** de l'Afrique se trouve reproduite dans celui d'El-Bekri. Ses monographies de villes et de dynasties ont fourni

La notice sur la secte almoravide est d'une date trop récente pour avoir appartenu à cette classe de documents. Celui qui la rédigea indique comme un des derniers faits qui s'étaient passés chez ce peuple, la révolte des Djoddala contre Yahya-Ibn-Omar, et il nous apprend que cet événement eut lieu en 448 de l'hégire. Il ignorait le nom de Youçof-Ibn-Tachefîn ; il ne savait pas que ce chef avait obtenu le gouvernement du Maghreb en l'an 453, qu'il avait fondé la ville de Maroc l'année suivante, et conquis la ville de Fez douze mois plus tard. El-Bekri est tout aussi mal renseigné que lui. On peut tirer de là plusieurs conclusions : 1° que, dans la première moitié du cinquième siècle de l'hégire, les événements qui se passaient en Afrique n'étaient pas bien connus en Espagne ; 2° que les princes musulmans dont les états se trouvaient dans ce dernier pays avaient trop à faire chez eux pour s'occuper du Maghreb, pays dans lequel ils n'exerçaient aucune autorité ; 3° que le géographe El-Bekri, n'ayant pas apprécié l'importance de la grande révolution qui s'accomplissait dans le Maghreb à l'époque où il tenait la plume, avait négligé de prendre des renseignements sur ce sujet et qu'il s'était borné à faire des emprunts aux ouvrages de ses prédécesseurs et aux documents rassemblés par les soins d'un gouvernement prévoyant ; 4° que les règles de la critique littéraire peuvent mener à de fausses conclusions : car elles veulent que, pour déterminer l'année de la composition d'un ouvrage, on remarque les dernières dates, les dernières indications historiques qu'il renferme, que l'on cherche ailleurs l'événement le plus important qui soit arrivé après celles-ci, puis que l'on admette que l'auteur écrivait dans la période intermédiaire. Si l'on suivait ce principe et que l'on attribuât à El-Bekri la notice dont nous parlons, on serait obligé de conclure qu'il avait

mérite que par l'étendue ; — une notice de l'Irac, de la Transoxiane et des peuples barbares qui avoisinent la Mer Caspienne (1) ; — les premières pages d'une description de l'Espagne.

La partie de cet ouvrage qui concerne l'Afrique septentrionale est bien plus instructive que celles dont l'Egypte et les contrées de l'Asie forment le sujet principal. On voit que, pour rédiger cette notice intéressante, El-Bekri avait eu à sa disposition des documents de la plus haute importance. Ses itinéraires si exacts et si détaillés, ses descriptions de villes et de provinces, son routier maritime, ses notices des tribus, ses renseignements au sujet des princes dont les états avoisinaient l'Espagne, sont trop nombreux et trop intéressants sous un point de vue politique, pour être les fruits d'un travail auquel se serait livré un simple amateur de géographie. Ce sont plutôt des extraits de documents officiels, de pièces réunies en un seul dépôt, de rapports que le célèbre El-Mansour, ministre tout-puissant du dixième souverain oméïade, se serait fait adresser par ses agents et qui ont pu se trouver encore dans les archives de Cordoue à l'époque où notre auteur y faisait son séjour. Il est vrai que, dans la description de l'Afrique, aucun aveu ne se trouve qui puisse corroborer cette opinion ; mais le caractère uniforme de ces pièces semble indiquer qu'elles ont été rédigées sous une même inspiration et dans un but unique : celui de faciliter le progrès de la domination oméïade et d'étendre l'influence de cette dynastie sur toutes les contrées de l'Afrique.

(1) On ne connaît qu'un seul exemplaire du volume qui renferme la notice de l'Irac et de la Transoxiane M. de Gayangos, le propriétaire de ce manuscrit précieux, a bien voulu me l'envoyer de Madrid et le laisser entre mes mains pendant plusieurs mois

noms propres, un dictionnaire (*modjam*) de noms de lieu dont l'orthographe n'est pas bien connue ; enfin, un traité de géographie générale que l'on désigne sous le titre banal de ***Routes et Royaumes***, en arabe, ***El-Meçalek-wa'l-Memalek*** (1).

De tous ces écrits il nous reste, 1° le *Modjam*, ouvrage précieux dont les bibliothèques de Leyde et de Milan possèdent chacune un exemplaire. Un abrégé de ce dictionnaire se trouvait, et se trouve peut-être encore, dans une bibliothèque particulière à Constantine (2). 2° Une partie des ***Routes et Royaumes***. Ce traité, le plus important de tous les écrits sortis de la plume d'El-Bekri, devait former plusieurs volumes et offrir la description et l'histoire de tous les pays connus aux musulmans du onzième siècle. Il nous reste de cette vaste compilation la notice de l'Afrique septentrionale, traité dans lequel les géographes et les historiens arabes ont puisé à pleines mains ; — la description de l'Egypte, notice renfermant quelques indications utiles ; mais qui, comparée avec celle du célèbre El-Macrîzi sur le même sujet (3), est aussi inférieure par le

---

(1) Il existe, en arabe, un grand nombre d'ouvrages géographiques que l'on désigne ordinairement ainsi plutôt que d'employer les titres plus ou moins fantastiques que les auteurs leur avaient imposés.

(2) J'ai feuilleté ce volume ; et, ne soupçonnant pas que j'avais entre les mains un mauvais abrégé du *Modjam*, j'exprimai, au sujet de ce dernier ouvrage, une opinion peu favorable. M. Dozy, dans son mémoire sur les Bekrides, déclara que j'étais bien injuste envers notre géographe, mais il a su depuis comment j'avais été induit en erreur. M. Reinaud, de l'Académie des Inscriptions et belles lettres, a donné une bonne notice du *Modjam* dans son introduction à la traduction française de la Géographie d'Aboulfeda. Pour tout ce qui concerne les connaissances géographiques qui existaient chez les peuples musulmans du moyen âge, le traité de M. Reinaud est le plus satisfaisant et le plus sûr à consulter.

(3) L'ouvrage d'El-Macrîzi, le Varron de l'Egypte, a été publié en arabe à Boulac, en l'an 1853. Il remplit plus de mille pages d'impression, format in-folio.

devait plus tard s'illustrer par sa description de l'Afrique.

En l'an 456 (1064), ou 458, Abd-El-Aziz mourut à Cordoue ; et son fils, Abou-Obeid, se rendit à la cour d'Almérie, dont le souverain, Mohammed-Ibn-Maan, l'accueillit avec bienveillance et l'admit au nombre de ses familiers. En l'an 478 (1085-6), Abou-Obeid remplissait une mission diplomatique auprès d'El-Motamed-Ibn-Abbad, roi de Séville, et eut alors l'occasion d'assister à l'embarquement de ce prince qui, voyant l'Espagne musulmane prête à succomber devant les armes du roi chrétien (Alfonse VI, roi de Léon et de Castille), s'était décidé à passer en Afrique et à solliciter l'appui du sultan almoravide, Youçof-Ibn-Tachefîn.

Abou Obeid-El-Bekri mourut dans le mois de choual, 487 (oct.-nov. 1094), dans un âge très avancé et avec la réputation d'un épicurien qui aimait autant le jus de la treille que la poésie et les lettres. Quelques auteurs lui donnent le surnom d'*El-Cortobi (le cordovien)*, parce qu'il avait séjourné assez longtemps dans l'ancienne capitale de l'Espagne musulmane. Il s'était acquis une haute réputation par ses poésies et par divers ouvrages dans lesquels il déploya un grand savoir comme controversiste, comme philologue, comme botaniste, comme historien et comme géographe.

Parmi les nombreux écrits d'El-Bekri, on cite une démonstration de la mission divine de Mahomet, une vue générale des plantes et des arbres de l'Andalousie, un commentaire sur les anecdotes philologiques d'Abou-Ali-'l-Cali (1), un commentaire sur les proverbes recueillis par Abou-Obeid (2), un traité sur la dérivation des

(1) Pour l'histoire de ce philologue célèbre, on peut consulter le dictionnaire biographique d'Ibn-Khallikan, traduit en anglais par M. de Slane, vol I, page 210.

(2) La vie du grand philologue, Abou-Obeid-El-Cacem-Ibn-Sellam, se trouve dans la traduction d'Ibn-Khallikan, vol II, page 486

En l'an 402 (1011-2), lors de la guerre civile qui amena la chute de l'empire oméïade en Espagne, Abou-Zeid suivit l'exemple des autres chefs et se posa en souverain indépendant ; puis, ne pouvant lutter contre des voisins aussi ambitieux et plus puissants que lui-même, il se mit sous la protection du seigneur de Niebla (1).

En l'an 443 (1051-2), son fils et successeur, Abou-'l-Mosab-Abd-El-Aziz, se laissa enlever Huelva par El-Motaded-Ibn-Abbad, souverain de Séville ; et, pour se tirer avec avantage d'une position qu'il n'aurait pas pu conserver, il vendit le territoire de Saltès au prince dont il venait d'éprouver, à son détriment, l'esprit envahisseur. Devenu plus avisé à la suite d'une expérience qui lui avait coûté si cher, il usa d'un tour d'adresse que la mauvaise foi d'El-Motaded rendait bien nécessaire ; et, s'étant esquivé avec ses trésors, il se réfugia dans Cordoue, ville qui obéissait alors à Djehwer-Ibn-Mohammed, ancien garde-des-sceaux des khalifes Hicham et El-Hakem. Il y amena son fils, qui sortait seulement de l'enfance et qui attirait déjà tous les cœurs par les grâces de sa figure, la vivacité de son esprit et l'étendue de ses connaissances littéraires. Ce jeune homme se nommait Abou-Obeid-Abd-Allah-El-Bekri, le même qui

---

bre de bons renseignements Jusqu'à présent, on ne trouve, en aucune langue européenne, un ouvrage qui fasse mieux connaître l'histoire de l'Espagne musulmane.

(1) En 1849, M. le professeur Dozy publia à Leyde, le premier volume d'un recueil de mémoires sur l'histoire de l Espagne arabe pendant le moyen âge. Cet ouvrage, intitulé : *Recherches sur l'histoire politique et littéraire de l'Espagne,* renferme plusieurs traités qui nous font enfin connaître, d'une manière claire et satisfaisante, quelques parties de l'histoire de cette péninsule pendant la domination musulmane. La notice sur le Cid est une véritable révélation ; après l'avoir lue, on sait à quoi s'en tenir au sujet de ce noble aventurier, qui avait beaucoup de belles qualités, mais qui ignorait également les sentiments du patriotisme et ceux de l'humanité. Dans un chapitre de treize pages, M. Dozy a réuni et discuté avec beaucoup de jugement, les renseignements épars que les historiens arabes nous fournissent au sujet des Bekrides ; tout ce qui se trouve ici relativement à cette famille est emprunté à la notice du savant et spirituel hollandais.

sitaient pas à sacrifier les intérêts de leurs sujets et même ceux de la religion.

A l'époque où notre auteur écrivait, c'est-à-dire, en l'an 460 de l'hégire (1067-8), une partie de ces dynasties avait disparu, mais il en restait encore plusieurs : les Abbadites régnaient à Séville, les Zirides berbers à Grenade, les Beni-di-'n-Noun à Tolède, les Houdites à Saragosse, les Beni-'l-Aftès à Badajoz, les Beni-Abi-Amer à Valence, les Beni-Taher à Murcie et les Beni-Maan à Almérie. Dénia et les îles Baléares avaient aussi leurs souverains.

Au nombre des familles qui se partagèrent les dépouilles des Oméïades, il s'en trouvait une dont le souvenir aurait péri si elle n'avait pas donné le jour à un homme qui se distingua dans la carrière des lettres. Vers l'an 392 de l'hégire (1001-2 de J.-C.), pendant que le sultan Hicham-El-Mowaïyed occupait le trône, un arabe, nommé Abou-Zeid-Mohammed-El-Bekri, fils d'Aiyoub, cadi de Niebla, et aïeul de notre auteur, obtint le gouvernement de Huelva et de Saltès. La ville de Huelva, en arabe *Ouelba*, est située sur l'Océan atlantique, au confluent du Gibraléon et du Tinto, et à vingt lieues à l'O.S.O. de Séville. La langue de terre qui sépare ces deux rivières et qui a toujours été renommée pour sa fertilité, porte, chez les écrivains musulmans, le nom de l'*île* (c'est-à-dire, de la *presqu'île*) *de Chaltîs*. Ce dernier mot est la représentation arabe de *Saltès*, nom qui se trouve inscrit sur un document géographique de la plus haute importance, la Carte catalane, dressée en l'an 1375. Vis-à-vis d'Huelva se voit l'île de San-Francisco de la Rabida, localité trop petite pour contenir une ville (1).

(1) Voyez *the History of the mohammedan Dynasties in Spain*, traduite de l'arabe d'El Maccari par M. de Gayangos ; vol. I, page 379. Cette traduction abrégée est accompagnée de notes qui fournissent un grand nom-

méridionale du Tell avaient envahi et saccagé toutes les campagnes de la Tunisie et de Tripoli.

L'Espagne musulmane dont la domination s'était fait sentir pendant l'espace d'un siècle dans les provinces de la Tingitane, n'y exerçait plus aucune influence. En l'an 422 (1031 de J-C.), la famille des Oméïades cessa de régner sur l'Andalousie, après avoir donné seize souverains à ce pays. Établie dans Cordoue, elle avait conservé le pouvoir pendant deux cent quatre-vingt-quatre ans, malgré la lutte incessante qu'elle eut à soutenir contre les Chrétiens de Léon et de Castille, et contre ses propres sujets, les Arabes, les troupes berbères, et les *Mowelled*, race moitié-chrétienne, moitié-musulmane. La dynastie oméïade succomba à la suite d'une longue guerre civile et entraîna dans sa chute l'unité de l'empire. Les chefs des grandes familles, les commandants de troupes, tant arabes que berbères, les gouverneurs de provinces, de cantons, de villes et de simples châteaux, tous se déclarèrent indépendants. Chacun de ces petits souverains se vit bientôt exposé aux attaques de ses voisins, et quelques-uns seulement parvinrent à se maintenir et à se faire respecter. Parmi cette foule de roitelets, il s'était trouvé beaucoup de princes aimant les lettres et la poésie, affables, généreux, braves, doués des qualités les plus aimables ; pour être parfaits, il ne leur manquait que la bonne foi. Leur arme favorite, c'était la trahison, toutes les fois qu'ils cherchaient à se débarasser d'un puissant adversaire, d'un homme suspect ou d'un parent incommode. Chez eux, l'ambition étouffait les sentiments d'humanité et les affections de famille. Voulant tous entretenir une cour magnifique, s'entourer de parasites et de flatteurs, soudoyer des historiens mercenaires, acheter les louanges des poètes et la bienveillance des hommes de lettres, il leur fallait beaucoup d'argent et pour se le procurer, ils n'hé-

PRÉFACE.

A l'époque où Abou-Obeid-El-Bekri rassemblait les matériaux du grand ouvrage géographique, dont cette description de l'Afrique septentrionale forme une des sections principales, trois dynasties berbères possédaient la totalité de ce pays : les Zîrides, auxquels le khalife fatemide, El-Moëzz, avait confié le gouvernement des provinces qui forment actuellement la régence de Tripoli, celle de Tunis et notre Algérie ; — les Hammadites, qui avaient enlevé toute cette dernière région à leurs parents, les Zîrides, — et les Beni-Zîri-Ibn-Atîya, souverains de la ville de Fez et de presque toutes les contrées que les géographes de l'antiquité avaient désignées par le nom de Tingitane. A la suite de la grande invasion des Arabes nomades, événement qui eut lieu en l'an 443 de l'hégire (1051-2 de J.-C.), les Zîrides perdirent la plus grande partie de leurs états ; mais les Hammadites purent encore se maintenir quelques années ; et, fidèles à la politique des premiers sultans fatemides, ils n'épargnèrent aucun effort pour subjuguer le pays de l'*Extrême Ouest* (*El-Maghreb-el-Acsa*), nom qui s'applique encore à l'ancienne Tingitane. Les Beni-Zîri-Ibn-Atiya avaient commencé par gouverner, au nom des Oméïades espagnols, la ville de Fez et les provinces qui en dépendent ; puis, après la chute de cette dynastie, ils s'étaient déclarés indépendants. Depuis bien des années, les Idrîcides n'exerçaient plus d'autorité en Afrique, mais une quatrième dynastie berbère, celle des Almoravides, commandés par Youçof-Ibn-Tachefîn, s'était déjà emparée de Sidjilmessa, du Dera et du Sous ; se frayant ainsi la voie à la conquête de l'Espagne. Les Arabes nomades, ayant occupé la frontière

A

MONSIEUR LE COMTE RANDON

MARÉCHAL DE FRANCE

SÉNATEUR

GOUVERNEUR-GÉNÉRAL DE L'ALGÉRIE

FONDATEUR DE LA SOCIÉTÉ HISTORIQUE ALGÉRIENNE

CET OUVRAGE

PUBLIÉ SOUS SON PATRONAGE ÉCLAIRÉ

EST DÉDIÉ

COMME UN TÉMOIGNAGE DE RESPECT ET DE RECONNAISSANCE

PAR SON TRÈS-DÉVOUÉ SERVITEUR

DESCRIPTION

DE

L'AFRIQUE SEPTENTRIONALE

ABOU-OBEID-EL-BEKRI

TEXTE ARABE

REVU SUR QUATRE MANUSCRITS ET PUBLIÉ SOUS LES AUSPICES

de

M. LE MARÉCHAL COMTE RANDON

Gouverneur-Général de l'Algérie

DESCRIPTION

DE

L'AFRIQUE SEPTENTRIONALE

PAR

ABOU-OBEID-EL-BEKRI

TEXTE ARABE

REVU SUR QUATRE MANUSCRITS ET PUBLIÉ SOUS LES AUSPICES

de

M. LE MARÉCHAL COMTE RANDON

Gouverneur Général de l'Algérie


تليفون

